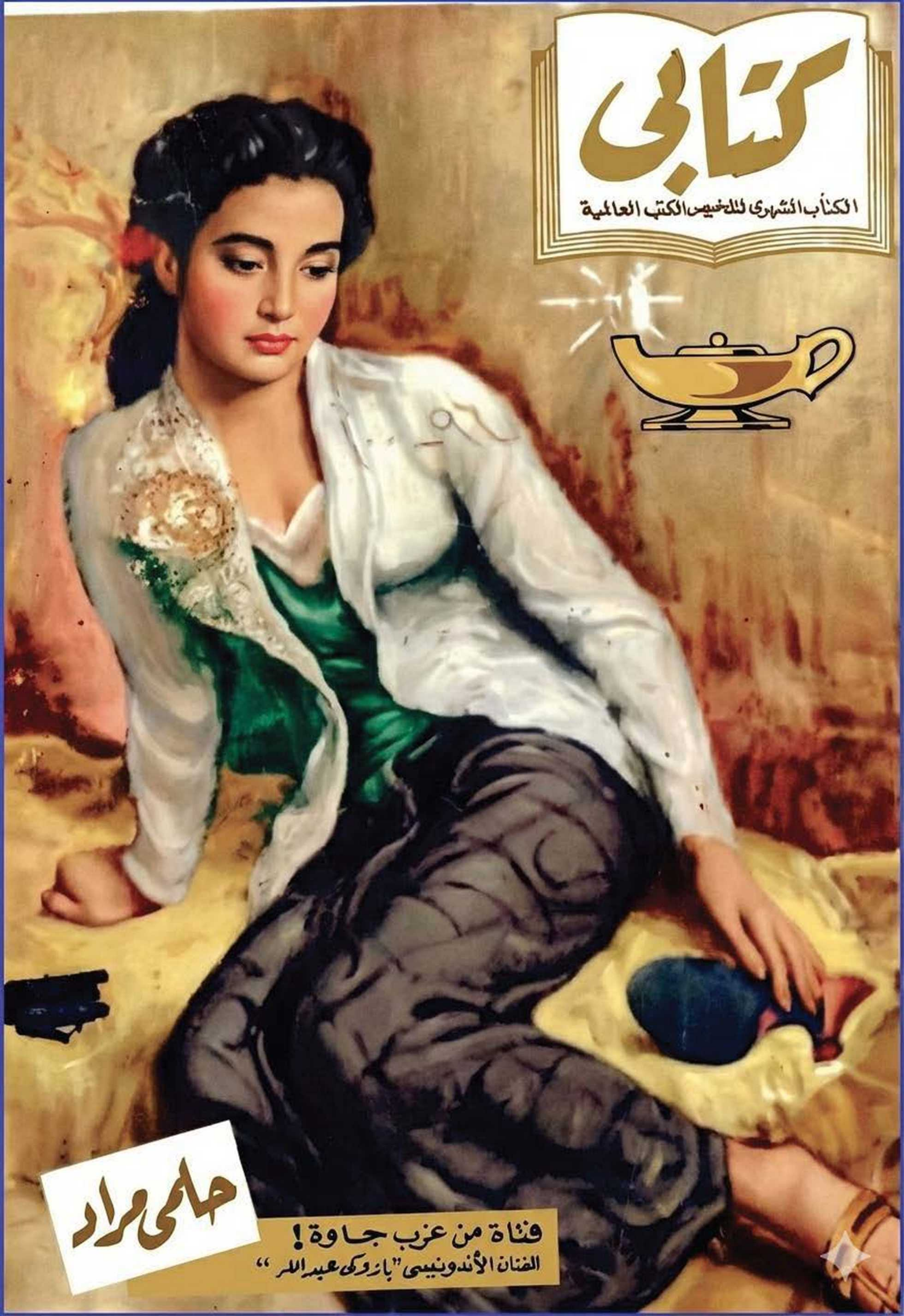

كتابي

الكتاب الشهري لتلخيص الكتب العالمية

حلمي مراد

فتاة من عزب جاوة !

الفنان الأندونيسي "بازوكي عبد الله"

كتابي

كتاب شهري لتلخيص الكتب العالمية

يصدر أول كل شهر - صاحبه ورئيس تحريره : حلمي مراد

الكتاب السادس والتسعون (السنة الثامنة)

الاشتراكات والأعداد السابقة : التفصيلات بالداخل

الادارة : عمارة الجندول (١٤ شارع ٢٦ يوليو بالقاهرة)

تليفون ٥٩٥٥٦

محتويات الكتاب

الموضوع **الصفحة**

٣٧ كتابا ساهم بها « كتابى » فى ترجمة الآداب الاسيوية والافريقية : افتتاحية العدد . . ٦
رأيت وسمعت لك فى روما (٤٨ ساعة فى المدينة الخالدة) : مشاهدات وتعليقات ، **للمحرر** . ٧
بلتازار (اشراقة السلام) : قصة للأديب الفرنسى الكبير **اناتول فرانس** ٣٥
بلقيس ، ملكة سبأ : من روائع المسرح الغنائى . ٥٥
من كنوز الكتب القديمة : « الافادة والاعتبار ، فى الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر» ، للرحالة العربى القديم **«عبد اللطيف البغدادى»** ٦٧
الحب فى سياسة العالم (الحقد اللعين) : للمؤرخ « جى بريتون » ٨٣
زواج الحب (**من كتب علم النفس**) : للباحثين الامريكيين « دكتور كليفورد ادامز » ، و « فانس باكار » ٩٩
دكتور فاوست : الدراما الخالدة ، لكريستوفر **مارلو** ١٣١
من قصص المحاكمات الكبرى : القاتل الذى فقد ذاكرته ! ١٥٣
الزحف الطويل : فصول جديدة من قصة الصين الحديثة ، للكاتبة الفرنسية **سيمون دى بوفوار** ١٧١
قصة جسر : لأديب يوغوسلافيا الفائز بجائزة نوبل « **ايفو اندريتش** » ١٩٩
كتب جديدة من الشرق والغرب ٢٢١

٣٧ كتابا يساهم بها (كتابى)
فى آداب آسيا وافريقيا

عزيزى القارىء ..

فى هذه الايام التى تسعد فيها القاهرة باستقبال ضيوفها من ادباء آسيا وافريقيا ، استميحك عذرا فى ان أقف واياك برهة لنستعيد ذكريات الكتب السبعة والثلاثين ، من (كتابى) و (مطبوعات كتابى) التى قدمت لك فيها نماذج منتقاة من روائع الانتاج الأدبى لصفوة كتاب القارتين ، خلال نحو ٩ سنوات . . فمنذ انعدد الثالث من كتابى ، كان رائدى دائما أن أنتهز كل فرصة تسنح لى ، كى أنقب لك عن أروع النماذج من آداب القارتين ، فأقدمها لك ، سواء مترجمة ترجمة كاملة فى (مطبوعات كتابى) أو ملخصة تلخيصا وافيا فى كتابى . . ومن هنا قدمت لك ، سبعة وثلاثين كتابا ، تضمنت روائع من انتاج : تاجور ، وبريم جاند (من الهند) ، تولستوى ، جوجول ، الوشون ، ولين يوتانج (من الصين) ، دستويفسكى ، يوكيو ميشيما ، ولافكاديو هيرن (من اليابان) ، جوركى ، بوشكين ، مبرورة سامى ، وعرفان أورجا (من تركيا) ، ترجنيف ، ايفان بونين ، اندرييف ، تشيكوف ، شولوخوف ، باسترناك ، نابوكوف ، وليام كونتون (من غرب أفريقيا) .. الخ .

واذا كانت هذه حصيلة الجهد المتواضع من جانب (كتابى) و (مطبوعاته) قبل أن يصبح تضامن شعوب آسيا وافريقيا حقيقة واقعة وحدثا عالميا ضخما ، فهل ترانى فى حاجة الى أن أعدك بمزيد من الجهد فى الاعداد القادمة من السلسلتين ، فى سبيل تعريفك بانتاج أدباء القارتين ؟

ومرة أخرى : مرحبا بضيوفنا الاعزاء ..

حلمى مراد

٤٨ ساعة فى المدينة الخالدة

عزيزى القارىء ..

تركتك فى الفصل السابق والطائرة تتأهب للهبوط بى فى مطار روما ، حيث قضيت فى « المدينة الخالدة » يومين ، قبل أن اغادرها الى (بانجكوك) ، عاصمة مملكة (تايلأند) ، أو (سيام) ..

وكان أول ما لفت نظرى حين غادرت الطائرة ، مطار روما الجديد (فيوميتشينو) — او « ليوناردو دا فنشى » ، كما يطلقون عليه أحيانا — وقد كان أول ما يطالعنى فى روما فى زياراتى السابقة لها مطارها القديم (تشامبينو) . **والفرق بين المطارين — رغم ان المطار القديم كان مطارا دوليا أنيقا — هو كالفرق بين القرية المتواضعة والعاصمة الخلابة !** .. واذا كان أهل روما قد اعتادوا فى الأعوام العشرة الأخيرة أن يحسوا بالزهو كلما جاء ذكر محطة السكة الحديدية الجديدة التى تختال بها عاصمتهم ، (وهى تعتبر ثانى محطة فى العالم من حيث جمالها وضخامتها ، وقد حدثتك عنها بالتفصيل فى العدد ٣٣ من كتابى) ، فان زهوهم قد تضاعف الآن حين صار لهم مطار زائع يعتبر بدوره من أجمل وأكبر مطارات الدنيا ! .. ويظهر أن المعماريين الذين صمموه قد تعمدوا ان يجىء متناسقا من حيث الطراز مع محطة السكة الحديدية لمدينتهم ، فكلاهما يعتمد فى تشييده اعتمادا عجيبا على الزجاج والبللور ، حتى ليخيل اليك لأول وهلة ان جميع جدرانه وسقوفه وأرضياته من البللور ، بحيث ترى وأنت واقف فى أية ردهة أو قطاع من قطاعاته ، كل ما يجرى فى بقية الأبهاء والصالات والقطاعات ..

وقبل أن أجتاز — مع الصديق « أحمد حمروش » —

الساحة الفسيحة التى تفصل بين الطائرة التى هبطنا منها وبين مبنى المطار ، فوجئنا بسيدة ايطالية لا نعرفها تحيينا مصافحة وهى تنادينا باسمينا ، (**وان حارت المسكينة لحظة فلم تعرف أينا سنيور « همروش » وأينا سنيور « موراد » !**)... وكانت « السنيورا بيانكا » ، مندوبة شركه الطيران السكندنافية التى أعدت برنامج هذه الرحلة الصحفيه حول الأرض ، قد جاءت ترحب بنا فى رحاب المدينة الخالدة ، حيث سنقضى يومين قبل أن نواصل رحلتنا على متن الطائرة الجبارة D.C. 8 الى.. بانجكوك !

وفى ردهة فندق (يونيفرسو) ـ القريب من محطة روما الجميلة ـ صافحتنا السنيورا بيانكا ، متمنية لنا قسطا من الراحة ، قبل أن نبدأ جولتنا لرؤية معالم المدينة ، بصحبتها .. ولكننا شكرنا لها طيب استعدادها ، وطمأنها كلانا الى أن هذه الرحلة ليست أول عهده برؤية روما ومعالمها ، واننا نود انتهاز فرصة مرورنا بها هذه المرة لاجراء بعض التحقيقات الصحفية فيها ، للصحف التى نمثلها .. ثم مضى كلانا الى غرفته .

ولم أكد أفرغ من غسل وجهى وابدال ثيابى ، حتى طلبت من عاملة تليفون الفندق أن توصلنى بسفارة بلدي فى روما. كنت أبغى من المكالمة شيئين : **أولهما تهنئة سفيرنا الجديد**

صورة الصفحة المقابلة : ليست جميع نساء روما سمراوات .. فصاحبة هذا الشعر الأشقر الطويل الذى تطالعك من تحته ابتسامة غامضة ـ شبيهة بابتسامة « الجيوكندا » ! ـ هى حسناء جامعية من فتيات روما ، تدرس اللغات فى جامعتها ، وتدعى « باتريتسيا نابى » .

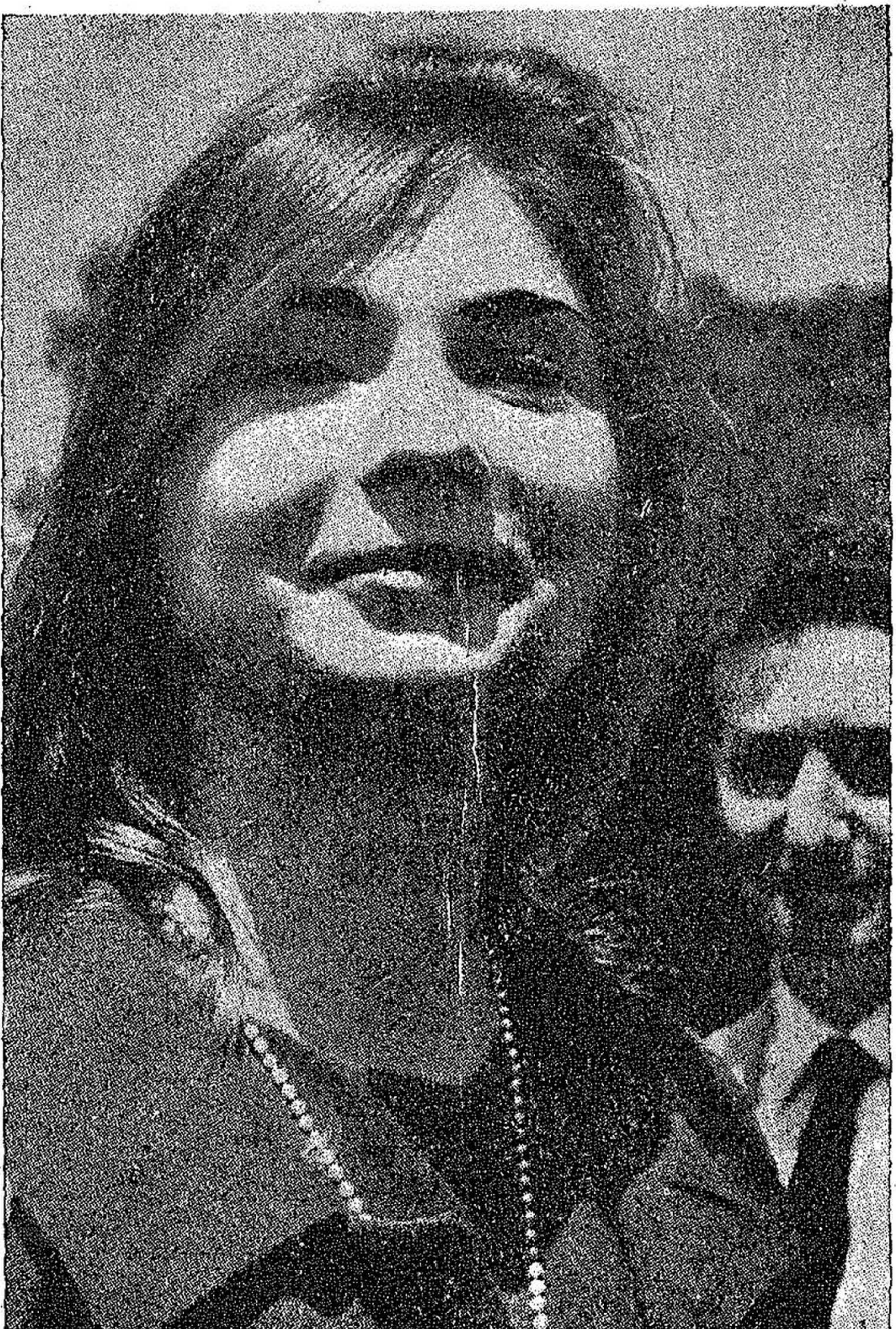

السيد أحمد نجيب هاشم – الذي سعدت بمعرفته ومرافقته طوال ٤٧ يوما خلال رحلتنا الى الصين الشعبية عام ١٩٥٧ ضمن الوفد الثقافى المصرى – لكني علمت ، آسفا ، انه لم يصل بعد الى مقر منصبه الجديد فى روما ، وانه ينتظر أن يصل اليها فى غضون أيام .. بعد أن أكون غادرتها الى الشرق الأقصى .

وكان **هدفى الثانى** من المكالمة التليفونية شوقى الى **رؤية – وتصوير – تمثال شاعرنا الكبير ((شوقى)) الذى أقيم فى حدائق بورجيزى ، بين تماثيل عظماء رجال الادب والفن من شتى انحاء العالم** . وكنت قد حدثتك عن هذه التماثيل فى نفس العدد من كتابى .

لكن أمنيتى الثانية باءت بدورها بالفشل ، فقد قيل لى أن التمثال ما يزال مغطى ، لم يزح عنه الستار بعد !

وبعد أن انتهى حديثى مع موظف السفارة الذى أجابنى على السؤالين ، **وهو الصديق القديم ((ميشيل داجاتا))** ، أعدت سماعةالتليفون الى مكانها ، واستلقيت على الفراش ، أسترجع ذكريات ما قبل ستة عشر عاما .. عدت بذاكرتى الى أول عهدى بمعرفة الصديق «ميشيل» ، يوم كان يعمل مترجما بقسم الاخبار الخارجية باحدى صحف القاهرة اليومية ، وكنت أتولى تلخيص كتاب للصفحة الاخيرة بالصحيفة المذكورة ، كل يوم سبت . يا لها من أيام ! .. **لا أدرى لماذا قفزت الى ذهنى من ذكرياتها العديدة ذكرى الكتاب الذى قرأته ولخصته وراجعته واشرفت على طبع تلخيصه ، فى يوم واحد !** .. كان ذلك يوم نشرت صحف

صورة الصفحة المقابلة : وجه جميل فى روما .. من جيل ما بعد الحرب !

الصباح - وكان اليوم يوم جمعة - خبر وفاة فرانكلين روزفلت ، رئيس جمهورية الولايات المتحدة آنذاك ، وأحد اقطاب الحرب العالمية الثانية التى كانت ما تزال دائرة الرحى فى ذلك الوقت .

ورغم انى كنت قد اعددت من قبل ملخصا لكتاب آخر ، كى ينشر فى تلك الليلة ، أى فى عدد الصباح التالى ، السبت .. فاننى تذكرت على الفور ، بعد قراءة خبر وفاة روزفلت ، كتابا فرنسيا عن حياة روزفلت (بقلم والدته) كنت قد لمحته فى احدى مكتبات شارع عماد الدين منذ أسابيع ، وكان عنوانه : « ابنى فرانكلين » **Mon Fils Franklin**

وفيما انا ارتدى ملابسى ، اخذ خاطر « شبه مستحيل » يلح على ذهنى : ماذا لو اسرع الآن الى المكتبة فأبتاع الكتاب ، واحاول قراءته وتلخيصه وارساله الى المطبعة أولا باول ، ورقة بورقة ، الليلة ؟.. صحيح ان فى وسعى نشر التلخيص فى عدد السبت التالى ، بعد اسبوع واحد ، وان يعتبره القراء يومئذ موضوعا « قديما » .. ولكن نشره الليلة يكون .. « اوقع » !

وقد كان !.. ابتعت الكتاب ، وشرعت فى قراءته .. فى الوقت الذى كلفت فيه الرسام والخطاط بعمل الرسوم والخطوط اللازمة للصفحة التى سينشر فيها .. وجلست

صورة الصفحة المقابلة : فى كثير من بيوت روما ، شرفات مكشوفة للشمس والهواء ، يستمتع سكانها بإغفاءة فيها بعد الغداء ، احيانا على حشية على الأرض ، كما فعلت هذه الحسناء «ادريانا فيورنتينى» التى تعمل « نموذجا » للفنانين .. ورى وقد استلقت فى وضع فنى أمام احد الرسامين .

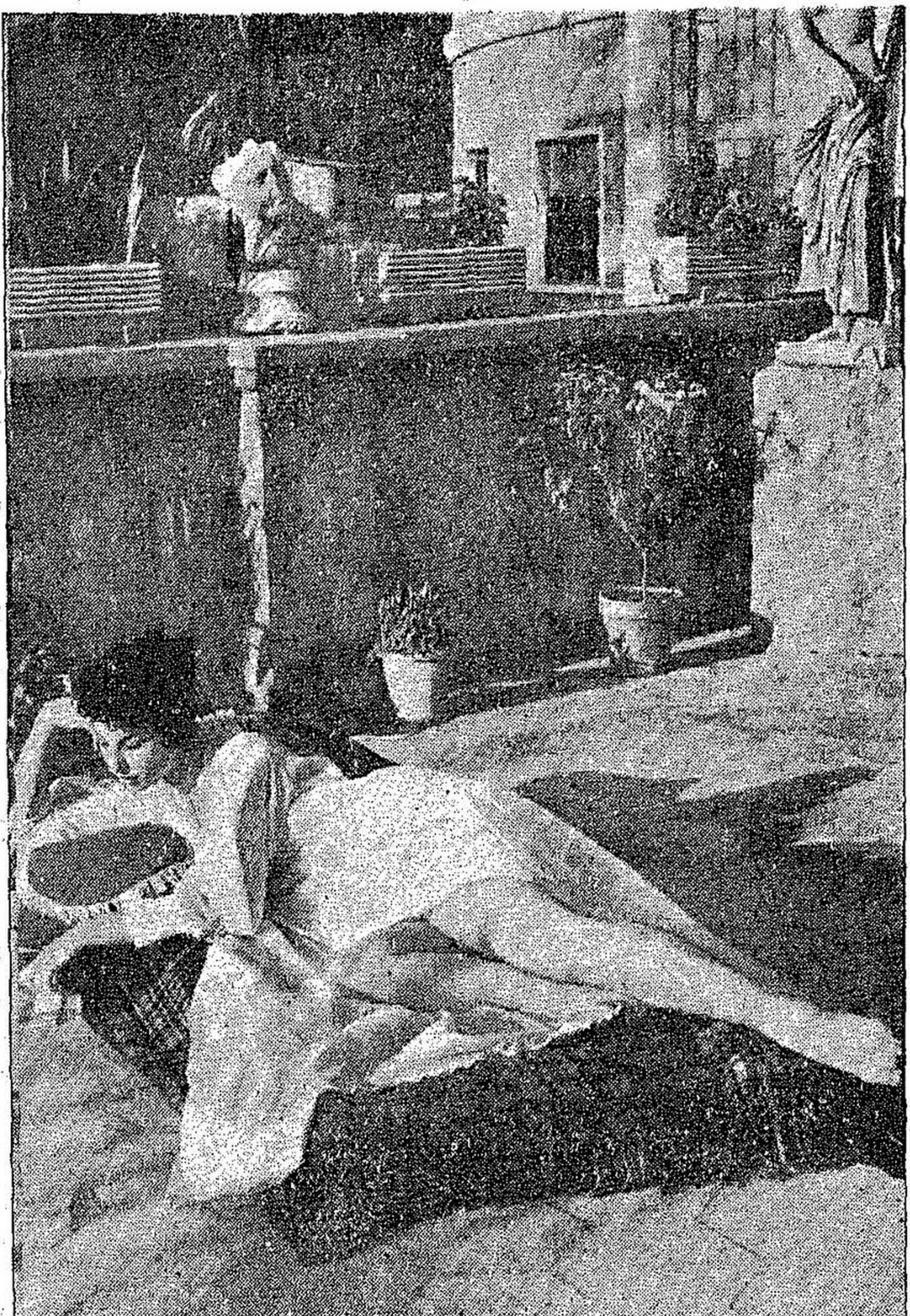

الى مكتبى أعمل ، بسبعة أرواح ، كالدينامو .. وحان موعد الغداء وانصراف زملائى فى الصحيفة ـ وكان منهم الزميلان العزيزان ميشيل داجاتا ، وابراهيم موسى ـ لكنى كنت فى شغل شاغل عن الطعام ، والشراب ، و .. الدنيا بأسرها .. فبقيت أعمل بلا انقطاع ستة عشر ساعة متوالية ، لم اتناول أثناءها حتى « سندوتش » واحد !.. حتى فرغت من مراجعة بروفة التلخيص فى الثانية صباحا ، فانصرفت .. محطما من الاعياء !

وكان نصرا صحفيا وأدبيا من الطراز الأول !

عاصمة السياحة فى اوربا !

وافقت من طوفان ذكرياتى ـ فى غرفتى بفندق (يونيفرسو) ـ فنهضت ، وخرجت من الفندق .. دون ان تكون لى وجهة معلومة !

خرجت الى روما الجميلة .. خرجت الى (المدينة الخالدة) ـ كما يطلق العالم عليها ـ او الى (المدينة العريقة) ، كما يحلو لى أن أطلق عليها ..

ولن احدثك اليوم عن معالم روما التاريخية والفنية ، فقد حدثتك عنها حديثا مستفيضا فيما مضى ، **وانما اوثر**

صورة الصفحة المقابلة : من الاندية الرياضية المرموقة فى روما نادى (لاتسيو) ، الذى يتخصص فى رياضتى السباحة وكرة القدم ، وبه حوض كبير من أحدث طراز ، تسبح فيه ـ فى الصورة ـ البطلة الرياضية « أنا بينيك » التى فازت ببطولة ايطاليا فى سباحة المائة متر والمائتى متر ، منذ ثلاثة أعوام .. وكانت يومئذ فى الخامسة عشرة من عمرها !

اليوم أن أطوف بك شوارع روما الحديثة لنلتقط فى كل بقعه منها لقطة ، ونسجل من صور حياة أهلها فى كل حى صورة ..

وكان اول منظر لمحته وانا ادلف من باب الفندق الى الطريق . امرأة هندية تخرج من باب الفندق المواجه ، مرتدية (الساري) الجميل ، فأحسست كأن (بساط الريح) قد نقلني فجأة الى شوارع (بومباى) ، حيث تختال نساء الهند بالسارى رائحات غاديات وقد تركن شريحة من بطونهن عارية ، اشبه بالحزام العريض ، وحلين جباههن بطابع الحسن القرمزى الذى يتوسط الجبهة على شكل دائرة ، كما تحلى الماسة الثمينة قلنسوة مهراجاتهم الأثرياء ، فى وسطها تماما .. وكم هو جميل أن ترى نساء الهنود يتهادين بزيهن القومى اينما حللت ، فى كل مدن الأرض : فى روما ، وكوبنهاجن ، ولندن ، وطوكيو ، وهونج كونج ، وجنيف ، ومدريد .. الخ

انه منظر شرقى ساحر ، ليس اروع منه غير منظر نساء اليابان وقد ارتدين ((الكيمونو)) المزركش وحملن المظلة التقليدية ، وسرن ((يتدحرجن)) بقباقيبهن فى خطوات قصار ..!

صورة الصفحة المقابلة : فى حى (فيا مارجوتا) — وهو حى أهل الفن ، الذى يقابل (مونمارتر) فى باريس — وقف المثال ((أسبين بيكوف)) ينحت تمثالا لرأس سيدة من ذوات الاسماء اللامعة فى مجتمعات روما ، هى السيدة ((ماريا رومانا كاتى دى جاسبيرى)) ، ابنة الرئيس الراحل للحزب المسيحى الديمقراطى فى ايطاليا .

و (روما) تكاد تكون الآن عاصمة السياحة فى العالم .. فيها تلتقى بنماذج منتقاة من كل شعوب الأرض ، وتسمع شتى لغات البشر ولهجاتهم ، وكأنك فى (بابل) حديثة !.. وقد أفتن أبقوم فى اجتذاب السياح من كل حدب وصوب ، وفى توفير كافة وسائل الراحة والمتعة لهم .. وفى مقدمتها طبعا ، العدد الوفير من الفنادق : ففى البقعة المحيطة بفندق يونيفرسو الذى نزلت فيه ، وخلال جولة قصيرة لم تزد على عشر دقائق ، على قدمى ، استطعت أن أحصى الفنادق العديدة التالية ، وكلها متجاورة ومجاورة لمحطة روما الرئيسية : جراند أوتيل .. كونتيننتال .. متروبول .. تورينو .. ديانا .. سان ريمو .. البرجو ديورنو .. كازا دل باساجيرو .. لورد نيتزا .. الخ .. الخ .. ناهيك بفنادق شارع (فنيتو) العالمية الفاخرة ، وفى مقدمتها : ريجينا ، امباسكياتورى ، واكسلسيور .. الخ .

فاذا علمت أن عدد السائحين الذين زاروا ايطاليا فى العام الماضى بلغ ٣٧ مليونا ، وقدرت الحد الادنى الذى ينفقه السائح الواحد ، فى اليوم الواحد ، استطعت أن تستنتج كم من « مئات الملايين » من الجنيهات تستطيع السياحة أن تدر على البلد الذى يتقن « صنعتها » !

.. هذا برغم ان ايطاليا تعتبر الآن من أغلى بلاد العالم .. ويكفى أن أسوق اليك من أمثلة هذا الغلاء ان زجاجة الكوكاكولا فى مقهى (كافيه دى بارى) تكلفك ٢٥٠ ليرة ايطالية ، اى ما يوازى اربعة اضعاف ثمنها فى (جروبى) بالقاهرة مثلا !.. وقس على ذلك أسعار وجبات الطعام فى المطاعم والمشارب ، ونفقات المعيشة جميعها بوجه عام .. بل أن أسعار الأدوية والروائح العطرية المستوردة ، تفوق أثمانها — فى صيدليات روما — أسعارها فى القاهرة بكثير !

.. وكذلك الأمر بالنسبة للاقمشة « غير الايطاليـــة » ، وشتى انواع البضائع المستوردة ، سواء من انجلتـــرا أو الولايات المتحده او عيرهما ..

والآن ، تعال نقم بجولة فى أحيــاء روما ، وميادينها ، وشوارعها التى تعج بعابريها ، من الايطاليين والاجانب .. ان بعضهم يســير على الاقــدام ، مســتمتعا بشمس روما أساطعة وطقسها المعتدل ـ الشبيه بطقس القــاهرة ـ وبعضهم تمرق به سيارات « الفيات » الصغيرة مسرعة ، فى كل اتجاه .. والبعض الثالث ينطلق كالصاروخ على « الفسبا » التى تتفشى فى شوارع روما تفشــيا ذريعــا ، ويركبها الرجال والنساء على السواء .. وأحيانا تقودها فتاة ووراءها ـ على المقعد الخلفى ـ شاب يحيط خصرها بذراعيه ..

ولنبدأ جولتنا من حى « شــعبى » لطيف من احيــاء روما ، ذى طابع جذاب ـ أو هكذا هو فى رأيى على الأقل ـ ويدعى حى (ترا ستيفيرى) .. **ولهذا الحى قصة** : ففى صيف كل عام ، فى أواخر شهر يوليو ، يحتفل أهل الحى ـ فى مرح صاخب ـ بمهرجان خاص بهم ، يطلقــون عليــه « عيدنا الخاص » (فيستا دى نوانتــيرى) ، ويســتمر أسبوعا كاملا ، تظل الشوارع خلاله مضاءة طول الليل ، ويقبل الجميع ـ حتى الأطفال ـ على السهر الى ســاعة متأخرة من الليل .. وخلال ذلك الاسبوع يســتهلك أهل الحى « أطنانا » من الشطائر (السندويتشات) ، وتختفى « جبال » من شرائح البطيخ البارد الشهية (ويســمونه Cocomero) داخل الحلوق الظمآى من شدة الحر.. حلوق أهل الحى ، والقادميــن من احيــاء روما الاخرى للمشاركة فى العيد ، ثم السائحين الاجانب الذين يجذبهم

الفضول الى هذا المرح الصاخب .. **والبطيخ فى عرف أهل الحى ثلاث فوائد : فهم يأكلونه ، ويشربونه ، ويغسلون فيه وجوههم بعد ان يفرغوا من قضم شرائحه بأسنانهم !**

.. وترى فتاة واقفة على عتبة حانوت للرماية ، وهى تمسك ببندقية وتبتسم ، داعية الجماهير الى المراهنة على مباريات « النيشان » !

ورغم الفقر الذى يخيم على الحى ، فان فيه بعضا من المطاعم الصغيرة التى اشتهرت بجودة اطعمتها و « جوها » التقليدى ، بحيث صارت ملتقى السياح الذين يعشقون الاجواء الشعبية الاصيلة فى البلد الذى يزورونه .. سيما وان الحياة الليلية ـ بالمعنى المعروف ، اى حياة الملاهى والكباريهات ـ ليست فى روما بذات بال ، وبرامجها اقل من « العادية » ، بحيث لا تعتبر من سمات المدينة التى تجذب زائريها .. ومن ثم يكثر الاقبال على قضاء السهرات فى المطاعم الصغيرة المندسة فى بعض الأزقة الشعبية او الاماكن ذات الاهمية التاريخية ، ومنها مطعم ـ دعتنا

صورة الصفحة المقابلة : من أهم « أحداث » المجتمع الايطالى فى روما ، المباريات الدولية لسباق الخيل ، (التى يطلقون عليها بالايطالية « كونكورسو ايبيكو ») ، وتقام فى حلبة « بيازا دى سيينا » الفسيحة ـ التى أقيمت فيها مباريات سباق الخيل اثناء الدورة الاوليمبية عام ١٩٦٠ ـ وفى الصورة احدى رائدات السباق تتحدث الى صديق خلال فترة الاستراحة بين الأشواط ، وفى يدها قدح من عصير الليمون .

اليه « مدام بيانكا » فى المساء ــ يشرف على أطلال أثرية تفوح منها رائحة التاريخ الرومانى العريق ! .. ويملك المطعم المذكور ، ويديره ، عضو بارز من أعضاء البرلمان الايطالى ..

وفى حى (ترا ستيفيرى) مطعم صغير ذو سحر خاص ــ شبيه بسحر قهوة ((ألفيشاوى)) فى القاهرة ، مثلا ــ وتملكه امرأة تدعى ((شنشيو)) ، انها مكانة ((فنية)) خاصة فى الحى ، اذ لا يكاد ينتصف الليل حتى تنطلق تغنى لرواد مطعمها أغانى شعبية باللهجة العامية ، بل السوقية ، فتمسى الشخصية الرئسية التى تقوم على تسلية الحاضرين . اما قبل ذلك ، فى الساعات المبكرة من المساء ، فيقوم بهذه المهمة سقاة المطعم وندله ، الذين يرفعون عقيرتهم بالغناء وهم يروحون ويجيئون بين الموائد ، حاملين اطباق الاطعمة !.. وبين الحين والآخر ، يقطعون الخدمة لينضموا معا فى اغنية جماعية .

وفى بقعة أخرى من الحى ، بالقرب من ميدان(دى سانتا

صورة الصفحة المقابلة : التقليد الوحيد الحتمى الذى تحرص عليه كل زائرة لروما ــ من النساء ــ هو أن تلقى الى الوراء ، من فوق كتفها ، قطعة من العملة المعدنية فى نافورة (تريفى) المشهورة ، التى تقول الاسطورة الشائعة ان كل من يرمى فيها قطعة من العملة لابد أن يعود مرة أخرى الى روما ، الراقدة على ضفة نهر (التيبر) . وفى الصورة خمس فتيات إستراليات يحرصن على العودة الى روما ثانية !

ماريا) ، تجد امرأة جاوزت طور الشباب تعزف على الكمان المنفرد فى وسط الطريق ، كى تجلب الرواد الى مطعم آخر يقع على الرصيف المواجه ، فى الهواء الطلق ..

وهذه حسناء باهرة الجمال تطل من نافذة متواضعة فى شارع (فيكولو دى رينزى) وأمامها حبل الغسيل قد انتشرت عليه بعض الثياب ، والى جوارها صبى لا تستر جسمه سوى « فانلة » بلا أكمام .. ان الجمال يزدهر احيانا فى الاسمال !

وفى شارع ضيق ، أرضه من الاحجار المتآكلة ، وعلى عتبة باب بيت عتيق ، وقفت امرأة تأكل « ساندويتش » وفوق راسها نافذة ذات قضبان حديدية تجعل المكان يبدو كأنه مدخل سجن قديم . **والمفارقة العجيبة ان هذا الزقاق الفقير يسمى « فيا ديللا بيليشيا » ، أى شارع « الفراء » !**

وكثير من مظاهر الحياة فى حى (تراستيفيرى) يجرى فى الطريق ، فترى امرأة تجلس على مقعد خارج باب بيتها وهى تقشر البطاطس فى الهواء الطلق ، فى الصباح الباكر ، بينما تلتقط ـ وتتبادل ـ مع جارتها آخر الشائعات !

وهذه فتاة تملأ « فياسكة » نبيذ فارغة بالماء ، من صنبور على قارعة الطريق .. ذلك ان الماء فى روما ـ على

صورة الصفحة المقابلة : مرة فى كل عام ، تقام فى حدائق (فيللا بورجيزى) بروما مسابقة فى الأناقة .. حيث يتبارى ـ فى محاولة لفت الانظار ـ الابتكار فى طراز السيارات ، مع السيقان الرشيقة والخصور المشوقة ، وأحدث أزياء الثياب والقبعات !

العكس مما يعتقده كثير من الاجانب ، ولاسيما الامريكيون ـ عذب لذيذ ، صحى ، رائع الشفافية ..

وفى نهاية ذلك الحى ، عند اتصاله بحى (بورتا بورتيزى)، تقع سوق ((الكانتو)) ـ وتدعى سوق (فليا) ـ والجولة فى هذه السوق ، سواء للشراء او لمجرد « الفرجة » ، متعة لافراد الطبقتين المتوسطة والفقيرة ، ولاسيما صباح يوم الاحد ، حين يكثر روادها وتكثر المعروضات .. فهناك يجد المرء الكثير من الأشياء الثمينة ، بأسعار زهيدة . ومن أمثلة البضائع التى تعرض فيها : اللوحات الفنية ، والتماثيل ، والقطع الاثرية ، وسواها .. فضلا عن الملابس الجاهزة بجميع أنواعها .. ولما كانت السوق تخلو بطبيعة الحال من غرف لاستبدال الثياب ، فان من المناظر المألوفة هناك أن ترى الزوج أو الصديق يساعد امرأة على قياس معطف أو « بول اوفر » ، أو .. الخ .

أسواق الزهور .. واللحوم .. والقطط الضالة !

والزهور فى روما أسواق كثيرة ، أكبرها سوق ميدان « فيتوريو » ـ أو « فيكتور عمانوئيل » ـ حيث تجد كل ما يخطر بالبال من أصناف الورود والزهور ، منسقة تنسيقا بديعا ، متجانس الألوان ، فى عربات متراصة .. وفيما عدا هذه السوق ، فان الزهور تباع فى روما فى كل مكان : فى ميدان « المجدلية » ، (بياتزا ديللا مادلينا) ، بجوار الكنيسة المعروفة بنفس الاسم ..وفى ميدان (كامبو دى فيورى) المجاور لمبنى السفارة الفرنسية الاثرى المشهور ـ المعروف باسم قصر فارنيزى ـ حيث ترى عجوزا ذات وجه يبدو كالآثار المنحوتة ، تبيع ازهار « التيوليب » الهولندية ..

ومن أطرف ما تراه أيضا في ميدان (فيتوريو) ، امرأتين من عضوات ((جمعية الرفق بالقطط)) ، تعنيان باطعام القطط الضالة . ويبلغ عدد القطط التي ترعاها الجمعية حوالى ٢٥٠ قطة ، وأغلب العضوات ينفقن على اطعامها من جيوبهن الخاصة ..

وفى نفس الميدان ، تجد أشهر أسواق اللحوم والخضروات فى روما ، واكبرها ، وأحبها الى النساء . ورغم انتشار الثلاجات الكهربائية فى البيوت ، فان أكثر نساء روما لا يزلن يخلصن لعادة التردد يوميا على أسواق المأكولات ، لانتقاء ما يلزمهن . هناك تجدهن يتهافتن ويتصايحن فى طلب لحوم الضأن الصغيرة (ويطلقن عليها « أباكشيو ») ، كى يطهينها فى الفرن ، بعد تزويدها بالثوم والتوابل ! .. ثم يعرجن على احدى بائعات الخرشوف ، فيبتعن منها بعض ثماره المنتقاة .. وأهل روما يطهون الخرشوف بطريقتين ، كلاهما أشهى من الأخرى : الأولى يخلط فيها بالنبيذ ، والزيت .. والطريقة الاخرى (ويطلقون عليها « الا رومانا ») يطهى فيها بالتوابل والثوم والزيت ..

هل فرغت من التزود بفكرة سريعة عن سوق اللحوم وسوق الخضروات ؟.. اذن تعال نعرج على سوق الفاكهة . انها فى روما عامرة بالفواكه ، الايطالية والمستوردة ، سواء من البلاد الحارة أو الباردة .. ففيها تجد الخوخ الايطالى الممتاز ، والعنب بكافة أصنافه وألوانه ، الى جانب شرائح البطيخ الباردة (التى تباع بالشريحة وليس بالبطيخة) .. ثم البرتقال الوارد من (صقلية) ، والتفاح ، والبرقوق ، والموز .. الخ .

والآن ، تعال نترك ميدان (فيتوريو ايمانويل) هذا ، لنمضى الى ميدان آخر من أشهر ميادين روما ذات الطابع

التقليدى .. أنه ميدان اسبانيا (بياتزا دى سبانيا) ، ذو الطابع الخاص النادر . وأول ما يلفت النظر فيه انك تستطيع الوصول اليه من طريقين : احدهما مستو ، يتفرع من قلب المدينة وشوارعها الرئيسية .. والآخر طريق علوى مرتفع يهبط بك الى الميدان من ساحة (ترينيتا دل مونتى) بواسطة عشرات السلالم العريضة (التى يبلغ عرضها فى بعض المواضع عشرات الامتار) ، والتى تتفرع فى منتصفها ، أكثر من مرة ، الى فرعين يلتقيان حول ساحة وسطى تعتبر بمثابة طابق ثان أو ثالث، وهكذا .

والى يسار السلالم المذكورة يقع المنزل الذى كان يقطنه الشاعر الانجليزى ((جون كيتس)) ، وقد صار الآن متحفا يزوره السياح والشعراء ، وعشاق أدب كيتس من قراء الانجليزية .

وتعتبر سلالم ميدان اسبانيا من إشهر معالم روما التى يتواعد الاصدقاء على اللقاء والجلوس على جوانب درجاتها العريضة ، دون أن يؤثر ذلك بحال على مواكب الهابطين والصاعدين .. واذا تأملت الجالسين على جانبى المدرجات ، تجدهم خليطا عجيبا من البشر : سائحات وسياحا من شتى الاقطار ، ومختلف الاعمار ، جلسوا يستريحون بعد طول التجوال بين معالم المدينة الخالدة ، وفى يد كل منهم ، او

صورة الصفحة المقابلة : فوق مقاعد متنقلة انيقة ، جلست طالبات وطلبة كلية هندسة المعمار بجامعة روما ، أثناء حصة تمرين على الطبيعة ، فى حدائق (فيللا بورجيزى) ــ التى أقيم فيها تمثال شاعرنا شوقى .

ذراعه ، آلة تصوير .. وفتيات وفتيانا ايطاليين من طلبة جامعات روما ومعاهدها ، يستذكرون محاضراتهم فى فترة فراغ .. ورسامين أو نحاتين يمارسون فنهم فيرسمون حسناء . أو يصنعون لها تمثالا .. وبائعات زهور يعرضن بضاعتهن ذات الالوان الزاهية والعطر الفواح .. وموسيقيا يعزف ألحانه على كمان أو « أكورديون » .. وعجائز بدينات يلاعبن أحفادهن وقد احضرنهم للنزهة واستنشاق الهواء ، أثناء انهماك الامهات فى أعمالهن ، فالتقين بصديقات وجارات وانهمكن فى الثرثرة معهن بالصوت المرتفع المأثور عن شعوب البحر الابيض !

.. فاذا صعدنا السلالم الى الساحة العليا ، التى تشرف على منظر خلاب للمدينة يكشف للانظار قطاعا كبيرا منها ، رأينا العشاق أزواجا قد انتحوا أركانا متباعدة ، وراحوا يتناجون وقد استثار المنظر خيالهن ، وحرك عواطفهن .. وهذه عجوز قد استسلمت للوحدة فى ساعة الغروب ، مستمدة من الضياء الناعم للشمس الغاربة ، ومن الهدوء الشامل الذى يسود الساحة فى تلك الساعة ، فرصة للتأمل واستعادة الذكريات ..

صورة الصفحة المقابلة : احدى بائعات الخوخ الشهى فى شوارع روما ، أمام عربتها فى ميدان « فيتوريو - فيكتور - عمانويل » ، وقد نصبت بين حبات الخوخ لافتة كتبت عليها سعر الكيلو منه وقدره ٤٠ ليرة فقط ، (أى سدس ثمن زجاجة الكوكاكولا فى مقاهى شارع فينيتو !)

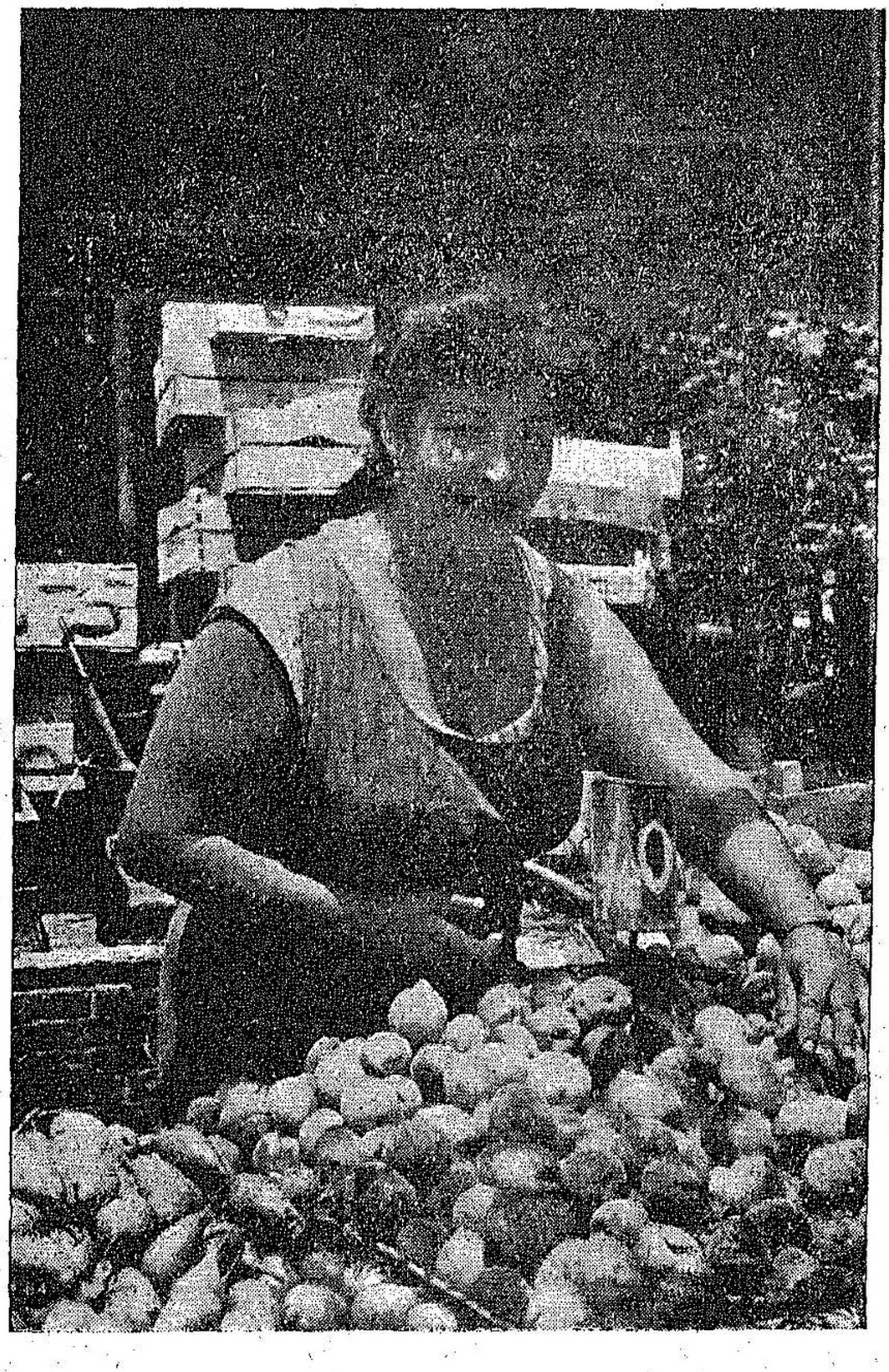

جنات العشاق .. فى المدينة الخالدة

وللعشاق فى روما أماكن كثيرة أخرى للقاء ، منها طريق (آبيا أنتيكا) القريب من سراديب اختباء المسيحيين من الاضطهاد الرومانى فى القرن الاول للمسيحية .. **فهناك تحلو الخلوة فوق بعض الاطلال الأثرية ساعة الغروب ، حين تبدو أشجار الصنوبر ، بل والمقابر القديمة ذاتها ، وكأنها تزفر أنفاسا ناعمة ، تحنو على العشاق وتطلق كامن الهوى المكبوت فى الصدور ..**

.. وفى ذلك الطريق ، يكثر المتنزهون بالـ « فسبا » ، وقد تعلقت كل فتاة عليها بخصر صاحبها الذى يقودها منتفخ الأوداج زهوا ، وكأن ضجيج الآلة الصاخبة المنطلقة بأقصى سرعتها تعبير عن قوته ورجولته !

ومن جنات العشاق ايضا فى روما ساحة (بنشيو) ، المطلة على منظر رائع آخر المدينة ، والميدان (دل بوبولو) بالذات .. وفيها يلتقى الشباب من الجنسين ، وتتزاحم السيارات فوق الربوة ، ولا سيما ساعة الأصيل ، أو صبيحة يوم الأحد ، حين ينسلون اليها من حدائق بورجيزى التى تحيط بها .. وما أكثر من يأتون الى تلك الساحة فرادى ، ويعودون أزواجا !.. أو يأتون أزواجا ليقضوا وقتا طيبا فى استنشاق الهواء ، والشرثرة ، والفرجة ، والتحدث فى السياسة ، وفى الحب !.. وأحيانا يأتى الى

صورة الصفحة المقابلة : يحلمان بعش المستقبل ، وهما يطلان على مياه نهر (التيبر) .. وفى الخلف جانب من السلالم التى تكثر فى روما ، والتى يصعد المارة عليها من شارع الى شارع !

الساحة حبيبان للنزهة ، فيتناولان غداء بسيطا على احد المقاعد ، ثم يدلفان الى « غابة » بورجيزى ، حيث يستلقيان على الحشائش بين الاعشاب الكثيفة ، ليقضيا ساعة القيلولة ، فى ذلك الجو الحالم الذى يقول اهل روما ان المرء يستطيع أن يقضى فيه نصف عمره !.. وهم يتندرون بالقول ان قبلة فوق الحشائش فى حدائق بورجيزى ، غالبا ما تؤدى الى .. ارتداء طرحة الزفاف !

الدنيا تمر امامك .. فى مقاهى (فيا فينيتو) !

وحسبنا هذا من ساحة (بنشيو) وحدائق بورجيزى، ولنخرج من الطرف الآخر للحدائق ، عبر احدى البوابات الأثرية ، الى الطريق المؤدى بعد دقائق الى قلب روما النابض .. الى شارع (فينيتو) المشهور ، الذى يزدحم – على الجانبين – بالمقاهى المتراصة على أرصفته فى الهواء الطلق ، والذى يبدو – ولا سيما فى الاعياد وأيام الآحاد والعطلات – شبيها بالشارع الخامس (فيفث افينيو) فى نيويورك .. أما فى العصارى ، وليالى الصيف ، فهو خليط من (الجران بوليفار) والشانزليزيه بباريس !.. وتعتبر مقاهيه فى نظر أهل روما ، فى مكانة مقهى (فوكيه) بالنسبة لأهل باريس . أما بالنسبة للسياح ، فكل مقاهيه هى (كافيه دى لابيه) .. وهو على أى حال ، بالنسبة للجميع ، أمتع مكان تجلس فيه لتتحدث وترى الدنيا – ونساء روما – تمر امامك !

وفى الفصل القادم نغادر روما معا .. الى (بانجكوك)

BALTHASAR

PAR

ANATOLE

FRANCE

للأديب الفرنسي الأشهر

اناتول فرانس

ترجمة : حسين القباني

عزيزى القارىء :

يصدر هذا العدد من « كتابى » ، والعالم يستقبل عيد السـلام .. **عيد مولد السيد المسيح .**

ولقد كتب كثيرون عن هذا الحـدث الذى كان من الانقلابات الكبرى فى تاريخ البشر .. كتبوا عن الظواهر التى سبقته .. وكتبوا عن الظواهر التى صاحبته .. ثم كتبـوا عن السـيد المسيح وحوارييه وأعـدائه ورسالته الدينية والانسانية .. وكتبوا عن الأحداث التى توالت بعـده ، اذ أصبحت المسيحـية أكثر من مجرد رسـالة دينيـة ، وأكثر من مجـرد دعـوة .. **وأكثر من مجرد اشراقة فى عالم كان قد ساده الظلام .. ظلام العقول ، وظلام النفوس ، وظلام القلوب ..**

والقصة التى أقدمهـا لك اليوم ، من أروع ما كتب الأديب الفرنسى الخـالد الذكر « **اناتول فرانس** » ، استوحاها مما ورد فى « التـوراة » عن الظواهر التى سبقت مولد السيد المسيح ، ولكن خيـاله الشاعرى أسبغ عليهـا غلالة رومانسية جعلتهـا قصة عاطفيـة طريفة ، وتحليـلا نفسيا دقيقـا ، وعرضا روائيـا مشوقا ..

***

كان « بلتازار » ــ الذى يسميه الأغريق « سراسين » ــ ملكا على اثيوبيا . وكان شابا ، اسود الاهاب ، جميل الملامح كريم النفس ، طيب القلب .

وفى العام الثالث من حكمه ــ وقـد بلغ الثانية والعشرين من عمره ــ غادر مقر ملكه ، فى زيارة لبلقيس ــ ملكة سبأ ــ مصطحبا الحكيم « سيمبوبيتس » ، والسمير « مينكرا » ،

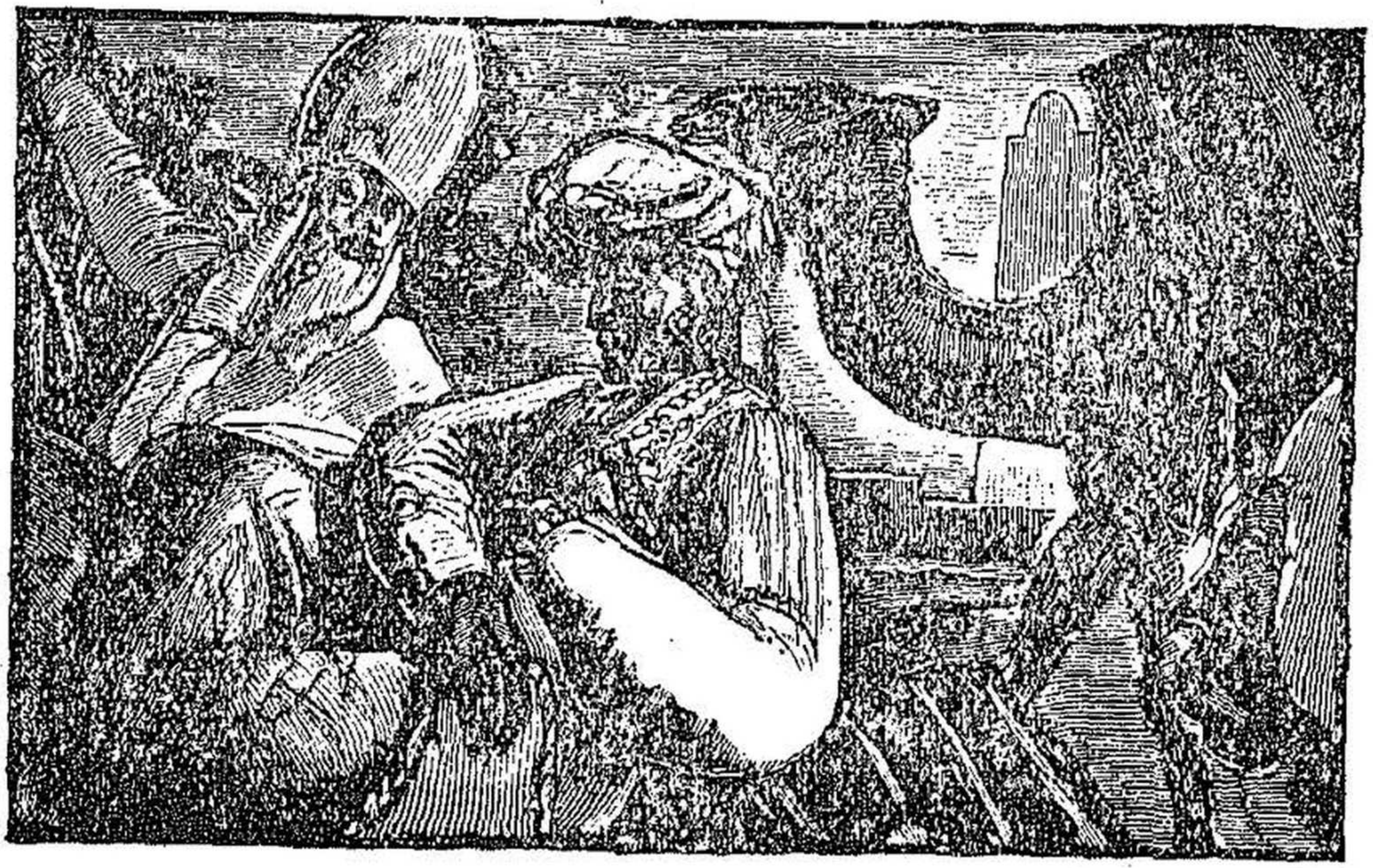

وخمسة وسبعين جملا محملة بالعطور ، والتحف ، والعاج ..

وراح الحكيم يحدث الملك الشاب - خلال الرحلة - عن أسرار النجوم ، وخصائص الأحجار الثمينة .. بينما كان السمير ينشد له مقطوعات من الأساطير ، حتى بلغ الركب - بعد مسيرة اثنى عشر يوما فى جوف الصحراء - مكانا ظليلا يشرف على الحدائق الغناء المحيطة بمدينة (سبأ) . ومن هناك ، سار الركب فى درب يؤدى الى أسوار المدينة . واذا الملك ورفاقه يلمحون باقات من العذارى الفاتنات ، يرقصن تحت أشجار الرمان المزهرة ، رقصات تفتن الألباب .. فقال الحكيم « سيمبوبيتس » ، وهو يرنو اليهن :

- ان الرقص يامولاى دعاء .. وصلاة !

وقال السمير ، وهو يلعق شفتيه :

- هؤلاء العذارى يساوين ثروة طائلة ، فى سوق الجوارى !

ودخلوا المدينة ، فأدهشهم ما رأوا من متاجر ، ومصانع ،

ومعابد . . ومن البضائع الوافرة ، من كل صنف ولون . وبعد ان ساروا فترة فى شوارع مزدحمة بالمركبات والحمالين والمكاريين ، طالعهم قصر «بلقيس» بجدرانه المرمرية ، وقبابه الذهبية . .

***

واستقبلتهم ملكة سبأ فى قاعة فسيحة من القصر ، يرطب جوها رذاذ من الماء المعطر . كان ينبثق – على هيئة الورد – من نافورات مرمرية مموهة بالذهب .

وبدت الملكة باسمة ، وقد ارتدت ثوبا مرصعا بالجواهر . **أما جمالها ، فكان يشع النور حولها . فلا عجب ان خفق قلب الملك الشاب وهو يراها أفتن من احلام اليقظة ، واروع من اعذب الأمانى !** . . ومال الحكيم على اذن مولاه هامسا : «لا تنس يامولاى أن تعقد معها معاهدة تجارية !» . . بينما همس السمير بدوره : «حذار من فتنتها يامولاى ، فانه يقال انها تحمل تميمة سحرية تأسر بها قلوب الرجال !»

وما لبثت حاشيتا الملكين ان انسحبتا ، ليخلو الملك الشاب الى الملكة الفاتنة . . وحاول «بلتازار» أن يقول شيئا ، ولكن بسحر جمال الملكة عقل لسانه ، فظل صامتا . ومن ثم بدأت هى الحديث . **فقالت بصوت أعذب من ايقاع النغم : «مرحبا بك يامولاى . . هلا تفضلت بالجلوس هنا . . بجانبى !» . واشارت باصبع دقيقة ، انيقة – كأنها صيغت من شعاع الفجر – الى وسادة من الحرير . فجلس بلتازار وهو يتنهد** . ثم امسك بوسادتين فى عنف وهتف : «مليكتى . لبت هاتين الوسادتين عملاقان من أعدائك ، فكنت امزقهما هكذا . .»

وراحت أصابعه الابنوسية القوية تعمل فى تمزيق

الوسادتين وهو يتحدث ، فتطاير منهما ريش النعام الناعم . وترنحت منها ريشة فى الجو ، ثم استقرت على صدر الملكة ، التى قالت وقد توهجت وجنتاها : « ولماذا تريد ان تقتل العمالقة يامولاى ؟ »

ـ لأنى أحبك !

فبادرت الى تغيير مجرى الحديث ، قائلة : « أخبرنى .. هل مياه الآبار فى مملكتك عذبة صافية ؟ » . فدهش الملك للسؤال ، ولكنه رد بالايجاب . فعادت تسأله ، وهى تخفى ارتباكا ألم بها : «اغفر لى فضولى اذا سألتك : كيف تصنعون الحلوى من الفواكه المجففة ؟ »

واذ حاول الملك أن يجيبها بقدر ما يعلم ، اذا هى تقاطعه وكأنها لم تسمع كلمة واحدة ، مما قال : **((مولاى .. يقال انك تحب جارتك الملكة كانديس ، فهل تراها أجمل منى ؟.. صارحنى !))** . فهتف الشاب وهو يلقى بنفسه عند قدميها : « أجمل منك ؟!.. وهل على ظهر الأرض من هى أجمل منك ؟ »

ـ اذن صف لى عينيها ، شفتيها ، لون بشرتها ، جمال عنقها ، ارتفاع صدرها .. !

فبسط بلتازار ذراعيه ، وصاح : **((امنحينى هذه الريشة الصغيرة ، التى استقرت على صدرك ، أهبك نصف مملكتى ، ومعها الحكيم سيمبوبيتس والسمير مينكرا !))**

ولكن الملكة نهضت من مكانها واسرعت تغادر القاعة ، مخلفة وراءها أصداء عذبة لضحكة كرنين الفضة !

***

وفى المساء ، جلس « بلتازار » مع الملكة الى مائدة العشاء . وراح يحتسى خمر البلح ، وهو ينصت اليها .. ومضت

تقول فى معرض الحديث : « اذن فالملكة كالديس ليست على شيء من جمالى ؟ » . فقال : « انها سوداء البشرة ! »

ـ قد يكون المرء أسود اللون ، ولكنه جذاب الملامح !

فهتف الملك الشاب وهو يأخذها بين ذراعيه : «بلقيس ! »

وشرع يضغط شفتيها بشفتيه ، فى قبلات حارة ملتهبة . ولكنه لم يلبث أن فوجيء بدموعها تنحدر كحبات اللؤلؤ على وجنتيها . فأخذ يناجيها بصوت رقيق هامس ، ويسألها فى لوعة : « لماذا تبكين يامولاتى ؟ .. خبرينى ماذا أصنع لأمسح الدموع عن عينيك ! »

وامسكت عن البكاء أخيرا ، ثم قالت بعد برهة من التفكير : **« لكم اتمنى ان اعرف .. ماهو الخوف ! »**

ثم راحت تذكر له أنها تمنت كثيرا لو تعرضت لأخطار خفية ، ولكنها كانت محرومة من تحقيق هذه الأمنية ، لأن آلهة بلادها ، وجنودها الأقوياء ، كانوا يسهرون على سلامتها. واستطردت تقول : **« كثيرا ما أهفو ـ فى سكون الليل ـ الى هذا الاحساس العذب المثير .. الاحساس برعب ينفذ الى أعماقى .. بفزع تشيب له خصلات من شعرى .. آه ، ما أمتع الاحساس بالخوف .. انه سر الحياة ! »**

ثم لفت ذراعيها حول عنق الملك الأسمر ، وقالت بدلال : « لقد أتى الليل يا مولاى ، فهلا جئت معى ، نجوس خلال المدينة متنكرين ؟! » .

فلما أعرب عن رضاه ، أسرعت الى نافذة فى القصر ، فأطلت على الميدان الممتد وراء الأسوار ، وقالت وهى تتنهد : « أرى متسولا يقترب من أسوار القصر ، فاسرع اليه ، واستبدل ملابسك بملابسه ، ريثما اتنكر أنا فى ملابس عادية ! »

وانفلتت من القاعة ، وهى تصفق فى مرح كالأطفال !

وما أن استبدل « بلتازار » بملابسه الموشاة بالذهب ، ملابس المتسول المنسوجة من وبر الابل ، حتى أقبلت « بلقيس » متنكرة فى جلباب أزرق ، من النوع الذى ترتديه الفرويات . ثم تقدمت ضيفها فى سراديب ضيقة ، حتى بلغا بابا صغيرا يفضى الى الحقول .

وفى ظلمة الليل الحالكة ، بدت الملكة صغيرة الجسم ، وهى تمضى مع « بلتازار » الى حانة كانت ملتقى لطلاب اللهو وبنات الليل . وهناك جلسا الى احدى الموائد القذرة ، والهواء الفاسد يكاد يخنقهما .. وراحا يشاهدان بعض الوحوش الآدمية وهم يتضاربون بالمدى واللكمات ، من أجل بغى أو فى سبيل قدح من الخمر الرخيصة . وكان بعض السكارى يرقدون تحت الموائد مخمورين ، وصاحب الحانة جالسا على بعض البراميل ، يرقب ما كان يجرى فى غير اكتراث .

واذ رأت « بلقيس » بعض الأسماك المجففة ، معلقة فى سقف الحانة ، قالت لبلتازار هامسة : « كم أود أن أتذوق بعض هذه الأسماك ، مع مسحوق البصل ! » . وسرعان ما أمر « بلتازار » الساقى بأن يحضر ما طلبت . **ولكنه اكتشف — بعد الفراغ من الأكل — انه كان قد نسى نقوده فى الرداء الذى أعطاه للمتسول ، فقرر أن يتسلل هاربا مع بلقيس** . بيد أن صاحب الحانة لمحهما وهما يتسللان ، فاعترض سبيلهما ، وراح يصب على رأسيهما وابلا من الشتائم والسباب . وعندئذ هجم « بلتازار » عليه ، ووجه اليه لكمة ألقت به على الأرض .

وسرعان ما تجمع بعض السكارى حوله وحول بلقيس ، مشهرين مديهم وخناجرهم . ولكن الملك الشاب القوى التقط مدقا مصريا — مما يستعمل لسحق البصل — وأسقط به اثنين

من المهاجمين ، وأرغم الباقين على التراجع . وكانت قوته تتضاعف كلما شعر بجسد « بلقيس » الدافىء ، وهى تلتصق به فى خوف وفزع !

وعمد السكارى — حين عجزوا عن مقاومته — الى قذفه بأقداح الشراب ، وأوعية الطعام ، والمصابيح المشتعلة ، والآنية النحاسية الضخمة .. وسقط أحد هذه الآنية على رأس « بلتازار » فشجها . ولكن الشاب استجمع قوته ، وراح يقذف بالآنية على أعدائه ، فى قوة هائلة ، فكان لها دوى مروع ، اختلط بصيحات النزع وأنين الجرحى والمحتضرين ..

وانتهز بلتازار هذه الفرصة ، فحمل «بلقيس» بين ذراعيه ، وانطلق بها خلال شوارع جانبية ضيقة يخيم عليها السكون والظلام .. حتى اذا بلغ شاطىء جدول صغير ينساب بين المزارع ، توقف برهة مأخوذا بالسكون الرهيب ، وقطرات

ا لدم تتساقط من رأسه على صدر « بلقيس » التى استكانت بين ذراعيه .

وهمست الفاتنة بصوت متهدج خافت : ((**أحبك !**))

وعندئذ ، برز القمر من فجوة بين السحب ، فرأى « بلتازار » على ضوئه الناعم وجه الملكة الحسناء .. وفيما هو يرتوى بنظراته من نبع جمالها ، زلت به قدمه على العشب الندى ، فسقط بحمله .. والتصق الجسدان فى عناق طويل ، لم يفيقا منه الا حين اقبل موكب الفجر ، وفى ركابه المها والغزلان تسعى من وراء الصخور والأشجار ، لترتوى من الغدير .

***

ومر فى تلك اللحظة جماعة من قاطعى الطريق ، فلما رأوا الحبيبين المتعانقين ، قال بعضهم لبعض : « انهما ــ كما يبدو من مظهرهما ــ فقيران ، ولكنهما فى ميعة الصبا .. يساويان مبلغا كبيرا فى سوق الرقيق ! »

وسرعان ما أحاطوا بهما ، فقيدوهما ، وشدوهما الى ذيل حمار ، وانطلقوا بهما ..

وبينما راح ((بلتازار)) يهدد اللصوص بالموت والدمار ، كانت ((بلقيس)) تبتسم فى سرور !

وسار الجميع على هذه الحال فى دروب موحشة مهجورة ، حتى ارتفعت الشمس ، واقتربت الظهيرة . وعندئذ ، سمح للأسيرين بالاستراحة برهة فى ظل صخرة ، ودفع اليهما الأشقياء بكسرات من الخبز الجاف ، عف عنها « بلتازار » ، ولكن « بلقيس » أقبلت عليها فى شراهة ونهم .

وضحكت .. واذ سألها كبير اللصوص عما أضحكها ، قالت :

وسرعان ما احاطوا بهمـا ، فقيدوهمـا ..

((انما أضحك لمنظركم جميعا ، يوم أصدر الأمر بتعليقكم على أعواد المشانق !)) . فصاح اللص ساخرا : ((أحقا ؟! .. لا عجب أن يصدر هذا الحديث من بغي مثلك .. ترى هل سيساعدك حبيبك هذا الأسود على شنقنا ؟))

وأضرمت هذه الاهانة سورة الغضب فى دماء ((بلتازار)) ، ودفعته الى أن ينقض على اللص ويقبض على عنقه بيدين من حديد ، ولكن اللص استطاع أن يغمد سكينا فى جسد الملك الشاب .. وفى اللحظة التى سقط فيها ((بلتازار)) على الأرض ، وعيناه معلقتان بوجه ((بلقيس)) الخائفة ، اذا

بكوكبة من الفرسان تتقدم نحو الجميع ، فتنفست ((بلقيس)) الصعداء حين رأت حارسها الأمين ((آبنر)) ، وقد انطلق على رأس الكوكبة يبحث عنها ، بعد أن اكتشف غيابها عن القصر !

وبعد أن اعتلت الملكة المحفة الخاصة بها ، التفتت الى

اللصوص الذين تم القبض عليهم ، وقالت لكبيرهم : « ستعرف يا صاحبى الآن صدق ما وعدتك به ! »

***

اما الحكيم « سيمبوبيتس » والسمير « مينكرا » ، فقد صاحا فى حزن ، عندما رأيا سيدهما « بلتازار » مسجى على الأرض مطعونا . فأسرعا اليه ، وحملاه فى رفق وعناية . **وما كان أشد سرورهما اذ تبينا انه ما زال على قيد الحياة ، فضمدا جراحه ، وحملاه الى جواد ، وسارا به الى قصر الملكة ..**

وقضى الملك أسبوعين فى بحران الحمى ، يهذى فى غير انقطاع عن الرغبة الملتهبة فى ضم بلقيس الى صدره . وفى

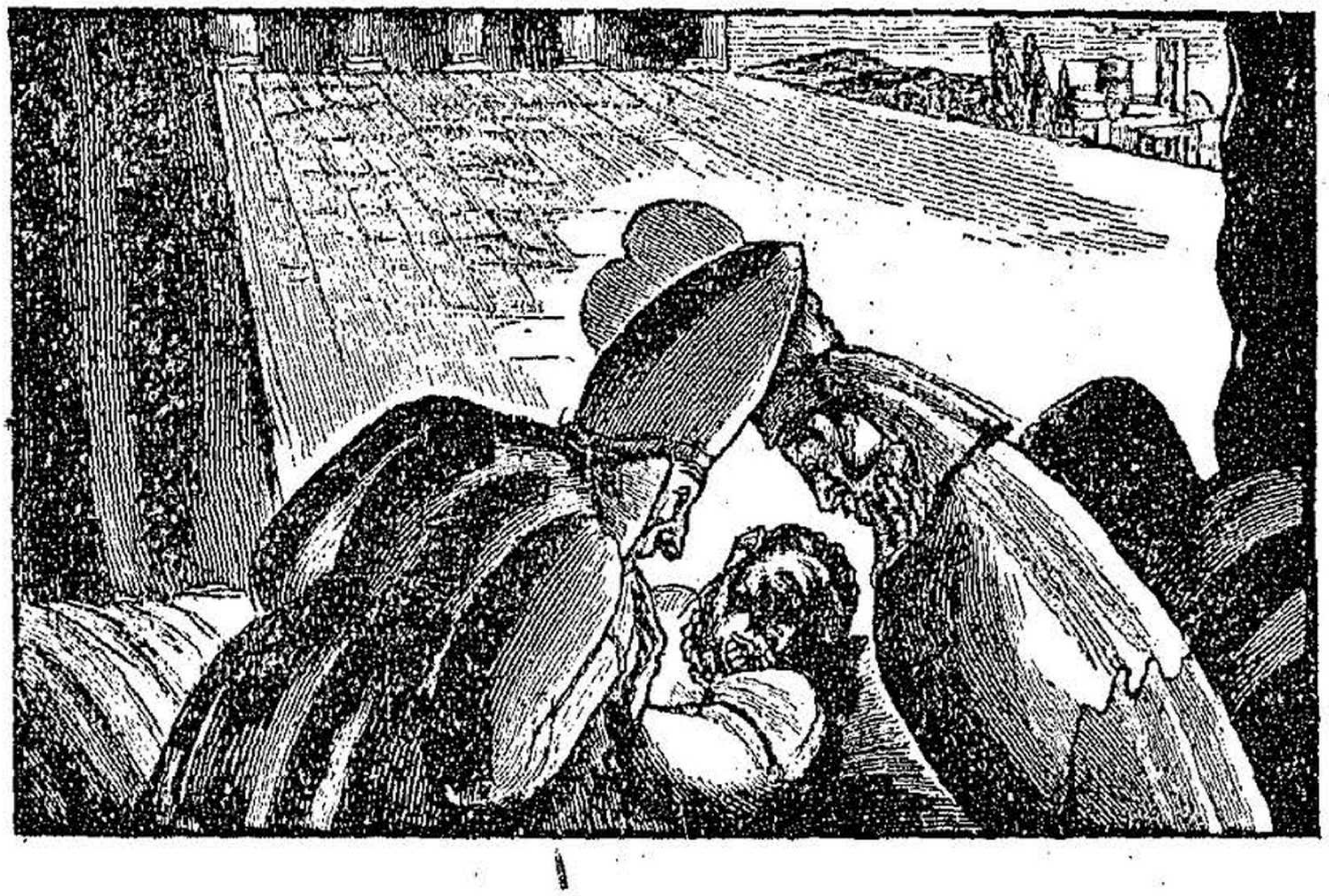

اليوم السادس عشر ، فتح عينيه ، وقال للحكيم والسمير الجالسين بجانبه : « أين هى ؟ .. بلقيس .. ماذا تفعل

الآن ؟ » .. فقال مينكرا : ((**انهـا الآن يا مولاى فى خلوة مع ملك كوما جينا))** .

وقال سيمبريتس : « أرجو يا مولاى ألا تحفل بالأمر ، حتى لا تعاودك الحمى ! » . فوثب « بلتازار » من فراشـه ، وصاح مزمجـرا : « لابد لى من ان أراها .. حذار أن يقترب منى احد ! »

ولما دنا من مخدعها ، اذا به يرى ملك (كوماجينا) يدخل على الملكة ، وقد ارتدى ثوبا ثمينا .. ورأى بلقيس مستلقية على وسادة من الحرير ، مسبلة الأجفان ، باسمة الثغر ..

وهتف « بلتازار » فى لهفة : « بلقيس .. بلقيس ! »

فقالت فى خشونة : « ماذا تبغى ؟ »

فانفجر الشاب باكيا ، وهو يقول : « اوتسأليننى ؟ » .. ثم أدرك فجأة ـ اذ رآها تنظر اليه فى دهشـة واستنكار انهـا قد نسيته تمـاما . ولكنـه راح يذكرها بالجـدول ، والضفاف الخضراء .. فقاطعته قائلة : ((**الحق يا سيدى اننى لا افهم ماذا تعنى ! .. يبدو أن خمر البلح قد ملأت راسك بالخيالات والاحلام !))**

فصاح الملك الشـاب وهو يدق كفا بكف : « عجبا ! .. هل كانت قبلاتك سرابا ؟ .. ان آثار السكين لا تزال فى جسدى ، فهل كانت أيضا من الخيالات والاحلام ؟ » . فنهضت بلقيس قائلة : « ان وزراء مملكتى مجتمعون الآن ، فليس ثمة وقت أضيعه فى تفسـير ما يصوره لك ذهنك المضطرب . اذهب واسترح .. وداعا ! »

***

وشعر « بلتـازار » بالأرض تميد تحت قدميه ، ولكنـه تحامل على نفسـه ، حتى لا ترى هذه المرأة الشريرة ضعفه .

ثم أسرع الى غرفته ، حيث سقط مغشيا عليه ، وقد عاودته الحمى ثانيـــة .

ومضت ثلاثة أسابيع وهو فى غيبوبة متواصلة . وفى اليوم الثـانى والعشرين ، استرد صوابه . وتنـاول يد الحكيم « سيمبوبيتس » ، الذى كان يسهر عليه مع مينكرا ، وقال لهمـا باكيـا : « **أواه ، آه يا صـــديقى .. مـا أسـعدكما بشيخوختكما ! .. ولكن لا ، ليس فى هذه الدنيا سـعادة أو سلام .. كل شىء فى الحياة باطل ، ما دام الحب خطيئة .. وبلقيس غانيـة !** » .. فقـال سيمبوبيتس : « ان الحكمـة توحى بالسعادة يا مولاى ! »

ــ اذن سألتمس هذه الحكمة أينما تكن .. هلم نعد الى بلادنـــا !

وغادر « بلتازار » ــ وحاشيته ــ مملكة (سبأ) ، وهو أشد ما يكون نقمة على الفانية اللعوب الغـادرة ، التى وضعتهـا الأقدار على راس هذه المملكة .

***

وقرر الملك الشاب ــ بعد أن عاد الى وطنه كسير القلب ــ أن يكرس حياته للحكمة ، وان لم يبعث هذا القرار سكينة فى نفســه المحـزونة . وراح يجلس ــ فى شرفة قصره ــ كل مساء ، مع الحكيم سيمبوبيتس والسمير مينكرا ، يحدق فى النخيل وهى منتصبة عند الأفق ، ويتأمل ــ فى ضوء القمر ــ أسراب التماسيح وهى تسبح على صفحة النيل كأنها جذوع نخل عائمة ..

وقال الحكيم ذات ليـلة : « ان المرء لا يمل قط جمـال الطبيـعة ! » . فقال الملك : « أجل ، ولكن .. فى الطبيعـة ، ما هو أجمل من النخيل فى ضـوء القمر ! » . وكان يفكر فى

بلقيس ، حين تفوه بهذه العبارة ، فقال الحكيم محـاولا أن يبدل مجرى تفكيره :

ـ أجل يامولاى .. هناك ـ مثلا ـ هـذه القوى الخفية التى تجعل النيل يفيض بالخير فى كل عام ، والتى شرحت لك بعض أسرارها يوما .. لقد خلق الانسان ليتعلم ..

ـ بل خلق الانسان ليحب .. وهنـاك فى الحيـاة أسرار لايستطيع الانسان أن يدركها ..

ـ ما هى هذه الأسرار يامولاى ..

ـ خيانة المرأة ، يا رجل !

وكان الملك الشاب ـ حين كرس نفسـه للعلم والحكمة ـ قد شيد برجا عاليا من الحجارة الصلبة ، يستطيع من يعتليه أن يرى الممالك الأخرى عن بعد ، وأن يدير عينيه فى جنبات السماء .. واعتاد « بلتازار » ان يصعد ـ فى كل ليلة ـ الى قمة البرج مع الحكيم سيمبوبيتس ، لينصت اليه وهو يقول : « ان كواكب السماء يامولاى تكشـف عن بعض ما يخبئه لنا القدر ! »

ـ ربما .. ولكنى لا أكاد أرى فيها شـيئا .. انما أنظـر اليها لأنسى « بلقيس » ، وهذا حسبى !

ويمضى الشيخ فيشرح للملك خصائص النجوم ومميزاتها ، فيبهر الملك بما يسـمع ، ويقول : « هكذا تكون الحكمة التى تنسى الانسـان « بلقيس » وغيرها .. ان فى التماس العلم راحة وسـلاما ، فهو يجنب الانسان التفكير فى سـفاسف الحياة ! »

***

وهكذا استمر الحكيم الشـيخ يعلم الملك الشاب اسرار الحكمة ، ويلقنه الرقيات التى تكشـف عن أسرار القوة .وكان

«بلتازار» ـ كلما أوغل فى دراسة ابراج الشمس الاثنى عشر ـ ازداد ابلقيس نسيانا ، حتى امتلا قلب السمير مينكرا بالبهجة ، وشرع يسخر منها امامه ، وينال من محاسنها ، وقال له يوما : «انهم يروون أن ملكتى بلقيس انما تخفيهما تحت ثياب طويلة ، لانهما تشبهان حوافر الماعز لا »
ـ منذا الذى قال لك هذا الهراء ؟
ـ انها شائعه معروفة بين الناس فى سبأ .. كلهم يعلمون ان ساقى بلقيس هزيلتان ، عجفاوان ، متشعرتان .. تنتهى كل منهما بظلف اسود !

وهز الملك كتفيه فى غير اكتراث ، فقد كان يعلم ان لبلقيس ساقين جميلتين . ولكن حديث السمير ـ مع هذا ـ أفسد عليه كثيرا من الذكريات التى احتفظ بها لهذه المرأة التى حمل لها اعنف الحب . وبدأ هذا الحديث يترسب فى أعماق نفسه ، ويزيد من نفوره نحو « بلقيس » ، حتى جاء اليوم الذى اصبح فيه لا يشتهى النظر اليها !

وراح الشاب يتقدم حثيثا فى علوم الحكمة والفلك ، فدرس بعناية علم ميلاد النجوم الجديدة ، واستطاع أن يلحق باستاذه الحكيم سيمبوبيتس ، فى دراسة الطوالع .. وفى ذات ليلة ، سأل الملك الحكيم : «هل تستطيع يا سيمبوبيتس أن تحدد بعلمك مواضع النجوم الجديدة التى اكتشفها ؟ »
ـ مولاى .. ان العلم لا يخطىء ، ولكن رجل العلم غير منزه عن الخطأ ..
ـ ان الحقيقة الهية يا « سيمبوبيتس » ، وكل ما هو الهى خفى علينا ، ولكننا نحاول الوصول اليها . وقد اكتشفت فى السماء نجما جديدا .. نجما جميلا يخيل لى أنه ينبض بالحياة ، فاذا أرسل نوره ، فكأنه عين علوية ترنو الى الكون فى حب وحنان .. يخيل لى يا سيمبوبيتس انى اسمعها

تقول : « سعيد سعيد هذا الذى سيولد تحت هذا النجم الجديد » !

وظل « بلتازار » يردد هذه العبارة فى سكون الليل ، وهو وحيد . وما لبث ان اونى أشرافا غريبا ، فشاع فى أثيوبيا كلها ان الملك الشاب قد شفى تماما من داء وجده وهيامه ببلقيس !

***

واذ تناهت هذه الانباء الى مدينة سبأ ، قفزت «بلقيس» فى غضب ، وأسرعت الى ملك (كوماجينا) ــ الذى كان بعد مقيما فى سبأ ــ وقالت له فى حنق : « أعرفت ياصديقى ماذا يقولون ؟ ! .. يقولون أن بلتازار قد نسينى ولم يعد يشتهينى ! »

ــ وفيم يعنينا هذا ، ونحن سعداء بغرامنا ؟

ــ ولكن .. الا ترى أن فى هذه الأقوال اهانة لى ؟ !

ولم يقرها الملك على رأيها ، فلم يزدها موقفه الا سخطا . وصرفته من مجلسها ، ثم أمرت كبير وزرائها ليعد لها أسباب السفر الى أتيوبيا . وقالت : « يجب أن نبدأ الرحيل الليلة .. وساطيح برأسك اذا لم تكن كل الاستعدادات قد اكتملت عند الغروب ! » .. حتى اذا انفردت بنفسها ، أخذت تبكى وتقول : « انه لم يعد يحبنى ، وأنا مازلت أهواه ! »

وفيما كان « بلتازار » فوق برجه الشاهق ، يرقب النجم الجديد ، دنت منه نظرة الى الارض ، فاذا به يرى خطا طويلا أسود يتلوى فى جوف الصحراء ، كأنه جيش من النمل البرى . ولما دنت طلائع الجيش تبين فيه رجالا وفرسانا وابلا وفيلة . وعندما بلغ الموكب أسوار المدينة ، تعرف «بلتازار» على السيوف المحدودبة ، اللامعة ، والجياد المطهمة السوداء ،

التى كانت تميز حرس الملكة « بلقيس » .. ثم شاهد الملكة نفسها فى هودجها ، فشعر باضطراب شديد وخيل اليه أنه يوشك أن يقع مغشيا عليه ..

***

وكأن النجم الجديد يرسل من السماء نوره الالهى العجيب ، بينما راحت « بلقيس » ترسل من الأرض نور حسنها الفاتن . وأحس « بلتازار » بقوة طاغية تدفعه للاسراع اليها ، ولكنه رفع رأسه — وهو يكافح نفسه باستبسال — الى السماء ، وراح يتطلع الى النجم الجديد ، فشعر كأن صوتا عذبا رقيقا ينساب فى اذنيه انسياب الماء الزلال فى جوف الظامىء الصادى :

« المجد لله فى الأعالى ، وعلى الارض السلام ، وبالناس المسرة ..

« خذ حفنة من المر أيها الملك الوادع بلتازار ، واتبعنى ..

« لسوف أقودك الى قدمى طفل يوشك ان يولد فى مزود ثور وأتان ..

« وسيكون هذا الطفل ملكا دونه ملوك الأرض جميعا..

« يواسى كل من هو فى حاجة الى مواساة ..

« انه يدعوك اليه يا بلتازار ، لأن قلبك خال من الادران كقلب طفل ، بعد أن كانت نفسك فى سواد بشرتك ..

« لقد اختارك بالدعوة لأنك تعذبت ، وسوف يعطيك الثراء والسعادة والسلام ..

« وسيقول لك : كن فقيرا نافعا ، تكن أغنى الأغنياء ..

« السعادة الحقة هى فى اسعاد الغير .. أحبب الله يحبك ، فالله هو الحب .. »

وما ان حفظ «بلتازار» هذه الكلمات ، حتى اشرق وجهه الأسمر يفيض من نور الاسلام ، وأحس كما لو أنه خلق فى تلك اللحظة من جديد !

وعندما التقت « بلقيس » به ، أيقنت لفورها أن غرامها لن يعرف الطريق الى قلبه — مرة أخرى — الى الأبد . فقد افعم ، هذا القلب بالحب الالهى الجديد ! . . وتولاها غضب جامح . اختلط بيأس جائح ، فأمرت حاشيتها بالعودة الى (سبأ) .

***

وفى اليوم الثانى ، حمل « بلتازار » مقدارا من المر ، وجهز ركبا ، وسار فى طريقه مسترشدا ببريق النجم الجديد . . وظل الركب ماضيا ، والنجم الجديد يهديه ، حتى بلغ مفترق طرق ثلاث . وهناك ، رأى بلتازار موكبين ملكيين يتقدمان فى طريقين منهما . فلما اقترب أحدهما منه ، اذا على رأسه ملك شاب جميل الوجه ، حيا « بلتازار » قائلا :

« ان اسمى جاسبار . . ملك ، وأحمل هدية من الذهب الى طفل يوشك أن يولد فى قرية (بيت لحم) » !

ولما أقبل الموكب الثانى ، اذا على رأسه شيخ انسدلت لحيته البيضاء حتى غطت صدره ، فحيا الملكين قائلا : « ان اسمى ملشوار . . ملك ، وأحمل هدية من البخور الى الطفل المقدس ، الذى سيهدى الناس الى طريق الحق والسلام » .

وقال بلتازار لهما : « وأنا ماض فى طريقكما . . لقد هزمت الشهوة ، ولهذا تحدث النجم الى ! »

وقال الملك العجوز ملشوار : « **وأنا هزمت الكبرياء والغطرسة ، ولهذا دعيت !** » .

وقال الملك الشاب جاسبار : ((**وأنا هزمت القسوة ، ولهذا دعيت !**))

ومضى الحكماء الثلاثة فى طريقهم ، مستهدين بالنجم الذى رأوه يولد فى الشرق ، الى ان وصل النجم فوق المكان الذى ولد فيه الطفل ، فوقف. واذ رأوا ان النجم وقف ، استخفهم الفرح الطاغى .

ودخلوا البيت ، فوجدوا الطفل ، وامه ((مريم)) .. واذ ذاك انبطحوا على الارض فى اجلال وتعبد .. ثم فتحوا امتعتهم وقدموا للطفل هدايا هم : ذهبا ، ولبانا ، ومرا ، كما ورد فى الانجيل .

من روائع المسرح الغنائى :

بلقيس

(ملكة سبأ)

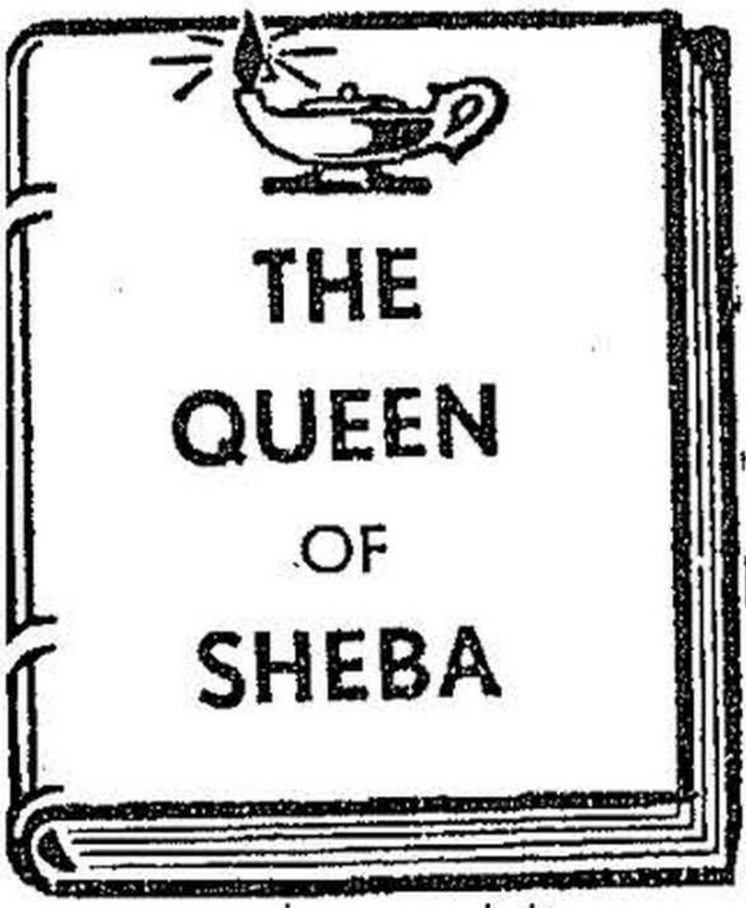

تأليف : موزنتال

ألحان : كارل جولدمارك

عزيزى القارىء :

لم تحظ حسناء فى التاريخ كله بقدر ما حظيت « **بلقيس** » **ملكة (سبأ)** .. فقد خلدت الكتب السماوية اسمها مرتبطا باسم النبى « سليمان » الحكيم .. وظلت شخصيتها مصدر وحى والهام للشعراء والقصصيين على مر الأجيال ..

على أن خيال الكتاب لم يشأ أن يتقيد بالنطاق المحدود ، الذى ورد فيه ذكر « بلقيس » فى الكتب السماوية ـ نطاق علاقتها بـ « سليمان » ـ **بل تجاوزه الى مغامرات عديدة ، قد يكون لبعضها سند من الحقيقة والتاريخ ، ولكن معظمها من ابداع الخيال الخلاق ..**

ولقد قرأت ـ فى الصفحات السابقة ـ مثالا من هذا النوع .. قرأت كيف صور « اناتول فرانس » هذه الملكة الفاتنة ، فى علاقاتها مع ملكين .. أحدهما انغمس فى هواها حتى اذنيه ـ وهو ملك (كوماجينا) ـ **والآخر دفعه هجرها وتنكرها ، الى طريق أخرى ، استطاع أن يلمح ـ فى نهايتها ـ الشفق الذى سبق مولد المسيح .. وهى اشارة ـ فيما أعتقد ـ الى الهداية والتطهر .**

وفى الصفحات التالية ، أقدم لك مثالا آخر .. أقدم لك « اوبريت » عن « بلقيس » ، صور فيها المؤلف علاقة تخيلها بين الملكة الفاتنة ، ورئيس حرس « سليمان » .. وهى من تأليف : **((موزنتال))** ، وموسيقى : **((كارل جولدمارك))** . وقد مثلت لاول مرة

فى (فيينا) ، فى سنة ١٨٧٥ ، وفى (لندن) و (نيويورك) فى سنة ١٨٨٥ .

والملاحظ فى القصة وفى « الأوبريت » ، ان المؤلفين اتفقا على أمر واحد .. هو أن ((**بلقيس**)) **كانت متقلبة الفؤاد** .. وانها كانت تتجاهل عاشقها ، حتى تكاد توردِه موارد الهلاك ، جزعا ولوعة .. **فاذا قدر له أن يغالب الهوى المفدوى ، وأن يتحول عن حبها ، عاودتها الأنانية ، وخيل اليها أن ((كرامة انوثتها)) تقتضيها أن تستعيد هذا العاشق ..**

وفى القصة و « الأوبريت » معا ، عجزت « بلقيس » عن ارضاء هذه الأنانية !

أطلت عليك ؟ .. أشعر بهذا ، فاليك ملخص « الأوبريت » ..

شخصيات الرواية :

الملك سليمان ((الحكيم)) : نبى التوراة

بلقيس : ملكة سبأ

عشتروت : الوصيفة الخاصة لبلقيس

أسعد : الرسول الخاص للملك سليمان

سلامى : ابنة كبير الكهنة وخطيبة أسعد

كبير الكهنة ــ حاشية سليمان ــ حاشية بلقيس

الزمان : القرن العاشر قبل الميلاد

المكان : مدينة القدس (أورشليم) .

((١))

• **نحن** فى قصر الملك سليمان الحكيم بمدينة القدس (اورشليم) .. والاستعدادات تجرى على قدم وساق ، تأهبا لحدثين هامين : زيارة ملكية ، وحفلة زفاف كبرى..

ذلك ان ملكة سبأ ـ ((بلقيس)) ـ كانت قد سمعت الكثير عن فخامة القصر الذى يعيش فيه الملك سليمان ، والحياة المترفة التى يحياها ، والحكمة الخارقة التى يتحلى بها .. وقد ارسلت اليه رسلها ينبئونه برغبتها فى زيارته ، وشوقها الى رؤية عرشه ـ المصنوع من الذهب والعاج ، والمرصع بالجواهر الكريمة ـ وتحفه الثمينة ، واغطية فراشه الحريرية المطرزة ، وبلاطه الباهر ، وولائمه العظيمة ، وثيابه المحلاة بالزمرد والياقوت .. والقرود والطواويس التى تحفل بها حدائقه .. الخ .

وكانت بلقيس ـ وهى بدورها ملكة على مملكة قوية تقع فى الجنوب الغربى من شبه جزيرة العرب ـ قد تلقت بالشك وعدم التصديق ، أكثر ما تناقلته الألسن وتداولته الاقاويل ، عن بذخ الملك سليمان ، وحكمته التى تبهر العقول . فاعتزمت ـ اشباعا لفضولها ـ أن تذهب بنفسها لترى ذلك الملك العجيب ، « سليمان » ، فى أوج مجده .

اما «سليمان» ، فلم يكد يقف على رغبة ملكة سبأ الجميلة فى زيارته ، حتى امتلأ زهوا وخيلاء. فأرسل فرقة من خيرة حرسه الخاص ، وعلى رأسهم رسوله الخاص « أسعد » ـ وهو شاب انيق من أصل نبيل ـ كى يستقبلوا الضيفة العظيمة ويرافقوها وركبها الى ابواب العاصمة . وكان المنتظر ان تتغيب هذه الحامية من الحرس ، فى مهمتها تلك ، بضعة ايام ، **على ان يزف أسعد ـ بمجرد عودته ـ**

الى «سلامى» ابنة رئيس الكهنة التى يحبها اعمق الحب ..
فقد كان زفاف الخطيبين المحبوبين خليقا بأن يتم فورا ، لولا ان اعلنت ملكة سبأ نبأ زيارتها الرسمية للملك سليمان فى تلك الآونة بالذات ..

ولكن ، لا بأس ! .. فان المهمة السامية التى انتدب لها « أسعد » ، لا تعنى أكثر من التأجيل المؤقت للزفاف السعيد ، فضلا عن أنها ستتيح للعروسين شرف الحظوة بحضور الضيفة العظيمة حفل قرانهما المرموق .

وهكذا .. لايكاد يعرف نبأ قرب وصول الملكة بلقيس ، فى حراسة الحامية التى يراسها « أسعد » ، حتى يسود الانفعال جو القصر كله .. ويجلس سليمان على عرشه الفاخر ، يحيط به كبار رجال بلاطه .. **وتقف الى جواره العروس العذبة الرقيقة « سلامى » ، التى تكاد تعجز عن ضبط مشاعرها وأخفاء لهفتها على لقاء حبيبها ، الموشك أن يصير زوجها ..**

ويدخل المبعوث الشاب ، فتعدو عروسه نحوه باسطة اليه ذراعيها فى لهفة وترحيب .. لكنه ــ لدهشتها البالغة ــ يتراجع عنها مجفلا ، شاحب الوجه .. ويغض بصره عنها كما لو كان مرآها قد أفزعه و أباسه . ثم يتدارك موقفه فيهرع نحو عرش مولاه بخطوات واسعة ، كى يعلن اليه مقدم ضيفته العظيمة .. ملكة سبأ ، التى كانت فى طريقها الى قاعة العرش .

***

ويدرك الملك فورا ــ من اضطراب رسوله المفاجىء ونظراته الشاردة ــ ان فى الامر سرا ، فيستجوبه ! .. واذ ذاك ، يجثو « أسعد » على ركبتيه ، تحت قدمى الملك ،

ويبوح له باعتراف يثير دهشته .. فبينما كانت الحامية تتقدم موكب ملكة سبأ ـ **التى لبثت طيلة الطريق تضع الحجاب على وجهها** ـ توقف الركب فى الغابة ليأخذ المسافرون قسطا من الراحة ..

وخلال الساعات القليلة التى استغرقتها راحتهم ، التقى أسعد ـ وهو يقوم وحيدا بجولة فى دروب الغابة ـ بحورية فاتنة تستحم فى عين ماء .. وما ان رأته الحسناء حتى أعجبت به ، فبادرت الى التقرب منه ، ثم صارحته بحبها المباغت له . وأمام سطوة حسنها الصاعق وجاذبيتها القاهرة ، فقد « أسعد » كل قدرة له على المقاومة ، ونسى كل من عداها .. حتى خطيبته ! .. **ومنذ ذلك الحين ملأت صورتها قلبه وخياله وملكت عليه لبه ، ومن هنا كان ابتئاسه عندما وقع بصره على « سلامى » !**

وحين ينتهى الرسول من اعترافه ، يرى الملك سليمان ـ على ضوء خبرته بغواية النساء ـ ان لا يقيم الشاب وزنا لذلك الحادث العاطفى العابر ، وينصحه بأن لا يفكر فى حوريته الفاتنة ، بعد ان أبرأ ضميره بالاعتراف ، وانما الأجدر به ان يمضى فى اتمام زواجه من «سلامى» فى الغد ، كما كان مدبرا من قبل .. عسى ان يجد أسعد فى حب عروسه الطاهرة ما يعيد اليه توازنه .

ولكن حكمة سليمان ذاتها ، تنحنى أحيانا لحكم القدر صاغرة .. فبينما يستدير الشاب الحائر كى يحيى خطيبته المبتئسة ، تدخل ملكة سبأ القاعة ، تتبعها حاشيتها . وحين تقترب من العرش لتؤدى التحية للجالس عليه ، ترفع النقاب عن وجهها ! .. ويتعرف أسعد عليها لفوره .. ولدهشته ورعبه ! .. **فلقد ابصر فيها حورية الغابة**

وعبين الماء ، التى فتنته جمالها الحسى ، الى الحد الذى أنساه شرفه وقسمه ووعوده لخطيبته ..

واذ ذاك ، وتحت تأثير حسن « بلقيس » . وجاذبيتها الآسرة ، يندفع « أسعد » نحوها وهو يطلق صيحة فرح اذ وجدها .. لكنه يكاد يصعق ، ويتراجع متعثرا ، مرتبكا ، مضطربا : **عندما تنظر اليه الملكة كأنها لا تعرفه ، وتمضى عنه متجاهلة ، متعالية !** .. ثم تتجه الضيفة ــ فى وقار وجلال ــ الى الملك العظيم ، فتتقدم لجلالته ولاءها التام وتحيتها العاطرة ، وتشير الى عبيدها كى يفرشوا الأرض تحت قدميه بالهدايا والهبات الثمينة ، بينما تجلس هى الى جواره ، تضنيها اللهفة الى سماع الحكمة من فمه !

« ٢ »

. **على ان** «بلقيس» لم تكن تنوى ان تخذل الشاب الذى عشقته فى الغابة ، ولا ان تمضى فى تظاهرها فى حضرة الملك بأنها لا تعرفه .. فان المرأة فيها كانت تعانى شوقا شديدا اليه . ولا تكاد تعلم بنبأ عقد قرانه على ابنة كبير الكهنة ، فى اليوم التالى ، **حتى تستبد بها غيرة مشتعلة ، فتعتزم أن توقعه مرة أخرى فى شباك مفاتنها الحسية !**

وفى تلك الليلة ، ترسل اليه ــ فى جناحه الخاص ــ وصيفتها وكاتمة اسرارها « عشتروت » ، كى تدعوه الى لقائها فى حديقة القصر بجوار النافورة .. ويعجز الشاب عن مقاومة هذا الاغراء الجديد ، فيسارع الى موافاتها فى الموعد الذى حددته ..

وهناك ، تحت ضوء القمر ، فى جو من الخلوة الكاملة ، تفلح ((بلقيس)) ــ بفضل فنون غوايتها ــ فى اشعال جذوة عاطفته التى لم تكن بعد قد انطفأت .. فينسى « سلامى »

العذبة ، وينسى شرفه المثلوم .. ينسى «أسعد» كل شيء ، ويضيع فى نشوة عناق الملكة المحمومة ، ويغيب فى قبلاتها المجنونة !

«٣»

• ويحين اليوم التالى ، فاذا جميع الاستعدادات قد تمت ، فى هيكل الملك سليمان الفاخر ، لاقامة حفل زفاف « أسعد » و « سلامى » .. ويقف كبير الكهنة ومساعدوه ، وجمع غفير من الناس ، ينتظرون - فى الموعد المحدد - وصول العروسين.. وعندما يصل الملك «سليمان» نفسه ، محوطا برجال حاشيته ، وقد بدوا جميعا فى ابهى حللهم ، يبدأ الاحتفال الرائع ..

وتقف « سلامى » - العروس العذبة الرقيقة - بقرب المذبح ، الى جوار « أسعد » .. ويبدو الأخير شاحب الوجه ، مضطرب الاعصاب ، **وان استقر عزمه على الوفاء بعهود خطبته .. وهو يأمل ان تهدأ ثورة نفسه الجياشة بعد ان يسبق السيف العذل !**

ولكن .. لا يكاد كبير الكهنة يسلم خاتم الزواج الى العريس ، كى يحيط به اصبع عروسه ، حتى تحدث مفاجأة رهيبة .. ففى ذات اللحظة ، يدخل الهيكل موكب آخر صاخب ، تتقدمه ملكة سبأ فى أبهى زينتها ، مرتدية أروع جواهرها ، **وهى تحمل فى يدها كأسا ذهبية ملئت حتى حافتها بالجواهر التى لا تقدر بقيمة .. هدية منها الى الرسول الذى رافقها فى رحلتها فى اليوم السابق !**

ومرة أخرى ، وقد بهره سناء الملكة اللألاء ، يفقد « أسعد » اتزانه ، وينسى عزمه ، فيلقى عنه خاتم الزواج العتيد ، ويرتمى عند قدمى فاتنته التى لا تقاوم .. فيلثم

القدمين المحليين بالجواهر ، وهو يناشد صاحبتهما ـ فى حرارة وابتهال ـ أن ترمقه بابتسامة الرضى وتتقبل حبه منه !

لكن أمله يخيب ، حين تحرص الملكة ـ فى اعتداد ـ على الاحتفاظ بوقارها الملكى أمام الملك ، فتتلقى توسلات « اسعد » فى فتور ، وتستقبل احتجاجاته ـ بعد ذلك ـ ببرود ، وتنكر اى اهتمام سابق من جانبها بأمره .. فيهيج جنون الشاب ، ويحدث هرجا ومرجا شديدين !
عندئذ يخيل لكبير الكهنة وأتباعه أن الشاب قد أصيب ـ فجأة ـ بنوع من الجنون .. فيشرعون فى اقامة مراسم حفلة خاصة لطرد الأرواح الشريرة ، التى اعتقدوا انها قد تملكته .. وبعد قليل ، يبدو كأن « أسود » التعس قد استرد شيئا من هدوئه .

ولكن هذا الهدوء لايدوم لأكثر من لحظة .. **اذ ان بلقيس ـ ذات العواطف المضطربة ـ لاتقوى على تحمل منظر معشوقها واقفا الى جوار عروسه الموعودة ، فتناديه باسمه ، بصوتها الناعم الذى تفوح منه الغواية** .. ومن فوره ، يندفع الشاب نحوها ، فيرتمى عند قدميها مكررا توسلاته ، مناشدا اياها ـ فى حرارة ـ ان تتقبل حبه قربانا ، كما تتقبل الآلهة القرابين من عبادها !

وهنا ترتفع صيحات الفزع والاستنكار ـ من كل جانب ـ لهذا الكفران الآثم .. **ويعلن كبير الكهنة واتباعه غاضبين ، ان « اسعد » قد دنس الهيكل المقدس ، وهى جريمة لاعقوبة لها غير الموت !**

وتدرك الملكة ما جره حبها المدمر على الشاب من كوارث ، فتتراجع عن غيها نادمة ، بينما تنهار « سلامى » التعسة يأسا وقنوطا .. اما اسعد ، فيعرب عن اشتياقه

للموت ، اذ لم يعد لقوة سواه ان تريحه من عذابه ..
ويشهد الملك سليمان فصول المأساة ، وهو محتفظ بوقاره الملكي المعهود ، برغم حنقه المكتوم على صفيه المحبوب ، من أجل فعلته التى دنست حرمة الهيكل .. ولا يلبث الملك ان يعلن انه وحده الذي يحاكم الشاب على ما اقترف ، فيحكم عليه بالموت أو يعفو عنه ، وفق ما يستحق !

« ٤ »

• ولا يحجم الملك فى اثناء ذلك ، عن تكريم ضيفته العظيمة ـ والمزعجة ! ـ وفق مراسم التكريم الملكية .. فيقيم ـ احتفاء بها ـ سهرة كبرى رائعة ، يدعم بها ما بلغ مسامع «بلقيس» من قبل عن مجده العظيم ، وبذخه ، وأبهة بلاطه وقصره .. **وتلمس الملكة فى خلال ذلك من امثلة حكمته الخارقة لطبائع البشر ، وخبرته العجيبة بطوايا النفوس وخبايا القلوب ، ما ينطق لسانها بالقول : « ان ما سمعته لم يبلغ نصف ما شهدته بعيني ! »** .

وعقب انتهاء الحفلة ، تحاول الملكة اغراء سليمان بالعفو عن معشوقها الشاب ، مستخدمة فى سبيل ذلك أفانين سحرها وفتنتها .. **لكن الملك الحكيم ياخذ حذره من اساليبها الخطرة ، ويابى أن ينصاع لسلطان حسنها .** وحين تعمد الى محاولة خداعه بالتظاهر بأن الأمر لا يعنيها كثيرا ، يكشف لها خبيئة نفسها ، فيفهمها انه أعرف الناس بما تبطن من نية ، بشأن معاودة استمالة « أسعد » اليها ، وايقاعه مرة أخرى فى شباك هواها الفاتك الأثيم !

وأمام هذه المصارحة من جانب الملك الحكيم ، تخرج بلقيس غاضبة ، ناقمة عليه اكتشافه سرها الدفين ، مقسمة

على الانتقام منه باعلان الحرب على دولته .. في الوقت الذي يستجيب فيه الملك الرحيم لتوسلات العروس التعسة «سلامي» ، من أجل أسعد . فيصدر أمرا باستبدال حكم الاعدام بآخر تخفف فيه عقوبة الشاب الأحمق الى النفي المؤبد !

وهكذا يقتاد التعس الى منفاه في الصحراء . اما عروسه المحطمة ، التي انكرت الاقدار عليها حبها الدنيوي ، فتمضي يائسة الى دير على حدود الصحراء ، كي تقضي بقية حياتها في التعبد لله ، مع غيرها من النساء والعذارى اللواتي كرسن حياتهن لمحبة الخالق ، دون سواه من عباده !

« ٥ »

• وفي الصحراء يهيم أسعد على وجهه .. وحيدا ، شريدا ، منبوذا .. مكفرا عن نزوته الطائشة نحو المرأة الشريرة التي تسببت في نكبته ونكبة العذراء الرقيقة العذبة التي كان يحبها اعمق الحب ، واقواه ، وأنقاه !

وحين تخطر « سلامي » بباله ، تتملكه نوبة من اليأس المرير ، فيحس بشوق جارف الى ان يعيش حتى يقضي مدة عقوبته فيتاح له ان يراها ، وان يلتمس منها الصفح والمغفرة ، قبل أن يموت . لكن هذه الأمنية تبدو له شبه مستحيلة ، من فرط ما اضناه التجوال في الصحراء وصيره مشرفا على الموت .

ويفيق من خواطره .. فاذا قدماه قد قادتاه ــ دون أن يشعر ــ حتى اشرف على أسوار الدير الرابض على حدود الصحراء ، **وهو لا يعلم ان عروسه المنبوذة التي يحن الى لقائها تعيش وتتنفس على قيد خطوات منه . خلف الأسوار التي امامه !**

وفيما هو يشرع فى طرق باب الدير التماسا لقسط من الراحة فى الظل قبل أن يعود ادراجه .. **يلمح من بعيد موكب ملكة سبأ مقبلا فى طريقه الى مداكتها البعيدة ، فيغريه الفضول بالتوقف لرؤيتها !** ..ويقع بصر بلقيس على ضحيتها ، فتعرفه من فورها ، برغم التبدل الذى آلت اليه حاله . وتهرع الى جانبه ملهوفة ملاطفة ، ثم تعرض عليه ان يصحبها الى بلادها ، كى يعيش فى كنفها وقصرها ، ويتقلب فى أحضان النعيم وأحضانها !

لكن ((أسعد)) يظهر انه مخلص فى توبته ، فيرفض فى اباء وكبرياء أن ينصاع لارادتها وأهوائها ، ويتركها تستأنف رحلتها بينما يستأنف هو طوافه العقيم فى الصحراء .. يضرب فى أرجائها على غير هدى ، وقد هده الاعياء ، والهبت راسه شمس الظهيرة المحرقة ..

واته لفى تجواله ، تهب عاصفة عاتية من عواصف الصحراء الهوجاء ، تعجز قواه المنهكة عن مقاومتها .. فيسقط على الرمال الساخنة ، التى لا تلبث ان تطمر أكثر جسمه ، وتتركه شبه جثة هامدة !

ثم تسكن العاصفة وتهدأ ثورة الصحراء ، فتخرج « سلامى » ساعة الأصيل مع فريق من قاطنات الدير كى يقمن بنزهة الغروب .. وإثناء سيرهن يعثرن بالجسد المطمور بين الرمال ، فتتعرف الفتاة فيه على حبيبها .. **وتقبل عليه مضناة من اللهفة والشوق والفرحة بالعريس الغالى الذى كان ضالا فوجد !**

لكن فرحتها لا تطول.. فانها لا تكاد تأخذه بين ذراعيها ، وتشرع فى اسعافه ، حتى يناشدها بصوت خائر أن تصفح عنه .. ثم يلفظ انفاسه الأخيرة على صدرها !

من كنوز الكتب القديمة

الإفادة والاعتبار

في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة

بأرض مصر

للرحالة العربى القديم

موفق الدين أبو محمد

عبد اللطيف البغدادى

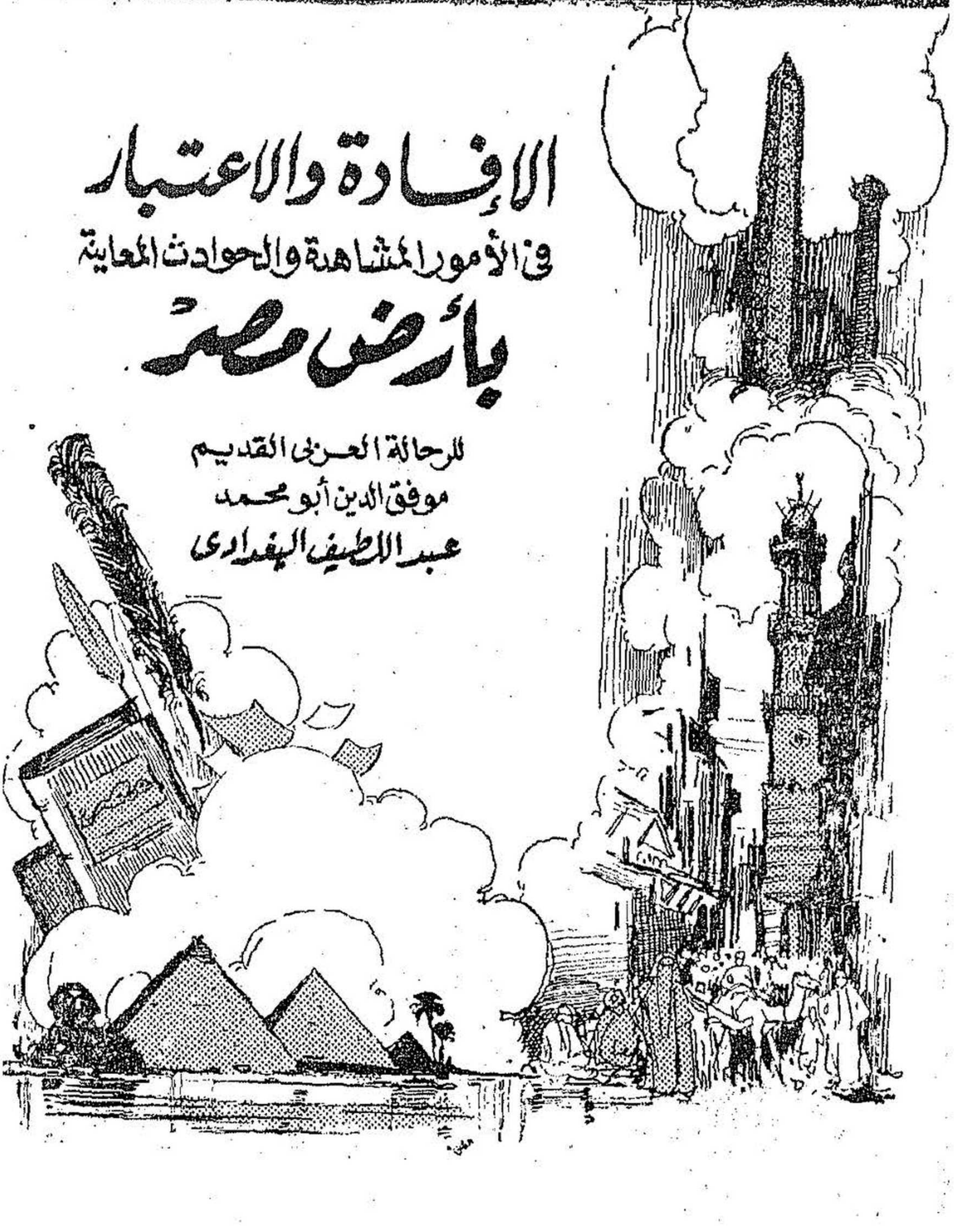

عزيزى القارىء :

قدمت لك ـ فى مناسبات سابقة ـ عددا من كنوز الكتب القديمة . بعضها من التراث العربى . واذكر منها . على سبيل المثال : ((**حى بن يقظان**)) لابن طفيل ـ فى العدد الخامس من «كتابى» ـ و ((**رسالة الغفران**)) لأبى العلاء المعرى ـ فى العدد ٢٥ ـ و ((**آراء اهل المدينة الفاضلة**)) للمفكر الفيلسوف ابى نصر الفارابى ـ فى العدد ٦٥ ـ و ((**المنقذ من الضلال**)) لحجة الاسلام الغزالى ، فى العدد ٩٢ .

واليوم أقدم لك اونا من كنوز التراث القديم ، يختلف عن خيال ابن طفيل ، وفلسفة ابى العلاء ، والآراء السياسية والاجتماعية للفارابى ، وعن الاعترافات الذاتية للغزالى .. **انه اون طريف من الكتابة التاريخية ، عالجه الرحالة العربى القديم ((ابو محمد عبد اللطيف بن يوسف البغدادى))** بأسلوب رقيق ، خال من التعقيد والتكلف ، ورسم فيه صورة متعددة المعالم ، لما كانت عليه مصر فى اواخر القرن الثامن عشر الميلادى .

وقد ترجم هذا الكتاب أخيرا اللانجليزية ..

على اننى قبل ان أقدم لك الكتاب ، أحب ان اعرفك بالمؤلف . فهو : الشيخ الامام موفق الدين ابو عبداللطيف بن يوسف بن محمد بن على بن ابى سعد ، ويعرف بابن اللباد ، كما اشتهر بالبغدادى ، لأنه بغدادى المولد ، وان كان موصلى الاصل .

وقد ولد عام ٥٥٧ هجرية ، وتلقى تعليمه على ايدى علماء العصر من لغويين وفقهاء ومناطقة وأطباء ، كما

كانت الحال فى ذلك العهد . حتى اذا قطع شوطا طويلا من الخبرة والدراية بعلوم عصره ؛ ارتحل عن بغداد ، وساح فى كثير من البلاد ، الى ان جاء مصر فى اواخر عهد صلاح الدين الايوبى ..

هكذا دخل مصر ..

• **يروى** « البغدادى » قصة دخوله الى مصر ، قائلا :

« .. ثم انى توجهت الى زيارة القدس، ثم الى صلاح الدين بظاهر عكا . فاجتمعت ببهاء الدين شداد ، قاضى العسكر يومئذ . وقد اتصلت به شهرتى ؛ فانبسط الى ، واقبل على ، وقال : نجتمع بعماد الدين الكاتب . فقمنا اليه وخيمته الى خيمة بهاء الدين ، فوجدته يكتب كتابا الى الديوان العزيز ؛ بقلم الثلث (بضم الثاء واللام) ، من غير مسودة !

« وقال : « هذا كتاب انى بلدكم » ! .. ثم ذاكرنى فى مسائل من علم الكلام وقال : « قوموا بنا الى القاضى الفاضل ! » .. **فدخلنا عليه ، فرأيت شيخا ضئيلا ، كله رأس وقلب ، وهو يكتب ويملى على اثنين ، ووجهه وشفتاه تلعب ألوان الحركات ، لقوة حرصه فى اخراج الكلام ، وكأنه يكتب بجملة أعضائه .**

« وسألنى القاضى الفاضل عن قوله سبحانه وتعالى : « حتى اذا جاؤوها وفتحت أبوابها ، وقال لهم خزنتها » ، أين جواب « اذا » ، وأين جواب « لو » فى قوله تعالى : « ولو أن قرآنا سيرت به الجبال » ، وعن مسائل كثيرة . ومع هذا فلم يقطع الكتابة والاملاء . وقال لى : « ترجع الى دمشق ، وتجرى عليك الجرايات » . فقلت : « **أريد مصر !** » . فقال : « السلطان مشغول القلب بأخذ الفرنج عكا وقتل

المسلمين بها » . فقلت : ((**لابد لى من مصر !**)) . فكتب لى ورقة صغيرة الى وكيله بها .. »

وهكذا جاء الرجل الى مصر ـ قبل أن ينقضى القرن الثانى عشر الميلادى بقليل ـ وأقام بها مدة . وكان يتقاضى راتبا وجرايات من أولاد الملك الناصر صلاح الدين .

ولما حل بالبلاد ذلك الغلاء الفاحش والقحط الشديد ، اللذان أشار اليهما مؤرخو القرون الوسطى ، عكف البغدادى على أوراقه ، وكتب يصف ما شاهده وما سمعه من أحوال ووقائع .

ثم اختار لكتابه ـ الذى نقدمه لك ملخصا فى الصفحات التالية ـ عنوان : « الافادة والاعتبار فى الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر » .

(١) فى خواص مصر العامة لها

. **أرض مصر** من البلاد العجيبة الآثار ، الغريبة الأخبار . وهى واد يكتنفه جبلان : شرقى وغربى ، والشرقى أعظمهما . وهما يبتدئان من أسوان ، وكلما امتدا طولا انفرجا عرضا ، حتى اذا حاذيا الفسطاط كان بينهما مسافة يوم فما دونه . ثم يتباعدان أكثر من ذلك ، والنيل ينساب بينهما ، ويتشعب بأسافل الأرض (اى الاراضى المنخفضة والقريبة من السواحل) . وجميع شعبه تصب فى البحر الملح . **وهذا النيل له خاصتان : الأولى بعد مرماه ، فما نعلم فى المعمورة نهرا أبعد مسافة منه . أما الخاصة الثانية ، فهى أنه يزيد عند نضوب سائر الأنهار** . وعلة ذلك أن مواد زيادته أمطار غزيرة دائمة ، وسيول متواصلة تمده فى هذا الأوان .

وأما أرض مصر فلها أيضا خواص ، منها انه لايقع بها مطر الا ما لا احتفال به وخصوصا صعيدها . فأما أسافلها فقد

يقع بها مطر جود ، لكنه لايفى بحاجة الزراعة . واما دمياط والاسكندرية وماداناهما ففزيره المطر .. وليس بأرض مصر عين ولا نهر سوى نيلها .

ومنها ان أرضها رملية لاتصلح للزراعة ، لكنه يأتيها طين أسود فيه دسومة كثيرة يسمى « الابليز » . ويأتيها من بلاد السودان ، مختلطا بماء النيل ، فيستقر الطين ، وينضب الماء ، فيحرث ويزرع .

ومن هذه الخواص أيضا ، أن الفصول بها متغيرة عن طبيعتها . ففى الصيف والخريف تكثر الرطوبة ، وفى الشتاء والربيع تشتد القحولة واليبس ، ومن ثمة تكثر الأمراض والعلل .. وأكثر امراضهم — أى أهل مصر — فى آخر الخريف وأول الشتاء ، لكنها يغلب عليها حميد العاقبة ، وتقل فيهم الأمراض الحادة والدموية .. وانما تحدث لهم البدانة والقسامة غالبا بعد سن العشرين . **وأما ذكاؤهم وتوقد أذهانهم وخفة حركاتهم فلحرارة بلدهم الذاتية ، لأن رطوبته عرضية** . ولهذا كان أهل الصعيد أفحل جسوما ، وأجف أمزجة ، والغالب عليهم السمرة .. وكان ساكنو الفسطاط الى دمياط أرطب أبدانا ، والغالب عليهم البياض !

(٢) فيما تختص به من النبات

• **ومن** ذلك البامية ، والملوخية — ويسميها الأطباء « الملوكية » — وهى ردية للمعدة ، لكنها تسكن الحرارة ، وتبرد ، ويسرع انحدارها لتزلقها !

ومن ذلك البخ الذى يقولون عنه أنه كان بفارس سما قاتلا ، ثم نقل الى مصر فصار غذاء ! .. أما الجميز فهو بمصر كثير جدا ، ويصلح دواء لبعض العلل ، كلسع الهوام ، وأوجاع المعدة .

ومن ذلك أيضا القلقاس ، والموز .. وأما المحمضات فيوجد بأرض مصر منها أصناف كثيرة لم أرها بالعراق ، منها الليمون المركب والمختم ، وهو أحمر شديد الحمرة ، شديد الاستدارة . مفلطح من رأسه وأسفله ، مفضوخ (أى مشقوق) فيهما بختمين . كما أن منها ليمون البلسم - وهو فى قدر الابهام .

ومن الفاكهة صنف من التفاح يوجد بالاسكندرية ، ببستان واحد يسمى (بستان القطمة) ، **ينتج تفاحا قانى الحمرة ، رائحته تفوق الوصف ، وتعلو على المسك** . هذا عدا النخيل والأقاقيا .

ومما تختص به مصر الأفيون ، وهو يجتنى من الخشخاش الأسود بالصعيد ، وكثيرا ما يغشه جناته ! .. **كما يوجد بمصر بطيخ يسمى ((العبدلى)) و ((العبدلاوى)) ، قيل أنه نسب الى عبد الله ابن طاهر والى مصر عن المأمون** .. وقلما تجد فى بطيخ مصر ما هو صادق الحلاوة ، ولكنه لايوجد فيه مدود ولا فسد ، بل الغالب عليه التفاهة المائية ! .. وجميع أصناف البطيخ بها يباع بالميزان ، سوى البطيخ الأخضر .

وأما الباقل الأخضر ، المسمى عندهم بالفول ، فانه يتواصل نحو ستة أشهر ، وكذلك الورد والياسمين يدوم جميع السنة . والبنفسج بمصر عطر جدا ، لكن لايحسنون اتخاذ دهنه ولا معجونه . والسفرجل بمصر ردىء جدا ، صفير ، عفص ، غال . وأما تفاحها فلا بأس به وان كان رديا . وأما رمانها ففى غاية الجودة ، الا أنه ليس بصادق الحلاوة ..

(٣) فيما تختص به من الحيوان

• **من ذلك** حضانة الفراريج بالزبل (أى فقسها بدفن البيض فى الزبل) . فانه قلما ترى بمصر فراريج عن حضان

الدجاجة .. فذلك عندهم صناعة ومعيشة يتجر فيها ، ويكتسب منها ، وتجد فى كل بلد من بلادهم مواضع عدة تعمل ذلك . ويسمى الموضع « معمل الفروج » ..

ومن ذلك الحمير . وهى بمصر فارهة جدا ، وتركب بالسروج ، وتجرى مع الخيل والبغال النفيسة ، ولعلها تسبقها . وهى مع ذلك كثيرة العدد ، **ومنها ما هو غال ، بحيث اذا ركب بسرج اختلط مع البغلات ، يركبه رؤساء اليهود والنصارى ، ويبلغ ثمن الواحد منها عشرين دينارا الى اربعين .**

وأما ابقارهم فعظيمة الخلق ، حسنة الصور . ومنها صنف هو أحسنها وأغلاها قيمة ، ويسمى البقر «الخيسية» ، وهى ذوات قرون كأنها القسى ، غزيرات اللبن. وأما خيلهم فعتاق سباقة ، ومنها ما يبلغ ثمنه ألف دينار الى اربعة آلاف .

ومن ذلك التماسيح ، وهى كثيرة فى النيل ، وخاصة فى الصعيد الأعلى وفى الجنادل . هذا عدا « الدلفين » ، ويوجد فى النيل ، وخاصة قرب (تنيس) ودمياط ..و «الاسقنقور» ويكون بالصعيد ، وهو من فصيلة التمساح .. **وفرس البحر ويوجد بأسافل الأرض ــ وخاصة ببحر دمياط ــ وهو حيوان عظيم الصورة ، هائل المنظر ، شديد البأس ، يتبع المراكب فيغرقها ، ويهلك من ظفر به منها ..** ومن ذلك أيضا السمكة المعروفة بالرعاد ؛ لأنه من أمسكها وهى حية ارتعد رعدة لايمكنه معها أن يتماسك . وهى رعدة بقوة ويصحبها خدر شديد . وخبرنى صيادها أنها اذا وقعت فى الشبكة ، اعترت الصياد ذلك (اى الرعدة والخدر) اذا بقى بينها وبينه مقدار شبر أو أكثر ؛ من غير أن يضع يده عليها ! ..

وهي اذا ماتت بطلت هـذه الخاصة منها . وتكثر بأسافل الأرض وبالاسكندرية ..

وأما أصناف السمك عندهم فكثيرة ، لأنه يجتمع اليهم سمك النيل وسمك البحر الملح . ولايفى القول بنعتها لكثرة أصنافها واختلاف أشكالها وألوانها . ومنها ثعبان الماء والسرب (**تصاد من بحر الاسكندرية ويحدث لآكلها أحلام ردية مفزعة ، ولاسيما الغريب ومن لم يعتدها ، والأحدوثات المضحكة فيها مشهورة !**) والترسة وهى سلحفاة عظيمة وزنها نحو أربعة قناطير ..

(٤) فى اختصاص ما شوهد من آثارها القديمة

• **أما** ما يوجد بمصر من الآثار القديمة ، فشيء لم أر ولم أسمع بمثله .. فمن ذلك الأهرام ، وهى كثيرة العدد جداً ، وكلها بين الجيزة وعلى سمت مصر القديمة ، وتمتد فى نحو مسافة يومين . **وقد كان منها بالجيزة عدد كثير لكنها صغار ، فهدمت فى زمن صلاح الدين يوسف بن أيوب ، على يدى قراقوش ..**

وأما الأهرام المتحدث عنها ، المشار اليها ، الموصوفة بالعظم ، فثلاثة أهرام موضوعة على خط مستقيم بالجيزة ، قبالة الفسطاط ، وبينها مسافات يسيرة ، وزواياها متقابلة نحو الشرق . واثنان منها عظيمان جداً ، وفى قدر واحد ، **وبهما أولع الشعراء ، وشبهوهما بنهدين قد نهدا فى صدر الديار المصرية ! ..** وأما الثالث ، فينقص عنهما بنحو الربع ، لكنه مبنى بحجارة الصوان الأحمر المنقط ، الشديد الصلابة ، بينما الآخران مبنيان بالحجارة البيض .

وقد سلك فى بناية الأهرام طريق عجيب من الشكل والاتقان ، **ولذلك صبرت على مر الزمان ، بل على مرها صبر**

الزمان ! .. وفى أحـد هذين الهرمين مدخل يلجه الناس ، يفضى بهم الى مسـالك ضيقة ، واسراب متنافـذة ، وآبار ومهالك ، وغـير ذلك مما يحكيه من يلجه ويتوغله .. وأما المسلوك فيه ، المطروق كثـيرا ، فزلاقة تفضى الى أعـلاه ، فيوجد فيه بيت مربع فيه ناووس من حجر . وهذا المدخل ليس هو الباب المتخذ له فى اصـل البناء ، **وانما هو منقوب نقبا صودف اتفاقا وذكر أن المأمون هو الذى فتحه** . وجل من كان معنا ولجوا فيه . وصعدوا الى البيت الذى فى أعلاه ، فلما نزلوا حدثوا بعظيم ما شاهدوا ، وأنه مملوء بالخفافيش وأبوالها ، حتى يكاد يمنع السالك !

وكان الملك العزيز « عثمان بن يوسف » ــ لما استقل بعد أبيه ــ سول له جهلة أصحابه ان يهدم هذه الأهرام ، فبدأ بالصغير الأحمر . **وأخـذ رجاله وخيله سنة ثلاث وتسعين وخمس مائة (هجرية) فى هدم الهرم ، وأقاموا هناك نحو ثمانية أشهر** . فلما طال ثواؤهم . ونفذت نفقاتهم ، وتضاعف نصبهم ، ووهت عزائمهم ، وخارت قواهم ، كفوا محسورين مذمومين ، لم ينالوا بغية ، ولا بلغوا غاية ، بل كانت غايتهم أن شوهوا الهرم ، وأبانوا عن عجز وفشل . ومع ذلك فان الرائى لحجارة الهدم ، يظن أن الهرم قد استـؤصل ، فاذا عاين الهرم ظن أنه لم يهدم منه شىء ، وانما جانب قد كشط بعضه !

وعند هذه الأهرام بأكثر من غلوة (!) صورة رأس وعنق بارزة من الأرض ، فى غاية العظم ، يسميه الناس أبا الهول . ويزعمون أن جثته مدفونة تحت الأرض !.. وفى وجهه حمرة ودهان أحمر يلمع عليه رونق الطراوة . وهو حسن الصورة مقبولها ، عليه مسحة بهاء وجمال كأنه يضحك تبسما !

وقد سألنى بعض الفضـلاء : « ما أعجب ما رأيت ؟ » ؛

فقلت : « تناسب وجه أبي الهول » .. **فان أعضاء وجهه — الأنف والعين والأذن — متناسبة ، كما تصنع الطبيعة الصور متناسبة !**

سوى هذا الآثار التى بعين شمس ، وهى مدينة صغيرة يشاهد سورها محدقا بها ، مهدوما . ويظهر من أمرها أنها قد كانت بيت عبادة . وفيها من الأصنام الهائلة العظيمة الشكل من نحيت الحجارة (اى الحجر المنحوت) ، يكون طول الصنم زهاء ثلاثين ذراعا ، وأعضاؤه على تلك النسبة من العظم .

زيارة آثار الاسكندرية

ورأيت بالاسكندرية عمود السوارى ، وهو عمود أحمر منقط من الحجر المانع الصوان ، عظيم الفلظ جدا ، شاهق الطول ، لا يبعد ان يكون طوله سبعين ذراعا وقطره خمس أذرع .. ثم أنى رايت بشاطىء البحر ، مما يلى سور المدينة ، أكثر من اربع مائة عمود مكسرة أنصافا وأثلاثا ، حجرها من جنس حجر عمود السوارى . وزعم أهل الاسكندرية قاطبة أنها كانت منتصبة حول عمود السوارى ، وأن بعض ولاة الاسكندرية رأى هدمها وتكسيرها ، ثم ألقاها بشاطىء البحر . كى يكسر بذلك سورة الموج عن سور المدينة ، وكى يمنع مراكب العدوان من الاستناد الى السور ..

أما المنارة فصفتها مشهور يغنى عن وصفها . **وقد ذكر ذوو الصناعة أن طولها مئتا ذراع وخمسون ذراعا .**

ومن ذلك أيضا الآثار التى بمصر القديمة . وهذه المدينة بالجيزة ، فريق الفسطاط . وتجد فيها من العجائب ما يفوت وهم الفطن المتامل ، ويحسر دون وصفه البليغ اللسن . ومن ذلك البيت المسمى بالبيت الاخضر ، **وهو حجر واحد ، تسع**

أذرع ارتفاعا فى ثمان طولا ، فى سبع عرضا ، وقد حفر فى وسطه بيت جعل سمك حيطانه وسقفه وأرضه ذراعين ، والباقى فضاء البيت ، وجميعه - ظاهرا وباطنا - منقوش ومصور ومكتوب بالقلم القديم ، وعلى ظاهره صورة الشمس مما يلى مطلعها ، وصور كثير من النجوم والأفلاك ، وصور الناس والحيوان على اختلاف من النصبات والهيئات ، فمن بين قائم وماش وماد رجليه وضامهما ، ومشمر للخدمة . وحامل آلات ، ومشير بها .. وقد كان هذا البيت ممكنا على قواعد من حجارة الصوان العظيمة الوثيقة ، فحفر تحتها الجهلة والحمقى طمعا فى المطالب ، فتغير وضعه ، وفسد هندامه ، واختلف مركز ثقله ، وثقل بعضه على بعض ، فتصدع صدوعا طفيفة يسيرة ..

واذا رأى اللبيب هذه الآثار ، عذر العوام فى اعتقادهم عن الأوائل بأن أعمارهم كانت طويلة ، وجثثهم عظيمة ، أو أنه كان لهم عصا اذا ضربوا بها الحجر سعى بين أيديهم !

غير أن الناس حسبوا كل علم يلوح لهم أنه علم على مطلب ، وكل شىء مفطور فى جبل أنه يفضى الى كنز ، وكل صنم عظيم أنه حاصل لمال تحت قدميه . فصاروا يعملون الحيلة فى تخريبه ، ويبالغون فى تهديمه ، ويفسدون صور الاصنام افساد من يرجو عندها المال ويخاف منها التلف ؛ وينقبون الأحجار نقب من لا يتمارى أنها صناديق مقفلة على ذخائر ! .. ومن كان من هؤلاء له مال اضاعه فى ذلك . ومن كان فقيرا قصد بعض المياسير (ميسورى الحال) وقوى طمعه وقرب أمله ، حتى يخسر ذلك عقله وماله .

ومما يقوى أطماعهم ، ويديم اصرارهم ، أنهم يجدون نواويس تحت الأرض ، فسيحة الأرجاء ، محكمة البناء ، وفيها من موتى القدماء الجم الغفير ، والعدد الكثير ، قد

لفوا بأكفان من ثيـاب القنب ، لعله يكون على الميت منهـا زهاء ألف ذراع !.. هذا الى جوار ما يوجد معهم من ذهب، وما فى مدافنهم من أصناف الحيوان والطير والحشرات !

(٥) فيما شوهد من غرائب الأبنية والسفن

• **وأما** أبنيتهم ففيهاهندسة بارعة ،وترتيب فى الغاية ،حتى انهم قلما يتركون مكانا غفلا خاليا . ودورهم أقبح ، وغالب سكناهم فى الأعالى ، ويجعلون منافذ منازلهم تلقاء الشمال والرياح الطيبة .. وهم يحكمون قنوات المراحيض ، حتى أنه تخرب الدار والقناة قائمـة ! .. **وأما حماماتهم ، فلم أشاهد فى البلاد أتقن منها وصفا ، ولا أتم حكمة ، ولا احسن منظرا ومخبرا ..**

أما سفنهم فكثيرة الأصناف والأشكال ، واغرب ما رأيت فيها مركب يسمونه « العشرى » ، قـد سطح بألواح من خشب ثمينة محكمة ، واخرج منها أفاريز كالرواش نحو ذراعين ، وبنى فوق هذا السطح بيت من خشب ، وعقدت عليه قبة ، وفتحت له طاقات و « روازن » بأبواب الى البحر من سائر جهاته . ثم تعمل فى هـذا البيت خزانة مفردة ، ومرحاض . ثم يزوق بأصناف الأصباغ ، ويدهن بأحسن دهان .

وهـــذا يتخذ للملوك والرؤساء ، بحيث يكون الرئيس جالسا فى وسادته وخواصه حوله ، والغلمان والمماليك قيام بالمناطق والسيوف على تلك الرواشن ، واطعمتهم وحوائجهم فى قعر المركب . والملاحون تحت السطح أيضـا وفى باقى المركب ، يجدفون به ، لا يعلمون شيئا من أحوال الركاب ، ولا الركاب تشتغل خواطرهم بهم ، بل كل فريق بمعزل عن الآخر ومشغول بما هو بصدده .

(٦) فى غرائب أطعمتها

• **فمن ذلك النيدة** . وهى حمراء الى السواد ، حلوة لا فى الغاية. وتتخذ من القمح بأن ينبت ، ثم يطبخ حتى يخرج نشاه وقوته فى الماء ، ثم يصفى ويطبخ ذلك الماء حتى يفلظ ، ثم يذر عليه الدقيق ، ويعقد ، ويرفع ، فيباع بسعر الخبز ، وهذه تسمى « نيدة البوش » . وقد يطبخ ذلك الماء وحده ، حتى ينعقد من غير دقيق . وتسمى «النيدة المعقودة» ، وهى أغلى من الأولى وأعلى .

واما أطبختهم ، فالحوامض منها والسواذج هى المعهودة أو قريبة من المعهودة . وأما المحليات (الحلوى) فغريبة . **وذلك أنهم يتخذون الدجاج بأصناف من الحلويات .** وسبيل ذلك أن تسلق الدجاج ثم ترمى فى الجلاب ، ويلقى عليها بندق مدقوق أو فستق أو خشخاش أو بذر رجلة او ورد ويطبخ حتى ينعقد ، ثم يتبل ، ويرفع . **وتسمى هذه الأطبخة بالفستقية والبندقية والخشخاشية والوردية .**

واما الحلويات المتخذة من السكر ، فأصناف كثيرة .. وكثيرا ما يستعملون الفستق فى أطبختهم وحلوائهم عوض اللوز ، **وهو مما يفتح سدد الكبد !** .. ويتخذون منه هريسة تسمى هريسة الفستق ، وهى لذيذة جدا مسمنة، وموادها لحم دجاج مسلوق ، منسر جزء وجلاب جزءان ، ومثل ثمن (اى جزء من ثمانية) الجميع أو تسعه فستق مقشور مهروس . وكيفية عمله أن يمسح اللحم المنسر بالسيرج، ويجعل بالدست (آنية الطبخ) بحيث يشم النار، ويسكب عليه الجلاب ، ويضرب حتى ينعقد ، ثم يلقى على الفستق ، ويضرب حتى يختلط ، ثم يرفع ..

واما عوامهم ، فقلما يعرفون شيئا من ذلك . وأكثر

اغذيتهم « الصبر » و « الصحناة » والخبز و « النيدة » ونحو ذلك . وشرابهم « المزر » ، وهو نبيذ يتخذ من القمح .. ومنهم أصناف يأكلون الفأر المتولد فى الصحارى والفيطان عند انحطاط النيل ، ويسمونه « سمانى الفيط » .. وبالصعيد قوم يأكلون الثعابين والميتات من الحمير والدواب ! .. وبأسفل الأرض قد يتخذ نبيذ من البطيخ الأخضر ! .. وبدمياط يكثر أكل السمك .

(٧) فى النيل وزيادته

• اعلم أن نيل مصر يمد وقت نضوب مياه الأرض ، فيعلو على الأرض ، ويقيم أياما . فاذا نزل عنها حرثت وزرعت ، ثم يكثر الندى فى الليل جدا ، وبه يتغذى الزرع الى أن يحصد ..

وأما النيل فهو من نال ينال نيلا ، ومن نال ينال نولا . وهو اسم ما ينال مثل الرعى للمصدر والرعى لما يرعى .

واتفق أن زيادة النيل بلغت سنة ست وتسعين وخمس مائة اثنتى عشرة ذراعا واحدى وعشرين أصبعا . وهذا المقدار نادر جدا ، فانه لم يبلغنا منذ الهجرة الى الآن أن النيل وقف على هذا الحد قط الا فى سنة ست وخمسين وثلاثمائة ، فانه وقف على دون هذا المقدار بأربع أصابع .. وأما وقوفه على ثلاث عشرة ذراعا وأصابع فانه وقع نحو ست مرات فى هذه المدة الطويلة ، وأما أربع عشرة ذراعا وأصابع فانه وقع نحو عشرين مرة ، وأما خمس عشرة ذراعا فأكثر من ذلك كثيرا ..

(٨) فى حوادث سنة سبع وتسعين وخمس مائة

• **ودخلت** سنة سبع مفترسة أسباب الحياة ، وقد

يئس الناس من زيادة النيل . وارتفعت الأسعار ، واقحطت البلاد ، وأشعر أهلها البلاء ، وهرجوا من خوف الجوع . وانضوى أهل السواد والريف الى امهات البلاد ، وانجلى كثير منهم الى الشام والمغرب والحجاز واليمن ، وتفرقوا فى البلاد ايدى سبا ومزقوا كل ممزق ، ودخل الى القاهرة منهم خلق عظيم ، واشتد بهم الجوع ، ووقع فيهم الموت ؛ واشتد بالفقراء الجوع حتى اكلوا الميتات والجيف والكلاب والبعر والأرواث ، **ثم تعدوا ذلك الى أن أكلوا صغار بنى آدم ، فكثيرا مايعثر عليهم ومعهم صغار مشويون أو مطبوخون ، فيامر صاحب الشرطة باحراق الفاعل لذلك والآكل ! ..**

ولو أخذنا نقص كل ما نرى ونسمع ، لوقعنا فى التهمة أو فى الهذر . وجميع ما حكيناه مما شاهدناه لم نتقصده ، ولا تتبعنا مظانه ، وانما هو شيء صادفناه اتفاقا ، بل كثيرا ما كنت أفر من رؤيته لبشاعة منظره ! ..

وأما القتل والفتك فى النواحى فكثير فاش فى كل فج ، ولا سيما طريق الفيوم والاسكندرية . وقد كان بطريق الفيوم ناس فى مراكب يرخصون الأجرة على الركاب ، فاذا توسطوا بهم الطرق ذبحوهم وتساهموا أسلابهم . وظفر الوالى منهم بجماعة فمثل بهم ، وأقر بعضهم عندما أوجع ضربا أن الذى خصه دون رفقائه ستة آلاف دينار !..

وبالمثل موت الفقراء جوعا وهزالا . فقد هلك أناس كثيرون .. حدثنى بذلك غير واحد . قال أحدهم : دخلنا مدينة فلم نجد فيها حيوانا فى الأرض ولا فى السماء !.. فتخللنا البيوت فألفينا أهلها كما قال الله عز وجل : « جعلناهم حصيدا خامدين » !..

ونهاية سعر القمح فى هذه السنة خمسة دنانير ، وأما بقوص والاسكندرية فبلغ ستة دنانير .

(٩) فى حوادث سنة ثمان وتسعين وخمس مائة

• **ودخلت** هـذه السنة والأحوال التى شرحناها ـ فى السنه الخالية ـ على ذلك النظام أو فى تزايد ، الى زهاء نصفها .. فتناقص مـوت الفقـراء لقلتهم ، لا لارتفـــاع السبب الموجب ، وتناقص أكل بنى آدم ، ثم انقطع خبره اصلا .. وقل خطف الاطعمة من الاسواق ، وذلك لفناء الصعاليك .

ثم انه وقع بالفيوم والغربية ودمياط والاسكندرية موتان عظيم ووباء شديد ، ولا سيما عنـد وقت الزراعة ، فلعله يموت على المحراث الواحد عـدة فلاحين ! .. **حكى لنا أن الذين بذروا غير الذين حرثوا ، وكذلك الذين حصدوا ! ..** وسمعنا من الثقاة عن الاسكندرية أن الامام صــلى يوم الجمعة على سبع مائة جنازة ، وأن تركة واحـدة انتقلت فى مدة شهر الى أربعة عشر وارثا !

واتفق سحرة (وقت السحر) يوم الاثنين الســادس والعشرين من شعبان ، أن حدثت زلزلة عظيمة ، اضطرب لها الناس ، فهبوا من مضاجعهم مدهوشين • ولبثت مدة طويلة وكانت حركتها كالغربلة ، أو كخفق جنـاح الطائر . ومادت بها الابنية ، واصطفقت الأبواب ، وصرصرت السقوف والاخشاب ، وتداعى من الابنية ما كان واهيا ، أو مشرفا عاليا .. ووردت كتب (رسائل) من الشام (دمشق) وحماة تتضمن خبر الزلزلة .

واما خبر النيل فى هذه السنة ، فانه قد تأخر فى الزيادة حتى ساءت ظنون الناس وشملهم اليأس .. لكنه ما لبث ان اندفع بقوة وزيادات متداركة وجبال من المياه متدافعة ، فزاد ثمانى أذرع فى مدة عشرة أيام .. ثم اخذ ينحط !

الحب .. في سياسة العالم !

للمؤرخ الفرنسي :
جي بريتون

تلخيص : ماهر مينا

عزيزى القارىء :

أعتقد أنك اقتنعت الآن بأن الحب عنصر هـام من العناصر التى توجـه سياسة العالم ، وتشكل تاريخه ، بعد أن قرأت ((**ابتسامة توحد مملكة**)) ـ فى العدد ٩٤ من « كتـابى » ـ و ((**معـا الى المجـد !**)) ، فى العدد (٩٥) .

على أن أثر الحب يتباين ، فهو أحيـانا يقود الى المجد والعزة وجلائل الأعمال ، بينما يؤدى ـ فى أحيان أخرى ـ الى الفشل والهوان والهلاك .. والقصة التى اخترتها لك فى هذه المرة ، عن المؤرخ الفرنسى المعاصر « جى بريتون » ، خير مثال يصور الأثر المدمر للحب ، اذا أسىء استغلاله ، أو اتخـذ اداة للعبث .. فان أبطالها جميعا كانوا مغرقين فى الحب الآثم ، والجشع الدنس ، مما انتهى بهم الى أسوأ النهايات ..

ولكنى لا أريد أن أفسد عليك لذة اكتشاف الأحداث بنفسك ، فاليك القصة التى أستقى المؤلف وقائعها من كافة مصادر التاريخ الممكنة ..

الغدر .. من تقاليد الأسرة !

• **عندما** مات الملك « كلوتير » ـ فى القرن السادس ـ عمد أبناؤه الثلاثة الى تقطيع أوصال مملكته ، ليستقل كل منهم بقسم منها .. فآلت مملكة (باريس) الى « شيلبريك » ، ومملكة (ميس) الى « سيجبيرت » ، ومملكة (اوتان) الى « جونتران » .. **على أن هـذا التقسيم لم يفلح فى تجـريد أنفسهم من البغضاء ، بل انه اذكى نيران الغيرة فى صدر كل منهم ،** فراح يتطلـع الى أخويه فى حسد ، ويحدث نفسـه

بالتخلص منهما والاستيلاء على مملكتيهما .. حتى لقد سول الجشع اشيلبريك ـ أكثر من مرة ـ أن يغتال شقيقيه !

ولم يدهش الشقيقان لمسلك « شيلبريك » نحوهما ، فقد عرف بحدة الطباع ، وسوء الخلق .. **فضلا عن أن الغدر والقسوة كانا من الصفات التي توارثها الاخوة الثلاثة ،** لا سيما وقد تفتحت أعينهم على الدنيا ، في وسط شاعت فيه الفظاعات . وقد شهدوا من تصرفات أبيهم البشعة ما رسب في نفوسهم . فان « كلوتير » كان لا يتورع ـ اذا ضايقه زائر على نحو ما ـ عن اصدار الأمر بالاطاحة برأسه ، غير مكترث بتقاليد الضيافة ، ولا حافل بما في هذا التصرف من غدر ممجوج .. **فاذا كان صافي المزاج ـ وقلما كان يصفو مزاجه ـ اكتفى بأن يقطع لسان الضيف الثقيل !**

وقد بلغ به الغدر ، انه عندما توفي اخوه « كلودومير » ، رأى ان الاطفال الصغار الثلاثة الذين خلفهم هذا الاخ ، خليقين بأن يفسدوا عليه مطامعه . فدعاهم الى قضاء ليلة في قصره ، قائلا لأمه « كلوتيلد » : « انما دعوت الاعزاء الصغار ، ليلهوا في القصر وينعموا ! » .. وكان من الطبيعي ان يفرح الصغار بعطف عمهم الملك ، وان يسارعوا الى تلبية دعوته . وما ان وصلوا ، حتى بعث « كلوتير » برسالة مقتضبة الى امه ، قال فيها : **« أريد ان أعرف ما تختارينه لهؤلاء الصغار : أتفضلين ان يعيشوا مقصوصي الشعر ، ام ان يموتوا مذبوحين ؟ »**

وكان قص الشعر ـ في ذلك الوقت ـ دليل الخزي والعار . وقد جزعت « كلوتيلد » كل الجزع ، ولكنها كانت تعرف ما جبلت عليه نفس « كلوتير » ، فلم تلبث ان قالت لمبعوث الملك ، وهي مشتتة الحواس : **« لئن اراهم قتلى أهون**

على من ان اراهم مقصوصي الشعر ! » • ولم يكن « كلوتير » يرجو غير هذا . فما ان بلغه ردها ، حتى سار الى القاعة التى كان الصغار يلعبون فيها ، وقضى عليهم بيده ، ليستأثر بما كان لأبيهم « كلودومير » من اراض !.

يهيم بخادمة أحب زوجاته !

• **هذه** الاساليب ـ التى تقابل اليوم بالدهشة والاستهجان ـ كانت من الامور المألوفة ، فى ذلك العهد . لذلك كان من الطبيعى ان يعيش كل من اولاد « كلوتير » الثلاثة ـ شيلبريك ، وسيجبيرت، وجونتران ـ وهو موجس من اخويه ، حريص على التزام الحذر تلقائهما ، وعلى أن يحتاط كل الحيطة من غدرهما .. وان لم يحل هذا دون أن يعيش كل منهم حياة حافلة بشتى الوان الفسق والمجون !

وكان « شيلبريك » اكثر الاخوة الثلاثة فسادا وانحلالا ، حتى لقد كان له عدد من النسوة ، أفرد لهن قصراً كبيراً ، واطلق على كل منهن لقب « ملكة » .. وان لم تكن ملكات رسميات ، اذ كانت الملكة الرسمية هى أولى نسائه : « اودوفير » .

وقدر له ـ يوما ـ ان يرى عند ملكته الاثيرة « اودوفير » خادما ، لم يكد بصره يقع عليها ، حتى هام بها . فقد كانت حسناء من « الفرنجة » ، ذات جمال خلاب ، تدعى **« فريديجوند »** .. على ان الوقت لم يتسع لشيلبريك كى يستمتع بهواه ، وبالحبيبة الجديدة . فان الحرب لم تلبث ان شبت ، اذ هاجم « السكسون » اراضيه ، فاضطر الى ان يخرج لقتالهم .

خطة ماكرة ..

• **وتصادف** ان وضعت «اودوفير» طفلة فى غياب زوجها ..وكانت حاملا قبل رحيله.ولم تحل الحرب دون الاحتفال بالاميرة الجديدة ، فاقيمت المآدب والحفلات اياما متتالية .

وكانت «فريديجوند» لاتكف ــ فى تلك الاثناء ــ عن التفكير والتدبير . **فان ما رأته فى عينى الملك من شغف بها ، ايقظ طموحها ، وغذى مطامعها ..** فلما ولدت الأميرة الجديدة ، سول لها الخبث ان تستغل الفرصة ، وأوحى اليها بخطة انطوت على دهاء عظيم . ففى أعقاب احدى الحفلات ، سعت الى الملكة ، فقالت لها : «خليق بك يامولاتى ان تعمدى الطفلة دون انتظار عودة الملك » .. ثم اردفت بخبث :

ــ وانا على يقين من انه سيغتبط كل الاغتباط ، لو انك كنت اشبينتها !

وكانت « اودوفير » سليمة الطوية ، طيبة النفس ، فلم يداخلها أى توجس ، ولم يخطر ببالها ان ترى ما يدعو الى الريب فى ان تكون « اشبينة » ابنتها ..واخذت بالنصيحة ، فسرعان ما تم تعميد الطفلة .

وبعد شهر ، عاد « شيلبريك » من حملته ، فأسرعت «فريديجوند» اليه ، وتساءلت فى انكسار مصطنع : **((مع من سيقضى مولاى ليلته ؟))** .. وقبل ان يتمالك نفسه من الدهشة لسؤالها ، استطردت تقول ، وهى تبتسم فى دهاء :

ــ لقد اصبحت الملكة « اشبينة » ابنتك !

وكانت العلاقة بين والد الطفلة و ((اشبينتها)) امرا محرما ، فى ذلك العهد .. فما ان سمع الملك قول « فريديجوند » ، ولمح ابتسامتها الماكرة ، حتى ادرك خطتها ، وفهم الحيلة البارعة التى قامت بها ..وما كان له ان يغضب ، وهو الذى

كان مشغوفاً بالفرنجية الحسناء ، بل انه اعجب بذكائها ، واومضت عيناه بالنشوة ، وقال :

ــ حسناً ! .. ما دمت لا أستطيع أن أقضى ليلتى مع الملكة ، فلأقضها معك انت !

وان هى الا ساعات ، حتى كانت « فريديجوند » قد أصبحت ملكة (باريس) .. وتنكر « شيلبريك » لمليكته الاثيرة السابقة ــ اودوفير ــ فطلقها ، وطردها من قصره ، لتأوى الى احد الاديرة !

يتزوج .. غيرة من اخيه !

• **اما** «سيجبيرت» ، فكان أقل اغراقا فى المجون من أخيه .. فلم تكن له سوى خمس عشرة عشيقة .. فقط !

وفى ذات يوم ، قرر ان يقطع علاقاته بتلك العشيقات ، وان يكف عن اقتناء ملكات عابرات ، فيتزوج من «برونو» ــ ابنة ملك اسبانيا ــ ويعيش فى احضان زوجة شرعية واحدة ! .. **والحق ان « برونو » كانت جديرة بأن يضحى بملذاته ، وان ينفض يديه من عشيقاته .** فقد كانت رائعة الجمال ، انيقة المظهر ، رشيقة القوام ، ناضجة التفكير .. فلم يجد الملك ما يأسى عليه اذ تخلى عن حياة اللهو والمجون !

وتم الزفاف فى (ميس) ، فى حفل رائع ، وزينات لم تشهد لها البلاد مثيلا من قبل .. وما ان سمع «شيلبريك» بذلك ، حتى أخذت الغيرة تفرى قلبه . وزاده كمداً ، أن سمع ان أحد الشعراء ألقى ــ فى نهاية الحفل ــ قصيدة تغنى فيها بمناقب العروسين .. فقد كان امتداح الشعراء للملك ــ فى ذلك الحين ــ من علامات التكريم والاجلال !

وفى غمرة حسرته ، فطن الى ان « حريمه » لم يكن بالشىء الذى يليق بملك مثله .. **وتبين ان حياته الخاصة كانت أبعد**

عن صون كرامة الملك ، من حياة أخيه ! .. وهداه خياله العقيم الى ان يحذو حذو أخيه ، فيسعى الى ملك اسبانيا بالذات ، ويسائله ان كانت لديه ابنة أخرى تصلح زوجة له !

واجاب ملك اسبانيا : « لم تعد لدى سوى ابنتى الكبرى .. وانى لعلى أستعداد لأن ازفها اليك ، اذا انت تعهدت بالانصراف عن جميع محظياتك ! »

الشيطان الكامن فى قصر الملك

• **ودفعت** الغيرة « شيلبريك » الى ان يقبل الشرط لفوره . فقد كان راغبا فى ان يتشبه بأخيه ، باى ثمن ! .. **لذلك بادر الى التخلص من جميع عشيقاته .. حتى « فريديجوند » . وتزوج من « جالزوبيت » الفاتنة ، ابنة ملك اسبانيا !**

واقيم الزفاف فى مدينة (روان) .. وقد زاد من بهائه ان العروس حملت الى عريسها ــ كبائنة ــ عدة صناديق مملوءة بالجوهرات والاحجار الكريمة .

وعاش « شيلبريك » مع عروسه فى سعادة وهناء بضعة أشهر . ولكن الشيطان لم يكن قد بارح القصر الملكى .. وكان قد اتخذ له فيه اداة . اذ أوحى الى «فريديجوند» ان تتوسل الى الملك ان يستبقيها وصيفة ــ او خادما ــ بعد ان فقدت حبه واحضانه . فلان قلب الملك لها واستبقاها . وقد حرصت ــ فى بادىء الامر ــ على ان تتوارى عن عينيه ما استطاعت ، **ثم أخذت تدبر المصادفات ، كى تلتقى به من آن لآخر ، فتتظاهر بأنها تفر من طريقه ، بأساليب تثير الجماد .. مما كان يحيى موات شوقه اليها ، ويذكى وقدة حبها فى فؤاده .**

وظل يتذرع حينا بالخوف من اغضاب ملك اسبانيا ،

فيقاوم هواه ما استطاع . ولكن جلده وهن على مر الأيام ، حتى انهارت مقاومته تماما . فلم يلبث ان وجد نفسه مسوقا الى مخدع « فريديجوند » الساحرة الماكرة !

هكذا قضى على وحشة لياليها !

• **وحاول** «شيلبريك» ــ فى بادىء الامر ــ ان يبقى هواه سرا مكتوما .. ولكن مفاتن «فريديجوند» لم تلبث أن ذهبت بكل حرص ، فلم يعد يتستر على علاقته بها .. واذ ذاك ، انقلبت حياة الملكة « جالزونيت » الى جحيم ، **وأصبحت تتعرض ــ طيلة النهار ــ لهوان الغزل المتبادل بين زوجها وعشيقته ، ولمذلة الشامتين من الحاشية والخدم .. حتى اذا جن الليل ، انزوت فى مخدعها البارد وحيدة ، حزينة .**

وعندما فاض بها الكيل ، التمست من زوجها ان يسمح لها بالعودة الى أهلها ؛ ولكنه أبى أن يستجيب لرغبتها .. ولعله خشى نقمة ابيها . وراح يلتمس الحيلة معها ، حتى يسترضيها . ووعدها بأن يتلطف معها فى المستقبل ، وان يجعل لياليها اقل وحشية وضجرا ..

وقد بر بوعده . اذ أمر أحد الأوفياء من خدمه ، بان يزهق انفاسها ــ اثناء نومها ــ فى الليلة التالية !

وماتت « جالزونيت » .. وان هى الا أيام ، حتى تزوج « شيلبريك » من « فريديجوند » ، ونصبها ملكة رسمية ــ فى هذه المرة ــ على باريس !

« سيجيبرت » يحتل (باريس)

• **وكان** من الطبيعى ان تثير وفاة « جالزونيت » شكوك أختها « برونو » . فلما قدر لهذه ان تعرف ان أختها ماتت

فيلة وغدرا ، حنقت على « شيلبريك » بقدر ما كانت تحب اختها ، وراحت تحرض زوجها « سيجبيرت » على أن ينتقم ..

وطفق الشقيقان يتبادلان الاتهامات والتهديدات .. ثم عكف كل منهما على حشد قواته ، واعداد العدة .. وفجأة ، **سار « شيلبريك » ، على رأس جيشه . فحاصر (ميس) على حين غرة . ولكن « سيجبيرت » كان يعمل لهذه اللحظة حسابها ، اذ انه لم يكن غافلا عما جبل عليه اخوه من غدر .** لذلك استقبله وقواته بجيش مستعد اتم استعداد ، ولم يلبث ان اوقع به هزيمة نكراء ، ثم اندفع يطارد فلوله المدحورة ، فاضطر «شيلبريك» الى ان يلوذ و «فريديجوند» بمدينة (تورنى) .

ودخل « سيجبيرت » مدينة (باريس) دخول الغزاة الفاتحين .. ثم سار الى مدينة (فيترى) ـ التى كانت مقرا رسميا للملك ـ كى ينصب فيها ملكا على مملكة أخيه .

وبدا ان ملك «شيلبريك» قد دال ، وان القدر قد ابتسم لسيجبيرت ، وساعده على ان يصبح ملكا على مملكتين !

ملك فى الخامسة من عمره !

• بيد ان جعبة المكر والخيانة لم تكن قد فرغت .. فما ان انتهت مراسم تنصيب « سيجبيرت » ، حتى انقض عليه رجلان من وسط جموع الشعب ، فأوسعاه طعنا بخنجرين .. **وظهر ان « فريديجوند » هى التى اوفدتهما ، وانها غمست بيديها طرفى الخنجرين فى سم زعاف !**

وقلب مصرع « سيجبيرت » الموقف رأسا على عقب ، اذ ان رجال «سيجبيرت» ـ الذين كانوا يحاصرون «شيلبريك» فى (تورنى) ـ ما لبثوا ان عادوا الى بلادهم .. واذ ذاك ،

هرع «شيلبريك» الى (باريس) ، فاستردها واعتقل زوجة شقيقه الصريع ـ التى لم تكن قد علمت بالتطورات السريعة ـ وابنهما الصغير « شيلدبيرت » .. الذى كان فى الخامسة من عمره .

ورضخت « برونو » للأمر الواقع. بيد أنها لم تشأ ان تجنى على صغيرها . فراحت تبتدع الحيل لتهريبه .. وفى ذات ليلة ، وضعت « شيلدبيرت » فى سلة من خشب الصفصاف ، **وأدلته بحبل طويل من نافذة المعتقل ، الى حيث تلقاه صديق وفى ، أسرع به الى (ميس) ، حيث احتفل رسميا بتنصيبه ملكا ، لعرقلة مطامع ((شيلبريك)) .**

وكان من سخرية القدر ، ان شيلبريك بهر بجمال اسيرته .. وما كانت نظراته الولهانة لتخفى على « فريديجوند » ، فاذا الغيرة تتأجج فى صدرها ، **اذ ادركت ان الارملة الشابة كفيلة بأن تستأثر بلب ((شيلبريك)) الماجن ، المتقلب العاطفة ..**

وانتهى بها التفكير الى ان تنفيها الى (روان) ، لكى تقصيها عن القصر ، وعن انظار الملك .

الأب والابن يتزاحمان فى الهوى !

● على ان جمال « برونو » لم يشغل شيلبريك وحده ، بل ان فتنتها اسرت لب شخص آخر فى قصر الملك ، لم تكن تشعر به .. شاب يافع ، شاء القدر ان يكون من ابناء الملك الذين كان قد انجبهم من « اودوفير » ! ..وهكذا قدر للأب والابن ان يتزاحما على .. الاسيرة ، الكسيرة !

ولقد أمض العاشق الصغير فراق محبوبته ـ بعد نفيها ـ فغادر القصر سرا ، وسعى الى لقائها .. ولكم ادهشها ان رأت الشاب اليافع يقتحم عليها خلوتها .. وقبل ان تسأله

عن سر مقدمه ، بل قبل ان يحييها . ألقى بنفسه عند قدميها، وهتف فى لوعة : « انني مشغوف بك ! »

وانطلق يبثها حبه المشبوب ، ولوعته المضنية .. وكان الهوى قد اسقمه حقا ، **حتى ان قلب الارملة الاسيرة لان له ، وهو ابن غريمها وقاتل زوجها .. وشيئا فشيئا ، تحول الاشفاق الى حب ، و .. جرفهما التيار !**

وفى ذات يوم ، وصل الى قصر « شيلبريك » بباريس ، رسول موفد من (روان) . يحمل اليه قصة هذا الغرام !

وذهل الملك عند سماعه النبأ .. ثم أفسح الذهول السبيل الى غضب أهوج .

وكانت « فريديجوند » ـ فى تلك الاثناء ـ قد استطاعت أن تقضى على « اودوفير » فى الدير الذى اعتكفت فيه ، وأن تتخلص من أولاد هذه الغريمة ، لتفسح طريق الملك لأولادها .

على ان دهاءها ما كان ليحيط بكل الامور . فبينما كانت توغل فى الدماء ، لتضمن العرش لأولادها ، استطاعت ((برونو)) ان تفر من معتقلها ، وان تعود الى (ميس) ، حيث اقبلت تمارس الحكم باسم ابنها « شيلدبيرت » ، الذى لم يكن قد تجاوز السابعة من عمره .

وحشية فى البطش

• على ان القدر ساق للمملكتين ظروفا ادت الى تهادنهما .. وهدأت الأحوال اعواما ، بدت فيها «فريديجوند» قانعة بحياتها . ولكنها ـ فى الواقع ـ كانت تطوى جوانحها على الحقد والغدر . ولم تكن السنون تزيدها سوى قسوة وطغيانا ، حتى لقد كانت تتفنن فى البطش بكل من يقف فى طريقها ، او يتوانى فى خدمتها .. **بل انها كانت توقع العذاب**

بانتعساء ، لمجرد ان قسمات وجوههم ، او تركيب خلقهم لم يكن يصادف هوى من نفسها !

ولقد حدث ان غضبت يوما على قائد الحرس فى القصر الملكى ، فأمرت بأن يوثق الى عجلة التعذيب ، وان يجلد بالسياط حتى يموت . ووقفت بنفسها تشهد العملية فى استعذاب وحشى ، ثم انصرفت .. وبعد خمس ساعات ، أقبلت تتفقد سير التعذيب ، فما ان اقتربت من المسكين ، حتى سمعت صوتا يهيب بها : « حسبك ! .. حسبك ! »

وغاظها ان المسكين لم يكن قد فقد كل قواه ، ولكنها لم تكد تقترب منه ، حتى تبينت انه لم يكن صاحب الصوت .. **كان ((الزبانية)) هم الذين توسلوا اليها كى تأمر بالكف عن التعذيب ، فان العملية كانت قد انهكت قواهم هم .. فما بالك بالضحية ؟ !**

ولكن « فريديجوند » لم تكن تعرف رحمة .. فكان جزاء انجلادين – على انهم شعروا بالارهاق – ان قطعت أيديهم وارجلهم .. ثم امرت الملكة أحد أتباعها بأن يغرس الشوك تحت اظافر قائد الحرس ، الذى لم يحتمل العذاب ، فمات !

اخيرا .. قضت على زوجها !

. **واجتاح** فرنسا – فى عام ٥٧٧ – وباء الجدرى بصورة مروعة ، فراح يحصد الارواح حصدا .. وفقدت « فريديجوند » كل اولادها . فى ايام معدودة ! .. غير انها – بحكم نزعتها الواقعية – لم تحزن طويلا لهذه الفاجعة التى كانت كفيلة بأن تقصم ظهور الرجال ، بل تحولت تضاعف من اغرائها لزوجها ، عسى ان تنجب ولدا يعوضها عن المفقودين .

ولكن ((شيلبريك)) كان قد اكتهل ، لذلك لم تتورع ((فريديجوند)) عن ان تلجأ الى رجال الحاشية والحرس ،

عسى ان يمكنوها من تحقيق رغبتها .. وقدر لها ـ فى النهاية ـ ان ترزق بولد اسمته « كلوتير » .. فغمرها مولده بفيض من الانتعاش والحيوية. ولكنها بدلا من ان تكرس هذه الحيويه وذلك الانتعاش للوليد الجديد ، تولتها لهفة طارئة على شبابها وسحرها . فأخذت تستقبل فى مخدعها عشيقا ، فى كل ليلة ..

وكان خليقا بمسلكها هذا ان يجرها يوما الى المتاعب .. وفعلا تصادف ان دخل « شيلبريك » مخدعها يوما ، وهى ترتدى ثيابها ، وقد شغلت عن تعرف القادم . واراد ان يداعبها ، فدق على كتفها بعصاه . واذا بها تهتف دون ان تلتفت اليه : « وبعد ياالاندرى ؟ »

وقبل ان تفيق الى ان القادم لم يكن عشيقها ، وتدرك زلة اللسان التى كانت كفيلة بأن تفضح سرها ، كان « شيلبريك » قد انصرف وهو يتميز غضبا . واستبد بها الجزع ، وقد كانت أدرى الناس بغدر زوجها ، فلم تتوان عن ان امرت أحد اتباعها باغتياله ، اثناء احدى رحلات الصيد .

وحدة .. ثم انقسام !

• ومنذ ذلك الحين ، انغمست «فريديجوند» فى حمأة من الفسق والانحلال .. واصبح الفجور يسول لها ان تستبيح كل شىء ؛ حتى انها كثيرا ما كانت تستقبل فى مخدعها عشرة أو خمسة عشر عشيقا ، فى الليلة الواحدة .. وكانت تنتقى هؤلاء العشاق من الشباب الذين يفيضون حيوية وقوة !

وفى عام ٥٩٧ ، لفظت فريديجوند آخر أنفاسها ، دون أن تأسف الا على شىء واحد ، هو عدم تمكنها من قتل غريمتها « برونو » . وكانت هذه ـ فى تلك الآونة ـ فى أحسن حال ، وان كانت قد فقدت ابنها «شيلدبيرت» ، الذى كان قد صار

ـ بعد وفاة عمه الملك جونتران ـ ملكا على (ميس) و (اوتان) معا .. وكانت هاتان المملكتان تشغلان مساحة كبيرة ، وان كان قد قدر لهذه المساحة ان تنقلب ثانية الى مملكتين ، بعد موت « شيلدبيرت » ، اذ لم يكن العرف يقضى لدى الفرنجة بأن يخلف الابن الاكبر أباه . فاقتسم ولداه ملكه ، وتبوأ « تيودبيرت » ـ ابنه الاكبر ـ عرش (ميس) ، بينما ورث الابن الآخر « تييرى » مملكة (اوتان) ، واطلق عليها (بورجونيا) .

تفسد حفيديها لتستأثر بالسلطان !

• **ولكن** شهوة السلطان كانت قد تملكت «برونو» ، فحاولت ان تكون صاحبة الامر والنهى فى (ميس) ، كما كان شأنها فى عهد ابنها . ولكن حفيدها « تيودبيرت » رفض الانصياع لرغباتها والخضوع لسطوتها ، **واذ ذاك سعت لاضعافه وضعضعة مكانته ، فأخذت تغريه بألوان اللهو والعبث ، كى تشغله عن شؤون الحكم** . وأدارت رأسه ـ بالفعل ـ حياة الملذات ، فبدأ يهمل مسئولياته وينصرف عن واجباته ، لولا ان احدى محظياته ـ وكان قد هام بها حبا ـ راحت تحثه على استعادة نفوذه المنهار وطرد جدته الشديدة الطموح ، فلم يلبث ان استجاب لها .

ولجأت « برونو » الى (بورجونيا) ، عند حفيدها الآخر .. وما ان استقر بها المقام هناك ، حتى أعلنت ضرورة انقاذ البلاد من الفوضى المستشرية ، ووضع طائفة من المشروعات لاصلاح أمورها .. وقالت لحفيدها الملك « تييرى » :

ـ ان كل شىء فى حاجة الى تنظيم جديد .. وسأتولى أنا هذه المهمة !

وكخطوة أولى من خطواتها الاصلاحية ، أمرت بقتل رئيس

الديوان الملكي ، وأحلت محله احد عشاقها . ثم أسندت جميع المناصب الرئيسية الأخرى الى اتباعها وعملائها المقربين . واخيرا ، عمدت ـ لكي تستأثر وحدها بالسلطة المطلقة ـ الى دفع تييرى بين أحضان الرذيلة والفجور . واذ حاول أحد أنصاره ان يعيده الى الطريق السوى ، لم تتورع «برونو» عن معاقبة هذا الوفى برجمه بالحجارة فى غير ما رحمة !

النهاية المروعة !

• وفى عام ٦١٠ ، مات « تيودبيرت » مقتولا بتحريض من أخيه ، الذى ما لبث ان قضى نحبه بدوره ، بعد أن انهك الفساد قواه .

وفيما كانت برونو ـ وقد بلغت السبعين من عمرها ـ تتهيأ لكى تكرر مع أولاد حفيديها ما سبق ان اقترفته مع تيوديرت وأخيه تييرى ، اذا بكبار المسئولين فى (ميس) ـ يضيقون ذرعا بأفعالها ـ فيسلمونها لابن « فريديجوند » ـ الملك كلوتير الثانى ـ الذى أمر على الفور بتعذيبها لمدة ثلاثة أيام ..

وامعانا فى اذلالها وامتهان كرامتها ، وضعوها فوق ظهر احد الجمال ، بعد ان جردوها من ملابسها ، وراحوا يطوفون بها شوارع المدينة ! .. وأخيرا ، قيدوا ذراعيها وقدميها الى ذيل أحد الجياد الجامحة ، فأخذ يجرها فوق الأحجار والحصى التى كانت الطريق مليئة بها . وعندما توقف الحصان عن السير ، كانت جثة برونو الفاتنة ، والعاشقة الملتهبة ، القاسية ، قد استحالت الى كتلة مشوهة من اللحم المختلط بالدماء !

حوافز الحياة

النفس والجنس .. والمجتمع ..

عزيزى القارىء ..

فى هذا الباب قدمت لك فى الاعداد الماضية ، الكتب الآتيه على التوالى :

• كيف تصارح اولادك وبناتك بالحقائق الجنسية • طريق السعادة الزوجية • مركب النقص • كيف تقهر الخجل • كيف تقهر القلق وتستمتع بالحياة • فنون الحياة : فن الحب ، فن الزواج ، فن الحياة العائلية ، فن الزعامة ، فن التفكير ، فن الاستمتاع بالشيخوخة • غزو السعادة • التحليل النفسى • الجنس الآخر • الحب (لاوفيد) • فن الانتصار على الخوف • كيف تتجنب متاعب الاعصاب المرهقة • ابواب الحب المغلقة • تاريخ الغزل • كيف تعيش ٣٦٥ يوما فى السنة • السلوك الجنسى عند الرجل • السلوك الجنسى عند المرأة • لا تخنق عقلك •

واليوم .. اقدم لك كتابا جديدا ..

زواج الحب

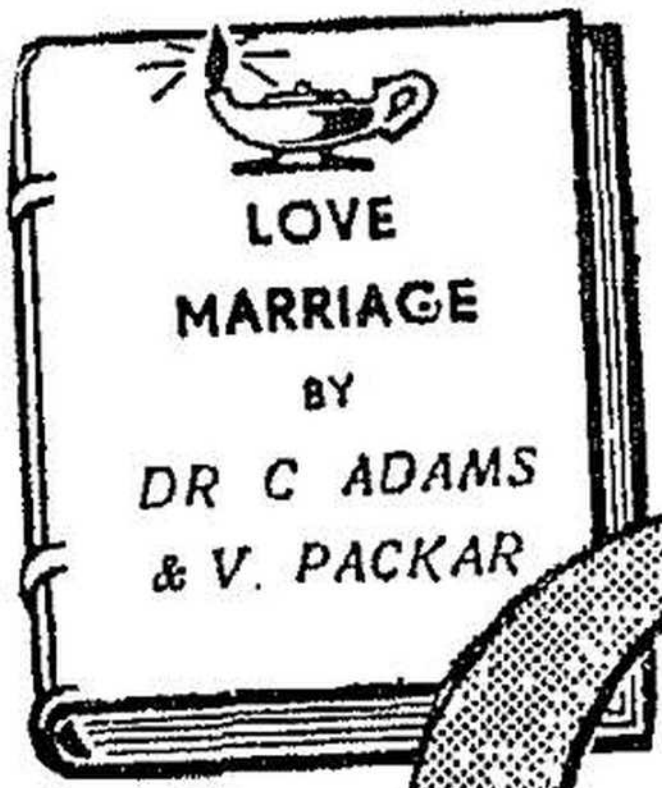

للباحثين الأمريكيين
دكتور كليفورد ر. آدامز
وفانس . أ. پاكار

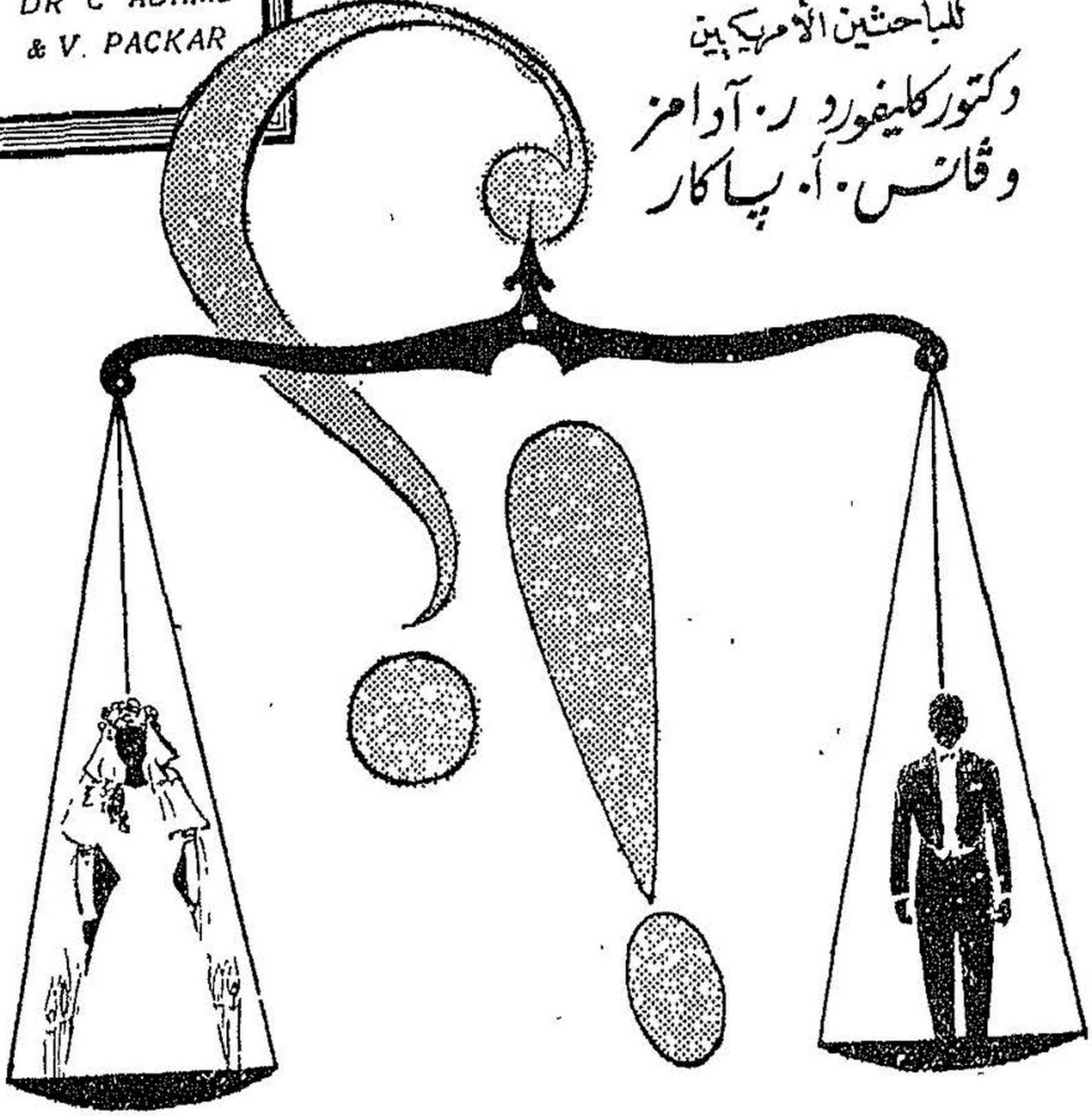

خير دراسة عملية تمكنك من أن تتعرف مدى
نضجك واستعدادك لأن توفق إلى زواج ناجح سعيد

تلخيص : زكي شنودة المحامي

عزيزي القارىء :

موضوع « الزواج » من الموضوعات التى لا تبلى جدتها ، فهو لا يفتأ يجتذب الكتاب والمفكرين .. وقد كان من نتائج الأسلوب العلمي ـ الذى يسود الفكر فى عصرنا ـ ان الخوض فى « الزواج » لم يعد مجرد ابداع انشائى ، أو اجتهاد فلسفى ، **وانما هو اقترن بالبحث العلمى السليم ، وأصبح له اخصائيون وخبراء .. بل ان من المعاهد العلمية ـ فى بلاد مثل الولايات المتحدة ـ ما انشأ برامج دراسية خاصة للزواج !**

وتشير نتائج معظم البحوث ، الى ان الميل الجنسى هو السبب الرئيسى الذى يدفع معظم الناس الى الزواج ، ولكنه ـ فى الوقت ذاته ـ **ليس العامل الأساسى الأوحد لسعادة المتزوجين .. وان لم يمنع هذا من أن يكون عاملا جوهريا فى نجاح الزواج أو فشله ..**

فما هى ـ اذن ـ العوامل الأخرى التى تقوم عليها السعادة الزوجية ؟

هذا هو موضوع الدراسة التى نقدمها لك فى الصفحات التالية ، والتى تعاون فى اعدادها عالمان نفسيان امريكيان وخبيران فى شؤون الزواج ، هما الدكتور « **كليفورد آدامز** » ، و « **فانس باكار** » .. وقد قرنا دراستهما هذه باختبارات بسيطة ، ولكنها كفيلة بأن ترشدك الى جدوى زواج الحب ، ومدى استعدادك له ، سواء كنت قد تزوجت فعلا ، أو كنت بعد فى مرحلة التفكير .

هل الزواج « قسمة ونصيب » ؟

• **يستنكر** كثير من الناس أن يقحم شخص ما نفسه عليهم ، ليعلمهم كيف يختارون أزواجهم . فهم يعتبرون ذلك نوعا من التطفل . ويعتقدون أن الزواج شيء شخصي ، للحظ أو القدر فيه دور كبير ، فلا ينبغي أن يجري على قواعد ، وانما هو ــ قبل كل شيء ــ مسألة « قسمة ونصيب » !

ولكن الزواج ــ في الواقع ــ ليس من تدبير القدر . وانما الذي يحدث ان الناس يتزوجون ــ عادة ــ **اما لأنهم يقعون في الحب ، واما لأن أهلهم يصورون لهم أن الزواج لعبة لطيفة، فيقدمون عليه بتأثير هذا الاغراء !**

وسواء كان الذي يحدث هو هذا أو ذاك ، فسرعان ما يتبين للزوجين ان الزواج أمر خطير ، يستغرق الحياة كلها .. وانه اذا كان تعيسا ، ففيه الدمار والهلاك للزوجين معا . لذلك نجد كثيرا من الناس يتحاشون الزواج اليوم ، أو يتخلصون منه بالطلاق أو بسواه .. ومن ثم يزداد عدد الرجال الذين يظلون عزابا باطراد ، وعدد النساء اللاتي يفضلن العمل على الزواج .

لماذا لا يتزوجون ؟

• **لهذا** يجدر بنا أن نبدأ البحث بهذا السؤال : « **لماذا نتزوج ؟** » .. ولكي نجيب عنه ، تجدنا أمام سؤال آخر : **« لماذا يحجم بعض النـــاس عن الزواج ، أو ينفرون من الاستمرار فيه ؟ »**

كثيرون هم الذين لا يتزوجون لأنهم لا يستسيغون التخلي عن حريتهم ، ويأبون اغلال المسئوليات العائلية ، ورتابة الارتباط بامرأة واحـدة .. وكذلك شـأن بعض الاناث ، اذ يتمسكن بالاستقلال الذي اعتدنه ، لاسيما اذا كن من اللائي يشتغلن

وينكسبن .. وآخرون ـ من الرجال والنساء على السواء ـ لا يتزوجون لأنهم ينشدون صوره مثاليـــة للزوج المرجو ، ولا يهتدون الى من يماثلها فى الحياة الواقعية .. وهناك من لا يتزوجون لأن الفرصة المناسبة لم تسنح لهم ، فهم يخشون أن لا يسعدوا اذا ما تزوجوا بعد الاوان ..

وثمة طائفة كبيرة من الناس ، لا يتزوجون بسبب الفشــل فى الحب ، اذ انه يخلف لديهم جراحا عاطفية تجعلهم ييأسون من الظفر بالسعادة فى الزواج من غير الحبيب المفقــود ! ..

ومن الناس من يأبى الزواج تضحية منه ، فى سبيل الالتزام بمسئوليات عائليــة يرى انها لا تدع له ســبيلا الى أن يكفل زوجة.. كأن يكون مسئولا عن اعاله أم أرملة ، أو اخوة أيتام !

ومن أسباب عدم الزواج ، اعتلال الصحة بدرجة تجعل من المستحيل استساغة فكرة الزواج أو توقع السعادة فيه . كما أن من الناس من يكونون انانيين ومحبين لذواتهم بدرجــة تجعل من غير الممكن لهم التوافق مع الغير ، **فى حين أن الزواج شركة تقتضى أن يكون الشريكان فيها قادرين على أن يضحى كل منهما برغباته الخاصة من أجل سعادة الآخر .**

ومن أنصار عدم الزواج ، أولئـك الذين لم يعدهم أهلهم لتحمل المسئوليات ، والاعتماد على أنفسهم .. كأن يسرفوا فى تدليلهم وتحقيق كل رغباتهم ، والسيطرة عليهم ، ومعاملتهم كأطفال ..

وأخيرا فان كثيرين ـ وخاصة بين الاناث ـ يقفون من الزواج موقفا غير سليم . اذ تتملكهم المخاوف من الاختلاط العضوى :

ومن ذلك أن زوجة فى التاسعة والعشرين من عمرها ، اعترفت أخيرا ــ بعد أربع سنوات من زواجها ــ بأنها كانت تخاف من الصلة الجنسية مع زوجهـا . وقد قدمت هذه الزوجـة الدليل ــ بغير وعى منها ــ على برودها الجنسى ، حين ذكرت

أن أمها كانت تتحدث أمامها ــ وهى بعد طفلة ــ عن متاعبها أثناء الولادة ، وأن الاتصال العضوى هو أحد أعباء الزواج التى لابد للزوجة من أن تتحملها . تم حدث بعد ذلك ــ وقد كبرت الطفلة ــ أن كانت تسير فى الطريق ذات ليلة ، فأوقف شاب سيارته فى الطريق وأراد معانقتها ، فتملكها الذعر بسبب الفكرة المغروسة فيها ، ومن ثم فانها حتى اليوم ــ وقد مرت أثنتا عشرة سنة ، تزوجت خلالها ــ لاتزال تخشى السير وحدها ليلا !

.. ولماذا يتزوجون ؟

• ((**أما** وقد استعرضنا أسباب عدم الزواج ، فقد آن انا أن نتساءل : ((**لماذا يتزوج الناس ؟**))

ان ثمة ٣٠ مليون زوجين فى أمريكا وحدها اليوم . وهم ــ بطبيعة الحال ــ لم يتزوجوا لمجرد أن الناس اعتادوا ذلك . وانما تزوجت نسبة كبيرة منهم ، اقتناعا بأن الزواج ينطوى على ميزات ومرغبات . فان كنت فى شك من ذلك فضع فى اعتبارك الحقائق التالية :

ان المتزوجين يعيشون ــ عادة ــ أطول مما يعيش العزاب :
فطبقا لتقرير عن الأعمار ، نجد أن عدد من يموتون من الرجال العزاب ، فى سن تتراوح بين ٣٠ و ٤٥ سنة ، ضعف عدد المتزوجين الذين يموتون فى هذه السن . وأن عدد من يمتن من النساء غير المتزوجات بين ٣٠ و ٦٥ سنة ، يزيد ١٠٪ عن عدد المتزوجات اللائى يمتن فى هذه السن .

وفضلا عن هذا السبب الجوهرى ، ثمة أسباب عملية جدا للزواج : **فمن الأوفر ــ اقتصاديا ــ لشخصين أن يعيشا معا ، من أن يعيش كل منهما منفردا ..** لأن تكاليف الاثنين مجتمعين توازى ثلثى تكاليفهما منفصلين .

وبالزواج تزداد فرص العمل امام الرجل .. لأن الرجل المتزوج ، ينظر اليه عاده باعتباره اكثر استقرارا من الأعزب . واجدر بالثقة ، وأقدر على تحمل المسئولية .. كما انه اقل استعدادا لترك وظيفته ، أو ـ بالأحرى ـ أكثر حرصا عليها .. ويعتبر المتزوج ـ كذلك ـ رجلا اجتماعيا أكثر من الأعزب ، فهو اقرب الى المجتمع وأوثق صلة به . والواقع ان كثيرا من الناس ينظرون فى ريب الى الرجل الناضج الذى يظل بلا زواج .

واخيرا ، فان الزواج يتيح ارضاء الرغبة الجنسية بغير تعرض للمؤاخذات القانونية ، وبدون الشعور بالاثم ولوم النفس .. **وقد أكد علم النفس الحديث أن الارضاء الجنسى ليس عملية عضوية للتناسل فحسب ، وانما هو نشاط يؤدى للراحة النفسية ..** فضلا عن انه يخفف من الأجهاد العصبى والتوتر الناشىء عن حاجات هرمونية أو غددية .

هل أنت كفؤ للزواج ؟

● **الزواج** من اخطر الخطوات التى يخطوها الانسان فى حياته . فالواقع أن الحياة ـ بالنسبة لأغلب الناس ـ تشغلها ثلاث مشاكل كبرى هى : تعلم التعامل مع الناس ، واختيار مهنة والنجاح فيها ، واختيار زوج والسعادة معه .

فهل أنت كفؤ للزواج ؟

أن الاجابة على هذا السؤال ليست بالبساطة التى تتصورها . فأنت لا تكون على استعداد للزواج، الا اذا كنت ناضجا بدرجة كافية . والنضوج الذى يدل على استعدادك للزواج، يرتبط بخمس نواح على الأقل هى : النواحى **العضوية والعقلية والمهنية والجنسية والعاطفية ..** وقد يكون ثمة أشخاص لم يستكملوا النضوج الكافى على الرغم

من بلوغهم الخامسة والثلاثين ! .. لذلك يجدر بك أن تراعى ما يلى ، قبل أن تبت فى أمر الزواج :

١ - **كم سنك من الناحية العضوية ؟** .. ان المراهقين يتصفون بالنمو الجسدى السريع : من حيث الطول ، والوزن ، والنضوج الجنسى . بيد انك - فى سن الثامنة عشرة - تصل الى الطول الذى ستبقى عليه طول عمرك تقريبا ، ويكون نموك الجنسى قد وصل الى حد القدرة على التناسل . ولكن هذا لا يعنى انك تكون قد أصبحت فى النضوج الذى يؤهلك للزواج .. فان هذا النضوج لا يتحقق الا فى سن العشرين ، وربما بعد ذلك . اذ أن الأمر يتوقف على غددك .

٢ - **كم سنك من الناحية العقلية ؟** .. ولا نعنى قدرتك على استيعاب المعلومات ، وانما ما تكون قد حصلته فعلا منها . **فان الشخص ينبغى أن يعيش ٢١ أو ٢٢ سنة على الأقل ، ليستوعب قدرا كافيا من الحياة ، يؤهله للأضطلاع بالمسئوليات التى تترتب على الزواج** . فاذا كنت قد عشت جانبا واحدا من الحياة ، أو عشت فى ظل حماية شخص ما ، فقد يتطلب الأمر مدة أطول من هذه .

٣ - **كم سنك من الناحية المهنية ؟** .. أن الرجل لا يكون ناضجا قبل أن يثبت أنه يستطيع أن يكسب عيشه . فالدرجة الجامعية ليست كافية لذلك ، وانما يجب أن ينجح الشخص فى عمله - بعد ذلك - بأن يستعمل معلوماته المهنية ليعيش منها . وقد كان الظن - فى وقت ما - أن الفتيات لا يحتجن لخبرة مهنية خاصة ، الا أن هذه الفكرة زالت وأصبحت المرأة الحديثة تعتد بالاستقلال ، ومن ثم فهى تجتهد فى استغلال قدرتها على اكتساب المال ، الى جانب قدرتها على ادارة المنزل .

٤ ـ **كم سنك من الناحية الجنسية ؟..** فالنضج الجنسي يتضمن أكثر من القدرة على النسل والحمل . وهو يتحدد في سن الطفولة . **فالمراهق الذى رباه والدان متزنا العواطف ، اعتادا أن يستمعا لمشاكله ويشرحا له سر الأمور الجنسية وسحرها ، يغدو ـ في العادة ـ مستعدا لمواجهة مشاكل المراهقة الجنسية ..** حتى اذا بلغ سن الثامنة عشر من عمره ، يكون قد نضج من الناحية الجنسية ، ما لم يكن ثمة كبت أو منع جنسي ، أو نفور من الجنس ، أو حب استطلاع غير طبيعي وتطلع زائد عن حد الاعتدال للمعلومات والخبرة الجنسية . وقد يظل المراهق خجلا أو شديد الشعور بالذات في حضور الجنس الآخر ، ولكنه لا يلبث أن يتغلب على ذلك ، حين يشترك مع ذلك الجنس في أى وجه من وجوه النشاط .

٥ ـ **كم سنك من الناحية العاطفية ؟..** وهذه أكثر النواحي دلالة على مقدار استعدادك للزواج . فقد دلت الأبحاث على أن الأشخاص الذين ينقصهم « النضج العاطفي » ، نادرا ما يحققون زواجا سعيدا .. ولكن ما هو النضج العاطفي ؟.. انه حالة عقلية تتضمن القدرة على التعامل مع الناس .. القدرة على استحقاق الرضا في العمل .. القدرة على حل المشاكل التي تنشأ في علاقاتك مع الآخرين . . **وأخيرا فان النضج العاطفي هو التحرر من الاضطرابات العصبية وعدم الاستقرار . والأعوام العشرة الاولى من سنك ـ كما هي الحال في النضج الجنسي ـ هي التي تحدد النضج العاطفي .** وفي سن الثامنة عشرة ، يتخذ الشخص ـ بالتأكيد ـ وضعا عاطفيا مستقرا . فاذا هو لم يكتسب هذا التوازن بين الحادية والعشرين والثانية والعشرين من عمره ، كان عليه أن يعمل على تحسين قدرته على ضبط النفس .

مظاهر النضج العاطفى

• **ولكى** نزيد « النضج العاطفى » توضيحا ، نورد هنا ثمانى صفات تلاحظ فى غير الناضجين عاطفيا ، وثمانى صفات مقابلة لدى الناضجين ..

فصفات الشخص غير الناضج :

ميال للعنف والعدوان ـ متمرد ، مشاكس ، عنيد ـ حقود ، متحامل ، مبغض ـ صريع للأوهام غالبا ـ كثير المخاوف والمثبطات ـ يعانى آلاما وهمية ، وهستيريا ، وارتعاشا ، وارقا ـ متوتر الأعصاب ـ فريسة للقلق والتردد .

أما صفات الشخص الناضج ، فهى :

يعامل الناس بمودة وتفاهم ـ حياته العائلية راضية ، هادئة ـ يستفيد من أخطائه ـ ناضج فى عمله ـ يحترم السلطات والعادات ـ يواجه المشكلات فى اقدام وغير تهيب ـ مستقيم ، معقول التصرفات .

ونخرج من هذه الاعتبارات جميعا ، بأن **من الخير للفتاة أن لا تفكر فى الزواج قبل سن التاسعة عشرة أو العشرين على الأقل .. كما أن الفتى يجب ألا يفكر فى الزواج قبل الحادية والعشرين أو الثانية والعشرين .** فهذا هو الحد الأدنى لسن الأهلية للزواج ، بالنسبة للأشخاص العاديين . وعلى الذين يبطئون فى النمو عن المعدل ، أن يتأخروا ـ فى الزواج ـ الى ما بعد هذه السن .

ما هو .. الحب ؟!

• **وما من** شك فى أن « الحب » كلمة أسيء استعمالها . فمن الناس من يحبون القطط والكلاب ، ومن يحبون « الآيس كريم » . والأولاد الذين يحاولون اختطاف قبلة من فتاة صغيرة يغمغمون بشيء عن الحب .. وان لم يفقهوا له معنى !

واثنتان من كل خمس فتيات تأتيان الى مستشار الزواج وفى اعتقادهما انهما قد وقعتا فى الحب ، وهما — فى الواقع — واهمتان .

ولقد ذهبت فتاة — ذات يوم — الى مستشار الزواج ، تزعم انها مدلهة فى حب طالبين ، فى آن واحد .. احدهما بطل فريق « الباسكت بول » ، والآخر نجم فرقة موسيقية . وكان كل همها أن تعرف أيهما تختار . ولكن المستشار لم يلبث أن تبين أنها لم تكن — فى الواقع — تحب أحدهما ، وانما زينت لها الأضواء المسلطة عليهما ، أنها واقعة فى هواهما !

ولكن ماذا عن « الحب من أول نظرة » ؟ .. أنها فكرة رومانتيكية ، ولكنها قليلة القيمة فى الواقع . ففى بعض الأحيان يشعر اثنان « بافتتان من أول نظره » ، قد يتطور أو لا يتطور الى حب . ويقوم « الأفتتان » عادة على الميل الجنسى ، فى ٨٠ فى المائة من الحالات !

وقد يقع « الحب من أول نظرة » كذلك ، حين يحدث أن ترى شخصا مطابقا لـ « مثلك الأعلى » الذى تتخيله لشريك حياتك .. ولكن هذه مصادفة لا تسنح لكل امرىء ، فهى حالة استثنائية !

فالحب من أول نظرة بعيد الأحتمال .. **ولكن لماذا ؟**

هنا نصل الى جوهر الحب . فاذا نحن رجعنا الى تعريفه فى القاموس ، نجد انه « الرغبة فى شخص آخر ، وبذل الجهد

الصدق لتحقيق سعادته » . فالحب ليس شركا تقع فيه ، وانما **هو زمالة واحترام متبادل بين اثنين ، على أساس أن لهما ذوقا واحدا ، وأفكارا واحدة ، واتجاهات واحدة .** ومثل هذه الزمالة المقترنة بالاحترام ، لا يمكن أن تأتى نتيجة لحظة واحدة ، أو نظرة واحدة .

ولو أن حياتك الباكرة كانت تتسم بالنزاع فى البيت ، والتوتر فى علاقتك مع أترابك ، فانت غير مهيأ للزمالة التى يقتضيها زواج الحب ، وقد يصعب عليك أن تجد السعادة فى الزواج . أما اذا كانت علاقتك بالناس حسنة . فسوف يكون من اليسير عليك أن تميل الى شخص آخر ، وان ترضيه وترضى به !.. **ومع مرور الوقت ، وتوثق المعرفة ، لا يلبث شعوركما المتبادل بالتقدير والعطف ، أن يبلغ درجة الحب .** وبينذاك تترعرع فى نفسيكما الأحاسيس الجنسية ، وتتبادلان الميل الجسدى الذى يزداد قوة الى أن ينتهى بكما الى التفكير فى الزواج .. حتى اذا وضحت حاجة كل منكما للآخر ، ولم يعد فى الوسع انكارها ، حق لكما أن تتزوجا .

ما الذى تتطلبه فى الزوج ؟

• **والشاب** الذى يهتم بالزواج ، لا يفكر عادة الا فى أمر واحد ، هو الشروط التى يريد توفرها فى زوجته . الا أن الشخص الذى يواجه المشكلة بتفكير واقعى ، يجب أن يضع فى اعتباره ثلاثة أمور ، وهى : **مايرغب فيه ، ومايحتاج اليه ، وما يمكنه الحصول عليه .**

وغالبا ما يكون ظنك أن الزواج الذى ترغب فيه ، هو الذى تحتاج اليه . الا أن رغبات الانسان ، كثيرا ما تقوم على اعتبارات طائشة أو غير عملية ، أو على مجرد الزواج من أجل

غرض او غاية غير زمالة العمر .. وأن لم تفطن الى هذا !

فقد سئل طلبة قسم علم النفس بمعهد امريكى عال عن المبلغ الذى يعتبرونه الحد الادنى للدخل المناسب للحياة الزوجية ، **فاتضح أن الحد الذى تطلبه الفتيات أعلى بكثير مما يطلبه الشبان !..** اذ قرر ١٠٪ من الفتيات أنهن لن يتزوجن حتى يكون لعريسهن دخل لا يقل عن خمسة آلاف دولار . ومن الواضح أنهن بذلك يطلبن دخلا أكبر مما يحتجن اليه ، ومما يمكنهن الحصول عليه .

ولزيادة ايضاح الفكرة ، نأخذ حالة فتاة معينة من الطالبات - تدعى « ميريام » - مثلا .. فقد طلبت « ميريام » أن يكون دخل عريسها اربعة آلاف دولار - على الاقل - فى العام . **وتبين انها لم تقدر هذا المبلغ الا لأنها لم تكن تعرف شيئا عن الطهو والتدبير المنزلى ، فكانت تقدر انها ستضطر الى استخدام من يطهو ويعنى بالمنزل !..** كذلك اشترطت « ميريام » ان يكون عريسها عالى الثقافة ، مع أنها هى متوسطة الثقافة .. وأن يكون طوله ست أقدام ، أسمر البشرة ، جميل الطلعة ، قوى التقاطيع ، عريض المنكبين ، بارعا فى الرقص ، وماهرا فى « البريدج » .. وأن يكون من عائلة كبيرة ، ويكون اما طبيبا أو محاميا .. وأخيرا قالت انه يجب أن يكون رجلا بمعنى الكلمة !.. ولم تكن لدى ميريام الا فكرة غامضة عن الأطفال ، ومع ذلك فقد ذكرت أنهم يجب الا يجيئوا قبل خمس سنوات على الأقل ، حتى يمكنها أن تتفرغ للرقص واللهو !

.. بعد فوات الوقت المناسب !

• **ومثل** « ميريام » قد تجد هذا الرجل ، ولكن .. هل يتزوجها ؟ .. واذا تزوجها ، هل يرضيها كزوج ؟

ان ما نريده فى الرفيق كثيرا ما يكون قائمـا على أساس رغباتنا فى لحظة معينة ، أكثر ممـا هو قائم على احتياجات الحياة كلها !

وبعض الناس يجعلون أهداف زواجهم عالية جداً ، حتى أنهم يفضلون أن يبقوا بغير زواج ، على ان يتزوجوا من هو أقل من المستوى الذى يطلبونه .. حتى اذا مرت سنوات دون ان يحققوا خيالهم ، شعروا بالخيبة والحبوط . وقد اعترفت بعض المعلمات غير المتزوجات ، بأنه كن فى امكانهن الزواج وهن فى مقتبل الشباب ، ولكن « الرجـل لم يكن ملائمـا بدرجة كافية » .. ولكنهن ــ بعـد فوات السن المناسبة ــ أصبحن يتمنين لو أنهن كن عمليات وحكمن العقل ، عنـدما كن فى مقتبل الشباب !

فما هى الاشياء التى نحتاج اليها فى الرفيق ؟ .. ان ثمة صفات معينة ، يعتبرها الجميع مطلوبة ، وهى : الصـحة الجيدة ، والجمال ، والاستقامة ، والاعتمـاد على النفس ، وعدم الانانيـة ، وقوة الاحتمال .. كمـا أن أغلب النـاس يشترطون أن يكون ثمة تقارب بين الزوج والزوجة فى السن والثقافة والمسـتوى الاجتماعى والاقتصادى .. وان يكون كلاهما من ذات الجنسية ، والعنصر ، والدين .

وعلى هدى هـذه البيانات ، نقـدم لك عشرة اختبارات لتعرف مقـدار استعدادك للزواج وترى كم انت مهيـأ له فضلا عن أن هذه الأختبارات ستعينك على فهم شخصيتك ، وتريك حقيقتك كمـا يراها الآخرون . ولذلك كن أمينا مع نفسك فى الاجابة ، لا تخدعها .

والآن ابدأ الأجابة عن الأسئلة حسب التعليمات الموضحة :

الاختبار الأول : النشاط الاجتماعى

هل تحب كل وجه من وجوه النشاط التالية ؟

اذا كنت تحبه جدا ، فارسم دائرة حول الحرف (م) .. واذا كنت تحبه بدرجة متوسطة ، فارسم دائرة حول (س) . واذا كنت تحبه قليلا ، فارسم دائرة حول (ل) .. واذا كنت لا تحبه فارسم دائرة حول (ن) :

١ ـ التعرف بالغرباء فى الحفلات	م	س	ل	ن
٢ ـ استضافة مجموعة من الأصدقاء	م	س	ل	ن
٣ ـ جمع الأموال من أجل الأغراض الخيرية	م	س	ل	ن
٤ ـ الاشتراك فى مباراة رياضية	م	س	ل	ن
٥ ـ الخروج للتنزه والتريض	م	س	ل	ن
٦ ـ مزاولة ألعاب كرة القدم وكرة السلة والجولف	م	س	ل	ن
٧ ـ قراءة أخبار الرياضة فى الصحف	م	س	ل	ن
٨ ـ مزاولة لعب البريدج والبلياردو	م	س	ل	ن
٩ ـ الاحتفاظ بحيوان أليف كقطة أو كلب	م	س	ل	ن
١٠ ـ حضور حفلة تنكرية	م	س	ل	ن
١١ ـ القاء حديث فى الراديو	م	س	ل	ن
١٢ ـ تمثيل احدى الجهات فى مؤتمر	م	س	ل	ن
١٣ ـ ارسال دعوات لأصدقاء يقيمون فى أماكن بعيدة	م	س	ل	ن
١٤ ـ الاستذكار مع الزملاء استعدادا للامتحـان	م	س	ل	ن
١٥ ـ مساعدة سائق السيارة بالحاول محله حين يتعب	م	س	ل	ن

الاختبار الثانى : الانسجام مع المجتمع

هل توافق على صحة كل عبارة من العبارات التالية ؟ اذا كنت توافق ، فارسم دائرة حول الحرف (ا) .. واذا كنت توافق ، ولكن مع بعض تحفظات ، فارسم دائرة حول (ر) .. واذا كنت لا توافق فارسم دائرة حول (د) :

١ – يجب منع ظهور الممثلات على المسرح بملابس فاضحة ا ر د
٢ – لا يصح للشخص المثقف أن يكون ملحدا ا ر د
٣ – يجب اعطاء حق التصويت لمن فى الثامنة عشرة ا ر د
٤ – يجب الا يرخص بحمل السلاح الا لرجال البوليس ا ر د
٥ – ليس ثمة سبب اطلاقا يبرر الانتحار ا ر د
٦ – للآباء فضل على الأبناء يفوق فضل هؤلاء عليهم ا ر د
٧ – بعض الناس موتهم أفضل من حياتهم ا ر د
٨ – الأغنياء ليسوا أسعد حالا من الفقراء ا ر د
٩ – الموارد الطبيعية يجب ان تكون مملوكة للأفراد لا للدولة ا ر د
١٠ – من الممكن للأب اعالة وتعليم طفلين فى مستوى مناسب بدخل كلى يقل عن خمسين جنيها فى الشهر ا ر د
١١ – يجب التصريح للوالدين بضرب أبنائهم تأديبا ا ر د
١٢ – السرقة لا يمكن تبريرها بأى اعتبار ا ر د
١٣ – كل شىء يضر بجسم الانسان يجب تحريمه ا ر د
١٤ – ذوو التعليم العالى اسعد من متوسطى التعليم ا ر د
١٥ – الشخص المتوسط أكثر حاجة للاقتصاد من الشخص الفنى ا ر د

الاختبار الثالث : قوة الاحتمال

هل يضايقك كل من الأمور الآتية ؟

اذا كان يضايقك جدا فارسم دائرة حول الحرف (م).. واذا كان يضايقك بدرجة متوسطة فارسم دائرة حول (س) .. واذا كان يضايقك قليلا ، فارسم دائرة حول (ل).. واذا كان لا يضايقك فارسم دائرة حول (ن) :

١ ـ ظهور اشارة النور الأحمر وأنت منطلق بسيارتك م س ل ن

٢ ـ سقوط شيء منك ويداك محملتان بأشياء كثيرة م س ل ن

٣ ـ أن تقف فى « الأتوبيس » المزدحم م س ل ن

٤ ـ أن تضطر الى الكلام وأنت كاره م س ل ن

٥ ـ أن يقطع عليك انسان قراءة قصة شائقة م س ل ن

٦ ـ أن يأتيك ضعف طارىء ويطيل البقاء م س ل ن

٧ ـ أن يستوقفك انسان وأنت فى عجلة م س ل ن

٨ ـ أن تستمع الى « الراديو » برغم انه يحدث شوشرة م س ل ن

٩ ـ رجوع شخص فى اتفاقه معك فى آخر لحظة م س ل ن

١٠ ـ أن يقاطعك شخص وأنت تتكلم م س ل ن

١١ ـ أن يشاركك شخص قراءة الصحيفة التى بيدك م س ل ن

١٢ ـ أن يفوتك القطار أو « الأوتوبيس » م س ل ن

١٣ ـ أن ينقطع « فيلم » تشاهده عند نقطة مثيرة م س ل ن

١٤ ـ أن يلهب الطعام أو الشراب الساخن فمك م س ل ن

١٥ – أن يغلق عليك باب بيتك أو عربتك مصادفة م س ل ن

الاختبار الرابع : الإعتماد على النفس

هل توافق على صحة كل من العبارات التالية ؟
اذا كنت تعتبرها صحيحه ورسم دائرة حول الحرف (ت) .. واذا كنت تشك فى صحتها فارسم دائرة حول (د).. واذا كنت تعتبرها غير صحيحة فارسم دائره حول (ن) :

١ – تحريم الخمر يغرى كثرين ممن لا يشربونها بتعاطيها ت د ن
٢ – يستطيع الشخص أن يغدو مشهورا بالتبذل فى تصرفاته ت د ن
٣ – اللجاج فى شروط الزواج يوقعك فى زوجة سيئة ت د ن
٤ – المتفوقون فى الدراسة يحاولون دائما جذب الأنظار اليهم بعد الدراسة ت د ن
٥ – رجال البوليس لايبدون الشدة الا لارضاء شعورهم بأهميتهم ت د ن
٦ – المتمسكون بالمبادىء العليا قليلو الأصدقاء ت د ن
٧ – كثيرا ما يفشل الانسان لسمو أخلاقه ت د ن
٨ – الجميلة أكثر نجاحا من سواها وان كانت أقل كفاءة ت د ن
٩ – ليس المهم ماتعرفه ، وانما المهم من تعرفه ت د ن
١٠ – اكتساب الأصدقاء والمعارف أهم من الكفاءة والمقدرة ت د ن

١١ ـ قلة الموظفين لا تؤثر فى الانتاج لو أنك ت د ن
اجزت لهم الاجر
١٢ ـ ليس للانسان قوة ولا حول أمام الحظ ت د ن
١٣ ـ يحاول الناس دائما أن يؤثروا فى الغير ت د ن
بادعاء الولع بالموسيقى والثقافة الراقية
١٤ ـ القانون أقسى على الفقير منه على الغنى ت د ن
١٥ ـ ينجح الانسان بالتهويش أكثر مما ينجح ت د ن
بالعمل الجدى

الاختبار الخامس : الثبات

هل تخاف من كل من الأمور الآتية ؟
اذا كنت تخاف منه جدا فارسم دائرة حول الحرف (م)
واذا كنت تخاف بدرجة متوسطة فارسم دائرة حول (س) .
واذا كنت تخاف قليلا فارسم دائرة حول (ل) . واذا كنت
لا تخاف فارسم دائرة حول (ن) :

١ ـ أن تدفن حيا م س ل ن
٢ ـ أن يعضك ثعبان وانت تسير وحدك م س ل ن
فى غابة او صحراء
٣ ـ أن تغرق فى البحر م س ل ن
٤ ـ أن تفقد ثقة الأصدقاء بسبب م س ل ن
شائعات
٥ ـ أن تسير بين المقابر وحدك ليلا م س ل ن
٦ ـ أن يعلم أصدقاؤك بأسوأ أخطائك م س ل ن
٧ ـ أن تلمس الفيران والسحالى والديدان م س ل ن
٨ ـ أن يأخذ غيرك زوجتك أو حبيبتك م س ل ن
٩ ـ أن تفرق فى الدين أو تقع فى أزمة مالية م س ل ن
١٠ ـ أن تنظر من حافة هوة عميقة م س ل ن

11 – أن تجازى فى العالم الآخر م س ل ن

12 – أن تسقط أمامك آلة رافعة من ارتفاع شاهق م س ل ن

13 – أن تفقد عقلك م س ل ن

14 – أن تفقد بصرك م س ل ن

15 – أن تستمع الى قصة مخيفة فى « الراديو » وانت وحيد ليلا م س ل

الاختبار السادس : التمسك بالمبادىء

هل تكره كلا من النماذج الآتية من الناس ؟

اذا كنت تكرهه جدا فارسم دائرة حول الحرف (م) . واذا كنت تكرهه بدرجة متوسطة فارسم دائرة حول (س) . واذا كنت تكرهه قليلا فارسم دائرة حول (ل) . واذا كنت لا تكرهه فارسم دائرة حول (ن) :

1 – الشخص الذى يتباهى بأعماله م س ل ن

2 – الشخص الذى ينحى باللائمة دائما على الآخرين م س ل ن

3 – البائع الذى يغالط فى الحساب م س ل ن

4 – المتشائم م س ل ن

5 – الذى يجرى وراء المال م س ل ن

6 – الذى « ينسى » دفع نصيبه من الحساب م س ل ن

7 – الذى لا يحافظ أبدا على المواعيد م س ل ن

8 – القليل التحكم فى أعصابه م س ل ن

9 – الفتاة التى تفرط فى الزينة والبهرجة م س ل ن

10 – الطلبة الذين يغشون فى الامتحانات م س ل ن

11 – الأشخاص المهملون فى ملبسهم م س ل ن

١٢ ـ المتزمتون والرجعيون الذين يفرضون م س ل ن
آراءهم عليك
١٣ ـ المتضايقون والمتبرمون دائما م س ل ن
١٤ ـ المقامرون م س ل ن
١٥ ـ الذين يحبون الاستماع الى الكلام عن م س ل ن
الفضـائح

الاختبار السـابع : الأستقرار

فى الجدول التالى كلمة رئيسية فى أول كل سطر ، تتبعهـا اربع كلمات . ضـع علامـة على **الكلمة التى ترى أنها أكثر الكلمات الأربع اتصالا بطبيعتها بالكلمة الرئيسية :**

١ ـ الماضى	الأمس	يأسى	حزن	مستتر
٢ ـ النوم	الراحة	الحلم	الحاجة	هماً
١ ـ سافل	دنيء	شخص	فاجر	مجرم
٤ ـ حلم	منظر	ليل	غيبوبة	رواية
٥ ـ يحب	يبد	يحترم	يعجب	يشتاق
٦ ـ مقفل	منزل	مستقبل	غير مرغوب	ء
٧ ـ وحيد	منفرد	بلا صديق	بائس	منبوذ
٨ ـ دين	التزام	ثقل	محتم	كابوس
٩ ـ حبيب	محبوب	متزوج	راغب	ضائع
١٠ ـ مال	حساب جار	يدفع	غير موجود	عاجل
١١ ـ عدو	خصم	مكروه	خطر	تحطيم
١٢ ـ قذر	وسخ	مقزز	عقل	جسد
١٣ ـ أب	منزل	حب	يعول	صارم
١٤ ـ خطيئة	خطأ	رزيلة	ذنب	أسود
١٥ ـ ضرس	تافه	كريه	قبيح	حقير

الاختبار الثامن : المرونة

هل تشعر نحو كل من الأمور الآتية الآن نفس شعورك نحوها منذ ثلاث أو أربع سنوات ؟

اذا كان شعورك نحوها لم يتغير ، فارسم دائرة حول الحرف (س) . واذا كان شعورك نحوها قد تغير نوعا ما ، فارسم دائرة حول (ب) .. واذا كان شعورك نحوها قد تغير تماما فارسم دائرة حول (د) :

١ – السلم	س	ب	د
٢ – الحياد الدولى	س	ب	د
٣ – الرقابة الحكومية على نقابات العمال	س	ب	د
٤ – النظام التعاونى	س	ب	د
٥ – منع الأحزاب	س	ب	د
٦ – تأميم الطب	س	ب	د
٧ – الاشتراكية	س	ب	د
٨ – الاتحاد السوفييتى	س	ب	د
٩ – توزيع الثروة	س	ب	د
١٠ – عقوبة الاعدام	س	ب	د
١١ – تحديد النسل	س	ب	د
١٢ – تشريع العمل	س	ب	د
١٣ – استفتاء الرأى العام	س	ب	د
١٤ – ضريبة الدخل	س	ب	د
١٥ – حرية الرأى	س	ب	د

الاختبار التاسع : الرصانة

ما مدى التفكير الذى أوليته لكل من الأمور التالية فى خلال العام الماضى ؟

اذا كنت قد فكرت فيه كثيرا ، فارسم دائرة حول الحرف (م) . واذا كنت قد فكرت فيه بعض التفكير ، فارسم دائرة حول (س) . واذا كنت قد فكرت فيه قليلا ، فارسم دائرة حول (ل) . واذا كنت لم تفكر فيه على الأطلاق ، فارسم دائرة حول (ن) :

١ ـ مسئوليات الآباء والأبناء	م س ل ن
٢ ـ تربية الأطفال على أساس سليم	م س ل ن
٣ ـ سوء تأثير السينما على اخلاق الأطفال	م س ل ن
٤ ـ تدخين النساء والبنات	م س ل ن
٥ ـ اهمية الأدخار	م س ل ن
٦ ـ المواظبة على أداء الفرائض الدينية	م س ل ن
٧ ـ استعمال القنابل الذرية فى الحرب	م س ل ن
٨ ـ طريقة قضاء أوقات الفراغ	م س ل ن
٩ ـ تشديد الرقابة على الكتب والمجلات	م س ل ن
١٠ ـ تعلم الرقص	م س ل ن
١١ ـ المحافظة على المواعيد	م س ل ن
١٢ ـ الحصول على ترقية فى العمل ، أو درجات أعلى فى المدرسة	م س ل ن
١٣ ـ تكاليف المعيشة	م س ل ن
١٤ ـ الحياة بعد الموت	م س ل ن
١٥ ـ حوادث السيارات نتيجة طيش السائقين	م س ل ن

الاختبار العاشر : الحالة العائلية

اجب عن الأسئلة الآتية ، وكن أمينا وصادقا مع نفسك الى أقصى حد . فاذا كانت أجابتك بالموافقة ، فارسم دائرة حول (نعم) . واذا كانت أجابتك بالنفى ، فارسم دائرة حول

(لا) واذا كانت اجابتك غير قاطعة ، فارسم دائرة حول (؟) .

١ ــ هل كان والداك سعيدين فى حياتهما الزوجية ؟ نعم ؟ لا
٢ ــ هل كانت طفولتك سعيدة ؟ نعم ؟ لا
٣ ــ هل تحب أمك حبا جما ؟ نعم ؟ لا
٤ ــ هل تحب أباك حبا جما ؟ نعم ؟ لا
٥ ــ هل تمضى علاقتك بأمك دون خلاف خطير ؟ نعم ؟ لا
٦ ــ هل تمضى علاقتك بأبيك دون خلاف خطير ؟ نعم ؟ لا
٧ ــ هل كان تأديبك فى البيت حازما ولكنه ليس قاسيا ؟ نعم ؟ لا
٨ ــ هل كان العقاب معتدلا وقليل الحدوث نعم ؟ لا
٩ ــ هل يخلو شعورك الحالى نحو الجنس من التقزز أو النفور ؟ نعم ؟ لا
١٠ ــ هل كان بوسعك الحديث مع أحد والديك فى شئون الجنس ؟ نعم ؟ لا
١١ ــ هل نشأت فى الريف ؟ نعم ؟ لا
١٢ ــ هل تؤدى فرائضك الدينية بانتظام ؟ نعم ؟ لا
١٣ ــ هل تتقاضى أجرك عن عملك بانتظام ؟ نعم ؟ لا
١٤ ــ هل لك أصدقاء كثيرون من نفس جنسك ؟ نعم ؟ لا
١٥ ــ هل تنتمى الى اكثر من جمعية ذات نشاط اجتماعى ؟ نعم ؟ لا

والآن .. تعال نحسب نتيجة الاختبارات !

الاختبار الأول : اعط نفسك ٣ درجات عن كل (م)
« « درجتين « (س)

أعطِ نفسك درجة عن كل (ل)
« « صفرا « (ن)

الاختبار الثانى : أعط نفسك درجتين عن كل (ا)
« « درجة « (ر)
« « صفرا « (د)

الاختبار الثالث : أعط نفسك صفرا عن كل (م)
« « درجة « (س)
« « درجتين « (ل)
« « ٣ درجات « (ن)

الاختبار الرابع : أعط نفسك صفرا عن كل (ن)
« « درجة « (د)
« « درجتين « (ف)

الاختبار الخامس : أعط نفسك صفرا عن كل (م)
« « درجة « (س)
« « درجتين « (ل)
« « ٣ درجات « (ن)

الاختبار السادس : أعط نفسك ٣ درجات عن كل (م)
« « درجتين « (س)
« « درجة « (ل)
« « صفرا « (ن)

الاختبار السابع : ٣ درجات **الكلمة الأولى**
درجتان « **الثانية**
درجة « **الثالثة**
صفر « **الرابعة**

الاختبار الثامن : أعط نفسك صفرا عن كل (س)
« « درجة « (ك)

أعط نفسك درجتين عن كل (د)

الاختبار التاسع : أعط نفسك ٣ درجات « (م)
« « درجتين « (س)
« « درجة « (ل)
« « صفرا « (ن)

الاختبار العاشر : أعط نفسك ١٠ درجات عن كل (نعم)
« « ٥ درجات « (؟)
« « صفرا « (لا)

تفسير النتائج النهائية

الاختبار الأول :

ـ **اذا** كان مجموعك **٣٠ درجة أو أكثر** فأنت شخص اجتماعي جداً ، مغرم بصحبة الآخرين ، يسرك مناقشة الأمور مع رفيقك .

ـ **واذا** كان مجموعك **٢٥** فأنت متوسط .

ـ **واذا** كان مجموعك **٢٠ ، أو أقل** فأنت موفق فى اكتساب الأصدقاء ، ولست كثير الكلام الا اذا كان الموضوع يستحق ذلك .

ـ **واذا** كان مجموعك **١٠ ، أو أقل** فحاول أن تكتسب الأصدقاء ، وأن تساهم فى الحياة الأجتماعية وأن تخرج من عزلتك .

الاختبار الثانى :

ـ **اذا** كان مجموعك **١٥ درجة أو أكثر ،** فانت شخص موفق جذاب متزن ، محب للتعاون ، وان كنت عنيدا حين تركب رأسك .

ـ **واذا** كان مجموعك **١١** فانت متوسط .

ـ **واذا** كان مجموعك ٨ ، **أو أقل** فأنت عنيد متفطرس كثير الجدل .

ـ **واذا** كان مجموعك ٥ ، **او أقل** فتذكر دائما انك قد تفقد الأصدقاء ، وتصنع لك أعداء اذا لم تتصرف بلباقة مع الناس .

الاختبار الثالث :

ـ **اذا** كان مجموعك ٥٦ ، **او أكثر** اذا كنت **رجلا** .. او ٢٦ **او أكثر** اذا كنت **سيدة** ، فانت شخص هادىء لا يمكن استثارته أو ازعاجه بسهولة ، وانت لاتفقد صبرك الا نادرا .

ـ **واذا** كان مجموعك ٤٦ اذا كنت **رجلا** أو ٢٣ اذا كنت سيدة فأنت متوسط .

ـ **واذا** كان مجموعك ٣٦ **أو أقل** اذا كنت **رجلا** أو ١٨ **او أقل** اذا كنت **سيدة** فأنت حاد الطبع يمكن اثارتك بسهولة ، ولذلك يجب ان تحاول ضبط نفسك ، وأن تفكر قبل أن تتكلم ، لاسيما حين يستفزك شخص ما .

الاختبار الرابع :

ـ **اذا** كان مجموعك ٥٠ **أو أكثر** اذا كنت **رجلا** أو ١٠٠ **أو أكثر** اذا كنت **سيدة** ، فأنت صريح ، وشخص يعتمد عليه . وأنت لاتحاول التعلل بالأعذار وانما تواجه الحقيقة وتحسن عملك .

ـ **واذا** كان مجموعك ٤٠ اذا كنت **رجلا** أو ٨٠ اذا كنت سيدة فأنت متوسط .

ـ **واذا** كان مجموعك ٣٠ **أو أقل** اذا كنت **رجلا** أو ٦٠ **أو أقل** اذا كنت **سيدة** فأنت تميل لأن تلوم غيرك على أخطائك

أنت ، وتتنصل من مسئولياتك ، وتبالغ ، وتحلم احلام اليقظة .

ـ **واذا** كان مجموعك ٢٠ **أو أقل** اذا كنت **رجلا** او ٤٠ **أو أقل** اذا كنت **سيدة** ، فيجب أن تحاول اصلاح نفسك وخاصة اذا كنت سيدة ، وحاول أن تكون أكثر صدقا وأمانة مع نفسك ومع الآخرين . وأقلع عن الريبة وكثرة الاستياء من الناس الذين لا يفكرون أو يتصرفون كما تفكر وتتصرف أنت .

الإختبار الخامس :

ـ **اذا** كان مجموعك ٤٠ **أو أكثر** اذا كنت **رجلا** أو ٨٠ أو **أكثر** اذا كنت **سيدة** فأنت شخص ثابت مخلص يعتمد عليه ، ويمكنك أن تعمل مع الآخرين أو وحدك ، دون أن تشعر بالوحدة أو تتضايق .

ـ **واذا** كان مجموعك ٣٠ اذا كنت **رجلا** أو ٦٠ اذا كنت سيدة فأنت متوسط .

ـ **واذا** كان مجموعك ١٥ **أو أقل** اذا كنت **رجلا** أو ٣٠ **أو أقل** اذا كنت **سيدة** فأنت غير ثابت ، عصبى ، كثير الخوف ، وقد تشعر بأنك أقل من غيرك أحيانا ، وتبدو أصفر اللون مذعورا . فاكتسب قدرا أكبر من القدرة على الاندماج فى المجتمع ، ودرب نفسك على مزاولة بعض الألعاب والهوايات .

الاختبار السادس :

ـ **اذا** كان مجموعك ٣٠ **أو أكثر** فأنت متمسك بالمبادىء والمثل العليا الى حد التطرف ، ولكن حذار ان تندفع الى التعصب الاعمى .

ـ وإذا كان مجموعك **٢٥** فأنت متوسط .
ـ **وإذا** كان مجموعك ٢٠ **أو أقل** فأنت ذكي جدا ، مرن جدا في مثلك ومبدئك ، ولذلك يجدر بك أن تراقب نفسك لئلا تنزلق .

الاختبار السابع :

ـ **اذا** كان مجموعك ٨٠ **أو أكثر** اذا كنت **رجلا** أو ٤٠ **أو** أكثر اذا كنت **سيدة** فأنت شخص موضوعي ، تنظر الى الأمور برزانة وترو ، وتكبح جماح نفسك .
ـ **واذا** كان مجموعك ٧٠ اذا كنت **رجلا** أو **٣٥** اذا كنت **سيدة** فأنت متوسط .
ـ **واذا** كان مجموعك ٦٠ **أو أقل** اذا كنت **رجلا** أو ٣٠ **أو أقل** اذا كنت **سيدة** فأنت عاطفي ، سريع التأثر ، وتبدو في بعض الأحيان منطويا نفورا . فاكبح جماح نفسك ، واشترك بقدر ما تستطيع مع الآخرين ، ولا تكن أول من يخالف الآخرين في رأيهم أو آخر من يوافق على رأيهم .

الاختبار الثامن :

ـ **اذا** كان مجموعك ٢٢ **أو أكثر** فأنت شخص مرن متطور ، لاسيما اذا كنت في عقدك الرابع أو الخامس .
ـ **واذا** كان مجموعك **١٣** فأنت متوسط .
ـ **واذا** كان مجموعك ٨ **أو أقل** فأنت شخص صلب ، عنيد ، حتى ليصعب عليك الزواج .. وخاصة اذا كنت في العقد الثالث .

الاختبار التاسع :

ـ **اذا** كان مجموعك ٣٠ **أو أكثر** اذا كنت **رجلا** أو ٦٠ **أو**

اذن اذا كنت سيدة فأنت شخص كثير التفكير فى الزواج ومسئولياته ، ويهمك النجاح فيه .

– واذا كان مجموعك ٢٤ اذا كنت **رجلا** أو **٤٨** اذا كنت سيدة فانت متوسط .

– واذا كان مجموعك **١٨ أو أقل** اذا كنت **رجلا** أو **٣٦ أو** أقل اذا كنت **سيدة** ، فانت غير موفق فى تفكيرك ، ولم تعط اهتماما كافيا لمسئوليات الزواج .

الاختبار العاشر :

– **اذا** كان مجموعك **١٢٠ أو أكثر** فأن حالتك العائلية تؤهلك للسعادة فى الزواج .

– **واذا** مجموعك **١٠٠** فأنت متوسط .

– **واذا** كان مجموعك **٨٠ أو أقل** فأن حالتك العائلية لا تمدك بالصفات اللازمة للسعادة فى الزواج .

النتيجة الاجمالية اذا كنت رجلا :

– **اذا** كان مجموعك الأجمالى **٤٥٠ أو أكثر** فان امامك فرصة ممتازة للسعادة فى الزواج ، وخاصة اذا كانت درجاتك عالية فى الاختبارات الثالث والرابع والسابع والعاشر .

– **واذا** كان مجموعك **٣٥٠** فان لديك فرصة متوسطة للسعادة فى الزواج .

– **واذا** كان مجموعك **٢٦٥** أو أقل ، فأنت فى حاجة لأن تبذل عناية كبرى فى اختيار رفيقك .

النتيجة الاجمالية اذا كنت سيدة :

– **اذا** كان مجموعك **٥٠٠ أو أكثر** فان أمامك فرصة

ممتازة لأن تكونى سعيدة فى الزواج ، وخاصة اذا كانت درجاتك عالية فى الأختبارات الرابع والخامس والتاسع والعاشر .

- واذا كان مجموعك ٤٠٠ فأن لديك فرصة متوسطة للسعادة فى الزواج .

- واذا كان مجموعك ٣٠٠ او اقل فأن فرصتك للسعادة فى الزواج غير كبيرة ، ولاتزالين فى حاجة الى اعداد نفسك الاعداد الكافى .

والآن نأمل ان نكون قد اخذنا بيدك ، فوضح فى ذهنك نوع الرفيق الذى تريده ، وتحتاج اليه . ومن المشكوك فيه أن تجد الرفيق الذى تجتمع فيه كل الصفات التى تطلبها . الا ان هذا ليس هو المهم ، **وأنما المهم أن تجد الرفيق الذى يطابق النموذج العام للشخص الذى تحتاج اليه ، ويكون خلوا من النقائص الخطرة .**

ان أهم فكرة يمكننا أن نعطيها لك ، هى أن الشخص الذى تتزوجه ينبغى أن يكون هو الشخص القادر على أن ينقذك من ذلك الشعور المبهم بالقلق والضيق والضجر ، وأن يهبك السعادة ويشعرك بالراحة والرضا والسعادة والسلام .

على ان الاهم من هذا ، ان تتبين انك قد نضجت النضوج الذى يمكنك من اختيار شريك العمر .. وهذا ما نرجو ان تساعدك عليه الاختبارات التى قدمناها اليك ، والتى بنيت

على اسس من دراسات دقيقة .. وليس لك ان تبتئس اذا تبينت من هذه الاختبارات انك لم تستكمل النضوج . **فان نتائجها ليست حكما نهائيا عليك ، وانما هى مجرد ادوات او وسائل لمساعدتك على تعرف وضعك الحالى ، حتى تتدارك الامر** .. انها اشبه بالاضواء الحمراء التى تنبهك الى مواطن النقص .. أو الأجراس التى توقفك على ما انت بحاجة اليه . ومن ثم فعليك ان تبادر باستكمال ما ينقصك ، ثم عد الى هذه الاختبارات بين آن وآخر لتتبين حقيقة موقفك !

عندما يرتفع الستار..

روائع المسرح العالمي

(تلخيص ـ وتعليق)

عزيزي القارىء ..

قدمت لك في هذا الباب المسرحيات العالمية الآتية :

خطايا الحب ● نزاهة الحكم ● سلاح المراة ● فولبون ● جيوكندا ● كلام الناس ● مدرسة الفضائح ● سيرانو دى برجراك ● لعبة الحب والموت ● مروحة الليدى وندرمير ● فاوست ● في سبيل الحب ● الام ● الملك يلهو ● الجنس الالى ● هرناني ● ترويض النمرة ● الحياة نفاق ● اغلال الحب ● المنافق ● بيت الامل ● علموهم الحب ● زوج مثالي ● سالومي ● مدرسة الارامل ● برهان الحب ● لوسيد ● كيف نقع في حبائلهن ● حلاق اشبيلية ● الهاربة من الفضيحة ● رجل الاقدار ● جوديث ● نيكراسوف ● انباء مثيرة ● الدروماك ● جندى محترف ● الشقيقات الثلاث ● مهنة مسز وارن ● الجحيم هو الناس ● اقوى من المال ● كردينال اسبانيا

واليوم اقدم لك : ((بلقيس))

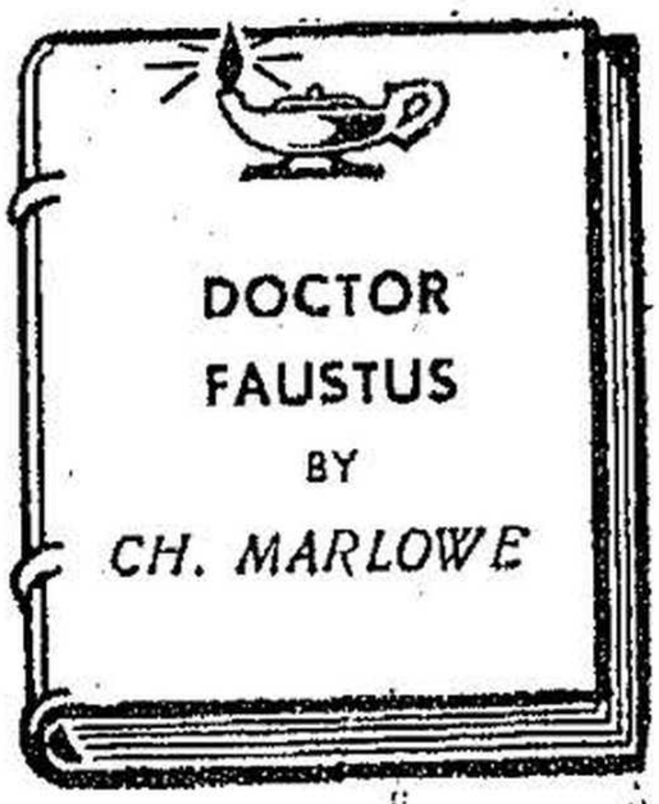

دكتور فاوست

(مأساة الرجل الذى باع روحه للشيطان)

للشاعر الدرامى الانجليزى

كريستوفر مارلو

تلخيص : ميخائيل بشاى

عزيزى القارىء :

الخير ازلى فى نفوس البشر ـ والشر ازلى كذلك ، والصراع بينهما لايفتأ يتكـرر ، بل هو دائر الرحى ، متواصل . لايعرف هوادة ولا ينتهى الى نهاية ..

وفى عيد الخير ـ عيد مولد السيد المسيح ـ أحب أن أقدم لك صورة من صور الشر اذا ما تملك نفسا وغلب عليها.. فأنت ـ ولاريب ـ تذكر شخصية « فاوست » ، الذى تصوره شاعر المانيا الاكبر « جيته » عالما استهواه الجشـع والطموح ، فباع نفسـه للشيطان ، فى مقابل متاع الحياة الدنيا ونعيمها .. **وقـد نشرنا لك هـذه المسرحية ملخصة فى العدد (١٤) من ((كتابى)) .**

ولقد سبق « جيته » الى تصوير الانسان الذى يبيع روحه للشيطان ، كاتب آخر ، عاش قبله بثلاثة قرون تقريبا .. ذلك هو **((كريستوفر مارلو)) ، الذى ولد فى (كنتربرى) بانجلترا ، فى سنة ١٥٦٤ ، وتوفى وهو فى سن مبكرة .. فى التاسعة والعشرين . على انه ـ برغم قصر عمره ـ اسـتطاع ان يبرز فى الشعر الدرامى ، او الدراما الشعرية ..** وان يقوم بدور كبير فى فرقة « ايرل نوتنجهام المسرحية » ..وكانت الفرق المسرحية ـ فى ذلك الحين ـ تنتسب الى ذوى الجاه ، لتكسب رعايتهم ..

وكان بطل « مارلو » ، الذى باع روحه للشيطان ، يدعى « فاوست » ، وقـد حصل على « دكتوراه » فى اللاهوت ، وبزّ جميع اقرانه ، فنازعته نفسه الى مجد لا قبل لسواه بالظفر به .. وكان بطل قصـة « جيته » يحمل الاسم ذاته .. « فاوست » !!

بقى أن تعرف ان « مارلو » كان ابن .. اسكافى ، صانع احذية . اما « جيته » ، فكان رفيع المقام ، ربيب قصور الامراء .. ومع ذلك ، فقد عالج الاثنان موضوعا واحدا ، مما يدل على ان انزاع بين الخير والشر ، وعلى ان جهاد الشيطان للاستيلاء على عقول البشر وارواحهم ، موضوع يستهوى خيال الناس ، على اختلاف اوساطهم وبيئاتهم ..

تبدأ المسرحية على النمط الذى كانت تبدأ به المسرحيات فى الماضى.. فان «الجوقة» تمهد اذهان المتفرجين للاحداث ، فتروى لهم ان **((فاوست)) ولد لأبوين فقيرين فى مدينة المانية تدعى (رودس) ، ودرس اللاهوت فى (وتنبرج) ، حيث اظهر نبوغا ، وتفوق على زملائه ، وظفر دونهم بلقب ((دكتور)) .. ولكن الغرور تملكه ..**

الجوقة : .. وارتفعت اجنحته الشمعية الى ارتفاع يفوق ما تطيق ، فما لبث الشمع ان ذاب ، واسقطته السماء من عل ، فتردى فى أعمال الشياطين ، وراح ـ وقد اتخمته المعرفة ـ يمارس السحر الاسود اللعين ..

المشهد الاول

(فاوست فى غرفته)

فاوست : لقد اتممت دراسة اللاهوت يافاوست ، فلتكن كاهنا فى ظاهرك ، ولتبلغ الغاية من كل فن ، ولتعش ولتمت عاكفا على مؤلفات ارسطوطاليس .. ايها التحليل العذب ، انت الذى بهرنى واستولى على حواسى ! .. **((اذا احسنت**

الجدل ، بلغت الغاية من المنطق » ، فهل احسان الجدل هو الغاية الرئيسية للمنطق ؟

ولكن لايلبث ان يتبين ان الطب اكثر ملاءمة لذكائه الفائق .. ثم يتبين ان الطب لن يستطيع ان يدر عليه الذهب والمال ، وان يؤتيه مجدا لم يؤته سواه ، الا اذا استطاع أن يبعث الموتى ويخلد البشر ! .. **ومن ثم ، يعدل عن الطب ، ويفكر فى ان يكرس حياته لعلم اللاهوت** . ويعمد الى الكتاب المقدس فيقرأ فى رسالة بولس الى أهل رومية : « ان اجرة الخطية هى موت » ..

فاوست : ها ! .. ولكن هذا عسير ! **(يقرأ فى رسالة يوحنا الاولى)** « ان قلنا انه ليس لنا خطية ، نضل انفسنا ، وليس الحق فينا » . اذن ، فنحن نخطىء ، وبالتالى نموت . فماذا نسمى هذا ؟ .. **القدر يكون ؟ .. وداعا أيها اللاهوت ! ان ماوراء الطبيعة ، وأسفار السحر الاسود اشياء قدسية ..** خطوط ، ودوائر ، وحروف ، وارقام .. آه ! ياله من عالم تفعمه المكاسب ، والمسرات ، والقوة ، والمجد ، والمقدرة ، ينتظر البارع المجتهد . فجميع الكائنات التى تتحرك بين القطبين ستكون رهن اشارتى ! .. ان سلطان الانسان ينتشر الى الحد الذى يبلغه عقله . اما الساحر القوى فانما هو اله قدير ! **(يدخل فاجنر ، فيوجه اليه فاوست الخطاب)** فاجنر .. اذكرنى عند الصديقين العزيزين : فالدس وكورنيليوس **(وهما ممن تبحروا فى السحر)** واطلب اليهما — مشددا — أن يأتيا لزيارتى .

فاجنر : سأفعل ، ياسيدى . **(يخرج)** .

فاوست : اكم أنا معتد بهذا السحر ، وواثق فيه ! .. فهل أجعل الأرواح تأتينى بما أشتهى ، وتفسر لى كل غامض ،

وتؤدى أية مهمة شاقة ، على خير ما أريد ؟ **سأجعلها تطير الى الهند لاحضار الذهب . وتغوص فى أعماق البحر سعيا وراء اللآلىء . ستقرأ لى غريب الفلسفة ، وتكشف لى أسرار الملوك** ، وتبنى حول المانيا سياجا من نحاس ، وتجرى نهر (الراين) حول (وتنبرج) . سأعبىء الجند بالمال الذى تجمعه ، واطرد من ارضنا أمير بارما ، وأتوج ملكا واحدا على مقاطعاتنا جميعا .. (**يدخل فالدس وكورنيليوس ، فيقول لهما**) اقبلا ، أيها العزيزان ، ولأنعم بالمعرفة فى حضوركما . لقد اقتنعت ، أخيرا ، بأن أمارس السحر . والفنون الخفية . وما أريد الآن الا أن تكونا لى مرشدين ، أيها الصديقان .

فالدس : ينبغى أن يكون السحر فى قبر منعزل ، وأن تأخذ معك مؤلفات «بيكون» و «البانوس» ، وسفر المزامير ، والعهد الجديد ، وغيرها من الادوات اللازمة .. وسوف نرشدك الى ما تعمل قبل أن ينتهى هذا اللقاء .

المشهد الثانى

(فى المقبرة ، يقبل فاوست ليمارس السحر)

فاوست : الآن ، وظل الأرض ينسحب من الجنوب ، وينشر الظلمة فى السماء ، فلتشرع ، يافاوست ، فى رقيتك . وتدع الشياطين الى طاعتك . فى هذه الدائرة اسم يهوه — متقاطعة حروفه — وأسماء القديسين ، وأشكال الكواكب ، والبروج . وكل هذه ستقسر الأرواح على الظهور ، فلا تخف ، وكن حازما ، وحقق غاية ما يستطيعه السحر ! **(يقرأ الرقية ، فلا يلبث ان يظهر مفيستو)** ارجع ، وغير هيئتك ، فأنت —

هكذا ـ اقبح من أن تكون فى خدمتى ! (**يخرج مفيستو**) أرى ان لرقيتى سلطانا . فكيف لا اكون خبيرا بهذا الفن ؟ ولكم هو لين العريكة ـ مفيستو ، هذا ـ ومطواع ، ومتواضع !

مفيستو (**عائدا**) : والآن يافاوست ، ماذا تريدنى أن افعل ؟

فاوست : اريدك أن تكون بجانبى ما حييت ، وأن تفعل ما آمرك به !

مفيستو : اننى أخدم لوسيفار العظيم ، ولا أتبعك الا باذنه !

فاوست : او لم يكلفك بالظهور أمامى ؟ .. ألم تظهرك تعاويذى ؟ .. تكلم !

مفيستو : اننا ، عندما نسمع أحدا يجدف على الله ، وينكر الكتب المقدسة ، نهرع اليه على أمل أن نغنم روحه السامى .

فاوست : خبرنى بما يكونه سيدك لوسيفار .

مفيستو : انه السيد المطاع ، لكافة الشياطين .

فاوست : الم يكن ملاكا من قبل ؟.. فكيف أصبح رئيسا للشياطين ؟

مفيستو : آه .. بالكبرياء والكفران !

فاوست : وما شأنكم ، أنتم الذين تعيشون مع لوسيفار ؟

مفيستو : اننا ارواح شقية سقطت مع لوسيفار . بعد أن تآمرت معه على ربنا ، فحق عليها العذاب الأبدى مع لوسيفار !

فاوست : فلتنقل الآن هذه الأنباء الى لوسيفار : **ان فاوست ـ وقد جر على نفسه الهلاك الأبدى ـ يقدم اليه روحه ، شريطة أن تتيح له ـ فى أربعة وعشرين عاما ـ أن**

يعرف كل متعة .. هلم ، عد الى لوسيفار القدير ، وقابلني بعدئذ في غرفتي ، عندما ينتصف الليل ، لتخبرني بما يراه سيدك !

المشهد الثالث

(في منزل فاوست .)

فاوست : الآن يافاوست ، وقد حقت عليك اللعنة ، وفقدت الأمل في الخلاص ، فما يجديك أن تفكر في الله ، وفي السماء ؟ ! .. لا تنظر الى الوراء ، وكن ثابت العزم ! .. تعال يامفيستو ، وهات أنباء سعيدة ، من لوسيفار العظيم .. أليس الليل قد انتصف ؟ .. تعال ، يامفيستو ، ياعزيزي مفيستو ! (**يدخل مفيستو**) ماذا قال لك سيدك لوسيفار ؟

مفيستو : سأخدمك طالما أنت حي ، لكنك ستبتاع خدمتي بروحك .

فاوست : لقد وهبتك اياها ، منذ الآن !

مفيستو : لكن الهبة يجب أن تكون في وصية مكتوبة بدمك ! .. فلتجرح ذراعك ، ولتختم على روحك ، حتى يعلنها لوسيفار ملكا خاصا له ، في ذات يوم . ولتكن - بعد هذا - قديرا مثل لوسيفار !

فاوست (يجرح ذراعه) : انني - في حبك - أجرح ذراعي . وبدمي أؤكد ان روحي ملك للوسيفار العظيم ! انظر الى هذا الدم الذي يتساقط من ذراعي ، واعتبره دليلا على صدق نيتي (**يكتب وثيقة نزوله عن روحه الوسيفار**) والكن ، ما هذه الكتابة على ذراعي ؟ ؟ « رجل هارب » ؟! .. وأين أستطيع الهرب ؟ فلئن لجأت الى الله ، دفعني الى قرار الجحيم ! .. ولكن فاوست لن يهرب ، على أي حال !

مفيستو (لنفسه) : سأحضر له شيئا يسليه ! **(يخرج ، ثم يعود مع زمرة من الشياطين التى تقدم الى فاوست تيجانا ، وطيالس ، وترقص .. ثم تخرج .)**

فاوست : استلم . يامفيستو هذه الوثيقة . ان فيها تنازلا عن جسدى ، وروحى . ولكنها مشروطة بتنفيذ الأمور التى اتفقنا عليها .. اسمعنى ، وأنا أتلوها عليك **(يقرأ)** :

« بناء على هذه الشروط : **أولا** - يصبح فاوست روحا فى شكله . وطبيعته .. **ثانيا** - يكون مفيستو خادما له ، مطيعا لأوامره .. **ثالثا** - يحقق له مفيستو كل ما يبتغيه .. **رابعا** - يكون مفيستو دائما فى غرفته ، غير ظاهر للعيان .. **أخيرا** - يظهر مفيستو للمدعو جون فاوست ، فى كل حين ، وفى أى شكل ، أو هيئة يطلبها .. **انزل - أنا جون فاوست ، دكتور من وتنبرج - بموجب هذه الوثيقة ، عن جسدى ، وروحى ، للوسيفار ، ووزيره مفيستو** . وبعد أربعة وعشرين عاما - أى بعد موتى - يكون لهما الحق (وفقا للشروط المكتوبة هنا ، فى حرية ، ودون ضغط أو اكراه) فى نقلى : « جسدا وروحا ولحما ، ودما ، الى مستقرهما ، حيث كان » .

مفيستو : الآن ، يافاوست ، اطلب ما تريد !

فاوست : هات لى زوجة ! .. ولتكن أجمل فتاة فى ألمانيا ، فانى أحب النساء ، وأشتهيهن ، ولا أستطيع العيش بلا زوجة .

مفيستو : زوجة !! أرجوك ، يا فاوست .. لا تفكر فى الزواج !

فاوست : بل أرجوك ، يامفيستو : زوجنى !

(يخرج ، ثم يعود ومعه شيطانة . ولكن فاوست يكره شكلها) .

مفيستو : ما الزواج ، يافاوست ، الا لعبة تقليدية .. فاذا

كنت تحبنى لا تذكره ، بعد الآن . وسـوف أدعو لك أجمل الفوانى ، واقودهن الى فراشـك ! خذ هذا الكتاب ، واقراه جيـدا ! (**يعطيه كتابا**) ان ترديد هـذه السـطور يجيئـك بالذهب ، ورسم هذه الدائره يثير ا زوابع والرعود والبروق .. فاذا تلوت هـذه الجمله ، ثلاث مرات ، أقبلت فرقه من الجن ، مدججة بالسلاح ، مستعدة للاجهاز على من تشاء !

المشهد الرابع

(فى منزل فاوست .. يدخل فاوست ومفيستو .)

فاوست : اننى حين انظر الى السماء ، يتملكنى اندم . وألعنك ، أيها الشرير ، اذ حرمتنى تلك النعم !

مفيستو : ولم ، يافاوست ؟ .. هل تعتقد أن السـماء شىء عظيم ؟ لقـد جعلت لينعم فيها الانسان ، اذن فالانسان أعظم منها .

فاوست : ما ذامت قد جعلت للانسان ، فقد جعلت لى .. **ساطرح هـذا السحر ، وأعلن التوبة .. لقد أردت أن أقتل نفسى منـذ أمد طويل ، الا أن الأمل العـذب كان ينتصر على اليأس العميق ! ..** أيها المسـيح ، يا مخلص .. انقذ روح فاوست المعذب ! (**يدخل لوسيفار ، وبعلزبوب**) .

لوسيفار : لن ينقذ المسيح روحك ، لأنه عادل .. وروحك لم تعد تعنى أحدا سواى !

فاوست : واحسرتاه ! .. ومن انت أيها الكائن المرعب ؟

لوسيفار : أنا لوسيفار ، وهذا نائبى فى مملكة الجحيم .

بعلزبوب : لقد جئنا من الجحيم لكى نسرى عنك . وسوف تشاهد الآن «الخطايا السبع المميتة» ، فى أشكالها الحقيقية .

(**تدخل الخطايا السبع المميتة**) سلها عن أسمائها العديدة ، واوصافها ، وطبائعها .

فاوست : من انت ، أيتها الأولى ؟

الكبرياء : انا الكبرياء ، ازدرى ان يكون لى اب أو أم . **وانا كبرغوث أوفيد ، أندس فى اردان كل امرأة ..** وقد اعتلى رأسها شعرا مستعارا ، أو أحلى جيدها قلادة ذهبية، او اقبل تغرها مروحة من الريش ، أو احتويها معطفا ، وافعل ـ بعد ذلك ـ ما أريد !

فاوست : وانت ، أيتها الثانية ؟

الطمع : انا الطمع ! خلفنى عجوز جشع ، فى حقيبة رثة . ولو كان لأمنيتى ان تتحقق ، **لاشتهيت أن يتحول هذا البيت واهله الى ذهب ! وحينئذ أدفنك فى صندوقى الجميل !**

فاوست : وما أنت ، أيتها الثالثة ؟

الغضب : انا الغضب . ليس لى أم ولا أب ، لكنى قفزت من فم أسد ، ولما ابلغ نصف الساعة من عمرى . ومن ذلك الحين أذرع الدنيا طولا وعرضا ، **ومعى غمد خناجرى ، وأمزق لحمى عندما لا أجد من أطعنه !..** لقد كان مولدى فى جهنم ، ولتبحثوا ، فربما كان أحدكم لى أبا !

فاوست : وانت ، أيتها الرابعة ؟

الحسد : انا الحسد .. أبى ينظف المداخن ، وامى تبيع المحار . اجهل القراءة فارجو أن تحرق جميع الكتب .. ويضمر جسدى عندما ارى الآخرين ياكلون ، فلتحل المجاعة فى انحاء الارض ، حتى يموتوا جميعا ، وابقى انا وحدى ! ..

فاوست : اذهبى ، أيتها الزنيمة الحسود ! .. وما انت أيتها الخامسة ؟

الشره : انا الشره .. مات أبواى ولم يتركا لى درهما ، بل غرفة خالية . وما يشبعنى فى اليوم الا ثلاثون اكلة رئيسية ،

وعشر وجبات خفيفة ! .. لاسكات المعدة ! أوه ! اننى من أسرة ملكية ! **(تمضى تعدد له أهلها من أصناف الطعام والشراب ، فيطردها)**

فاوست : وما أنت أيتها السادسة ؟

الكسل : أنا الكسل .. ولدت على شاطىء مشمس ، وبقيت راقدة حتى هذه الساعة . ولقد آذيتمونى جدا باحضارى من هناك .. دعوا الشروالفجور يحملانى الى حيث كنت ، فلن أقول كلمة أخرى ، ولو أعطيتمونى فدية ملك !

فاوست : وما أنت أيتها الوقحة ـ السابعة ؟

الفجور : أنا من تشتهى أن تنهش قطعة صغيرة من اللحم النيىء ، وتفضلها على سمكة كبيرة مطهوة .. وأول حرف من اسمى ، هو : الفاء !

لوسيفار : اذهبن الى الجحيم ! **(تخرج الخطايا)** ما رأيك يافاوست ؟

فاوست : اننى راض كل الرضا .

لوسيفار : فى جهنم كل ما يدعو الى السرور !

فاوست : آه ! لكم يسعدنى أن أرى جهنم ، ثم أعود !

لوسيفار : ستفعل.وسوف أبعث من يطلبك فى منتصف الليل .وداعا يافاوست ، ولتذكر الشيطان دائما !

ويخرجون ، فتدخل الجوقة لتروى لنا ما حدث بعد هذا الاجتماع .. ارتقى « فاوست » السماء فرأى الكواكب والنجوم ، وانطلق بين الشرق والغرب فى سرعة مذهلة .. ولم يكد يعود الى الارض ــ بعد ثمانية أيام ــ حتى انطلق فى ارجائها . ويصل الى (روما) ، حيث كانت الاحتفالات بعيد القديس بطرس ، وحيث كان مقدرا ان يرى « البابا » .

المشهد الخامس

(فى قصر البابا ، وقد اعدت وليمة كبرى .)

فاوست : كلا ، يامفيستو ، انتظر وحقق رغبتى !..أريد ان استخفى . حتى يرى ذلك البابا المتعجرف ، ما أتصف به من براعة !

مفيستو : ليكن ماتشاء ، يافاوست ! .. اركع على ركبتيك ! .. انى أضع على راسك يدى ، واسحرك بهذه العصا . هلم ، تمنطق بهذا الحزام ، ثم اختف عن الناظرين !

(يدخل البابا وحاشيته)

البابا : هلم الى المائدة ، ياكبير أساقفة ريمس ! .. يالورد رايموند ، مد يدك ! .. انى أشكر أسقف ميلان على هذا الطبق النادر !

فاوست : شكرا لك ، ياسيدى ! **(يخطف الطبق)**

البابا : من أخذ اللحم من أمامى ؟ .. ياعزيزى كبير الأساقفة ، هذا طبق شهى أهدانيه كردينال فلورانسا .

فاوست : سآكله أيضا ! **(يخطف الطبق)**

البابا : عجبى لهؤلاء الاوغاد الذين يسيئون خدمتنا ! .. اى ببعض الخمر ! .. يالورد رايموند ، انى أشرب نخب قداستك . **(ولكن فاوست يختطف القدح)** وقدحى يختفى أيضا ؟ ابحثوا عمن ارتكب هذه الجريمة !

أسقف : أعتقد أنها روح قد خرجت من المطهر ، وجاءت تطلب العفو .

البابا : قد يكون هذا .. فليأت القساوسة ، ليرتلوا شيئا يهدىء من ثورة هذه الروح المشاغبة ! **(يخرجون)**

المشهد السادس

(بلاط الامبراطور فى انسبروك . يدخل مارتينو وفريدريك .)

مارتينو : انظر يافريدريك فى كل مكان ، واطمئن الى كل شىء ، فصاحب الجلالة قادم .

فريدريك : ولكن أين البطريرك « برونو » الذى انقذه « فاوست » من قبضة البابا ، وأعاده من روما على ظهر عفريت ؟ .. ألن يكون فى صحبة الامبراطور ؟

مارتينو : أوه ، بلى ! .. ويرافقه — أيضا — ذلك الساحر الألمانى الذى سيقوم امام الامبراطور بتحضير أرواح أسلافه .

فريدريك : وأين بنفوليو ؟

مارتينو : انه يغط فى نومه . فلقد اسرف بالأمس فى شرب الأنخاب !

(ينظر الى نافذة بنفوليو ويناديه ، فيطل عليه هذا)

بنفوليو : أى شيطان يثيركما ؟

مارتينو : اخفض صوتك ، حتى لايسمعك الشيطان ! فلقد جاء فاوست الى القصر . وفى أعقابه ألف عفريت مستعدين لتلبية أوامره !

(موسيقى .. يدخل شارل امبراطور الألمان ، وبرونو ، ودوق ساكسونيا ، وفاوست ، ومفيستو ، وفريدريك ، ومارتينو ، والحرس .)

الامبراطور : مرحبا بك فى بلاطنا ، يافاوست . اننى كثيرا ما أجلس فى غرفتى ، وحيدا ، فأذكر ما كان عليه أسلافى من المجد ، وكيف أثروا ، واخضعوا الممالك ، وحققوا من جلائل الأعمال ما أخشى الا احققه أنا أو خلفائى . ومن أولئك الذين

اذكرهم الاسكندر الأكبر .. فلو استطعت بسحرك أن تصعده من أغوار الأبد ، وأن تحضر معه حبيبته الجميلة ..

فاوست : ستراهما الآن ، ياصاحب الجلالة . هلم ، يا مفيستو .

بنفوليو (من نافذته) : حسنا ، ياسيدى الدكتور . لكننى سأعود الى فراشى اذا لم تعد شياطينك على جناح السرعة ، وسأموت غيظا اذا تبين لى أننى وقفت هذا الوقت كله ، نعسان متثائبا ، فى غير طائل !

فاوست : لسوف تشعر — أولا — بشىء معين ، اذا لم يخذلنى سحرى ، فاننى سأغرس قرنين فى رأسك .

(موسيقى ، يدخل الاسكندر من أحد الأبواب ، ويدخل داريوس — ملك الفرس — من الباب الآخر ، فيتلاقيان . الاسكندر يصرع داريوس ويأخذ تاجه . وفى خروجه يلتقى بحبيبته ، فيعانقها ، ويضع على رأسها التاج ، ثم يتقهقران — معا — ويحييان الامبراطور الذى يترك مجلسه ، ويحاول ان يعانقهما ، فيمنعه فاوست ، ويأمر الارواح بالخروج)

فاوست (للامبراطور) : هل ترى ، يامولاى ، أى حيوان غريب يطل هناك ، من تلك النافذة ؟

الامبراطور : أوه ! انظر يادوق ساكسونى ! قرنان طويلان ، فى رأس بنفوليو !

ساكسونى : ماذا ! هل هو نائم أم ميت ؟

فاوست : انه نائم ، ولكنه لا يحلم بقرنيه .

(يناديه الامبراطور ليوقظه ، فيسبه بنفوليو ، ثم ينتبه الى أنه الامبراطور)

بنفوليو : الامبراطور ! .. أين ؟ أوه ! .. ان رأسى يؤلمنى !

الامبراطور : لا بأسَ على رأسـك ، فانه مدعم بما فيـه الكفاية . تحسس قرنيك !

فاوست (لبنفوليو) : ما رأيك الآن ، أيها الفارس ؟ .. خبىء رأسـك ولا تجعل من نفسـك هزأة العالمين ! **(يسبه بنفوليو ، فيهدده باستحضار قطيع من كلاب ضارية ، تمزقه بانيابها .)**

بنفوليو : تمهل ، تمهـل ! .. يا للعنـة ! .. اشـفع لى يامولاى ، فما أستطيع أن أحتمل هذا العذاب !

الامبراطور : اذن ، أسـألك ياعزيزى أن ترفع قرنيـه ، فقـد ندم بما فيه الكفاية . **(فاوست يأمر مفيستو فيرفع القرنين .)**

المشهد السابع

(فى الغابة. يدخل بنفوليو ، ومارتينو ، وفريدريك ، واتباع.)

مارتينو : يا عزيـزى بنفوليو ، اقص عن رأسـك فكـرة الثأر من السـاحر !

بنفوليو : بل اتركونى أنتم ، فانكم لاتحبوننى ! اأدعه يهزأ بى ويجعلنى موضع السخرية لدى كل سائس خيل . هيهات أن تغمض لى عين حتى أقتل ذلك السـاحر بحد سيفى .

فريدريك : سنبقى معك ، مهما يحدث . وسـنقتله اذا جاء من هذا الطريق .

بنفوليو : هلم الى المقبـرة اذن ، وأعـدوا كمينـا وراء الشجر .

(يدخـل فاوسـت برأس زائف ، فيضربه .. ويسـقط فاوست على الارض .)

مارتينو : اضرب بيد قوية ! **(بنفوليو يقطع رأس فاوست)**

فريدريك : فلنفكر فى عار جديد نلحقه باسمه البغيض !

بنفوليو : اولا . سأدق فى رأسه قرنين مشعبين ، ثم أعلقه منهما بالنافذة ، التى سبق فعلقنى بها !

مارتينو : وفيم نستخدم لحيته ؟

بنفوليو : نبيعها لمنظف المداخن !

(وفيما هم يتدبرون ضاحكين ما يفعلونه بجثته ، ينهض فاوست .)

بنفوليو : اللعنة ! لقد بعث الشيطان من موته !

فريدريك : رد اليه رأسه ، بحق الله !

فاوست : الا تعلمون أيها الأوغاد ، أن عمرى محدود بأربعة وعشرين عاما ؟ .. فلو مزقتم جسدى ، أو طحنتم لحمى وعظمى ، فاننى أنهض ثانية ، وأعود رجلا حيا ، خاليا من كل ضرر ! ولكن ، لم لا آثار الآن منكم ؟

(يدعو الشياطين ، ويأمرهم ان يمثلوا اشنع تمثيل بالثلاثة .)

المشهد الثامن

(فى منزل فاوست)

فاوست : أين أنت يافاوست ؟ ! .. أيها التعيس ، ماذا فعلت؟ انك ملعون ! ملعون ! .. ماذا أفعل حتى أنجو من الموت ؟

مفيستو : أيها الخائن ! انى اعتقل روحك ما دمت تخرج على طاعة مولاى ! ..

فاوست : أيها العزيز مفيستو ، فلتبتهل الى مولاك ليغفر لى هذا المذنب . وسوف أؤكد بدمى ما سبق أن وعدت به لوسيفار . (**يجرح ذراعه ، ويكتب على ورقة بدمه .**) والآن ، دعنى أسألك شيئا واحدا يشتهيه قلبى : انى أريد أن أتخذ خليلة لى ، هيلين الجميلة .. تلك التى سيطهرنى عناقها العذب من هاتيك الأفكار التى أوشكت أن تحملنى على نكث عهدى ، وانكار القسم الذى أقسمته للوسيفار . (**تظهر هيلين ، فتعبر المسرح بين اثنين من آلهة حب مجنحين**) أهذا هو الوجه الجميل الذى أجرى ألف سفينة على الماء وأحرق أبراج طروادة ؟ .. ياهيلين الجميلة ، خلدينى بقبلة ! (**يقبلها**) ان شفتيها تمتصان روحى ! تعالى ، ياهيلين ، تعالى ! ردى الى نفسى ! ها هنا مثواى ومستقرى ! فالنعيم فى شفتيك !

المشهد التاسع

(نفس المكان ، فى نهاية الأربعة والعشرين عاما ـ رعد قاصف ـ يدخل لوسيفار ، ويعلزبوب ، ومفيستو .)

لوسيفار : لقد جئنا من الجحيم ، نستطلع أحوال الرعية : أولئك الذين تحركهم الخطيئة ، وتجعلهم أبناء للجحيم ، وعلى رأسهم : أنت ، يافاوست ! .. لقد حان الوقت الذى تسدد فيه دينك !

مفيستو : فى هذه الليلة المدلهمة ؛ وفى هذه الغرفة !
(**يدخل فاوست وفاجنر**)

فاوست : فاجنر ، لقد قرأت وصيتى ، فما رأيك فيها ؟

فاجنر : مدهشة ، ياسيدى ! وانى لفى ولاء مؤكد ، اكرس لك عمرى ، وخدمتى .

فاوست : شكرا جزيلا لك ، يافاجنر . **(يدخل ثلاثة من الطلبة ، ويخرج فاجنر .)**

الأول : تلوح متغيرا ، أيها الأستاذ المبجل .

فاوست : أواه ، يا أصدقائى ! .. وددت لوعشت معكم الدهر كله ، لكننى سأموت هذه الليلة !.. انظروا ! الا يأتى ؟ .. الا يأتى ؟

الثانى : من يافاوست ؟

الثالث : أظنه مريضا من جراء الوحدة !

الأول : فلنحضر له أطباء .. انما هو انحراف بسيط ..

فاوست : انما هو انحراف الخطيئة التى سممت جسدى وروحى .

الثانى : توجه الى السماء ، يافاوست ، واذكر أن رحمة الله واسعة !

فاوست : ولكن كفران «فاوست» لا يغتفر..أواه ياالهى ! ..وددت لو ابكى ، ولكن الشيطان يجمد الدمع فى عينى !.. انهما يمسكان لسانى ، ويقيدان ذراعى فلا أرفعهما بالضراعة !

الجميع : من هما ، يافاوست ؟

فاوست : اوسيفار ، ومفيستو ! ..لقد وهبتهما روحى ، مقابل سحرى .. وقد حان الأجل ، وعما قليل يجىء الشيطان ليأخذنى ..اخرجوا ، واتركونى ، والا هلكتم معى !

الثالث (لزميليه) : فلننتقل الى غرفة مجاورة ، لنصلى من أجله !

فاوست : نعم ، صلوا من أجلى ! .. ومهما تسمعون من ضجيج ، فلا تعودوا لأنه ما من شىء سينقذنى !

(يخرج الطلاب ، وتدق الساعة الحادية عشرة)

مفيستو : نعم ، يافاوست .. ما دمت فقدت الرجاء فى رحمة السماء ، فليعمر اليأس قلبك ، والتفكر فى الجحيم وحده ، لأنه سيكون مثواك المخلد !

فاوست : أيها الشيطان الخبيث ! .. انه اغراؤك الذى حرمنى السعادة الأبدية ..

مفيستو : أعترف بهذا ، وأنا جذلان !

(يخرج مفيستو . ويدخل ملاك الخير ، وملاك الشر ، من بابين مختلفين)

ملاك الخير : واأسفاه !.. لو كنت استمعت الى يافاوست ، لأتيحت لك أفراح لا تقدر . ولكنك أحببت العالم أكثر مما أحببت السماء ! **(موسيقى ، بينما يهبط عرش الذين كتبت لهم الجنة)** لو أنك اتجهت الى السماء ، لما كان للجحيم أو الشيطان سلطان عليك ! .. انظر أى مجد رائع كان ينتظرك حين تجلس على هذا العرش مع القديسين !.. والآن ينبغى أن يتركك ملاكك الحارس ، فأبواب الجحيم قد انفتحت ، لتنطبق عليك ! **(يخرج ، ويظهر الجحيم)**

ملاك الشر : دع الآن عينيك المذعورتين تحدقان فى مستقر العذاب الأبدى ! .. انظر : هنالك يدفع الشيطان الارواح الملعونة بالأسياخ الملتهبة ، وتتقلب أجساد الخاطئين فى الرصاص المصهور ، والفحم المشتعل .. اما أولئك الذين يلتهمون الجمر فهم المتهالكون على اللذة ، الضاحكون من الفقير .. ولكن هذا كله لاشىء ، اذا قيس بما سترى من صنوف العذاب ! **(يخرج)**

فاوست : واحسرتاه ، يافاوست ! .. لم تعد تملك الا ساعة واحدة من العمر ، ثم تمضى الى عذاب لاينتهى ! قف أيها الزمن ، ولا تنتصف ياليل ، واشرقى أيتها الشمس ، فى نهار لايزول ! .. اجعلى هذه الساعة عاما كاملا ، أو شهرا ، او اسبوعا . او يوما واحدا ، حتى أتوب وأستنقذ روحى ! .. أواه ، سأقفز اليك ، يارب ، فمنذا الذى يجذبنى الى سفل ؟ ! .. انظر يافاوست ! .. **ان دم المسيح ينسكب من السماء ، وقطرة واحدة منه تنقذك ! .. يامخلص يسوع !..** لقد ذكرت المسيح ، فأرجو الا يمزقنى الشيطان ! .. انقذنى يالوسيفار ! .. اسقطى فوقى ايتها الجبال ، وخبئينى من غضب الاله ! .. انشقى أيتها الأرض ، وابتلعينى ! .. أيتها النجوم ، ارفعينى كسحابة قاتمة ، فأختفى بين الغيوم ! (**منتصف الثانية عشرة**) لقد مر نصف الساعة ، وسوف تنقضى الساعة كلها وشيكا ! .. يالهى ! اذا لم تغفر لى ، فضع حدا لآلامى !.. دعنى أعيش فى الجحيم الف سنة ، ومائة ألف ، وانقذنى فى النهاية ! .. **ولكن ، ما من نهاية للأرواح الملعونة ! لماذا لم أكن مخلوقا بلا روح ؟.. ولماذا أكون مخلدا ؟** .. أواه ، لو كان تناسخ الأرواح حقا ، لانسلخت هذه الروح منى ، وصرت حيوانا !.. فالحيوان هو السعيد ، لأنه ما ان يموت حتى يتحلل فى العناصر ! (**تدق الساعة الثانية عشرة**) انها تدق ! .. انها تدق ! .. تحول ــ أيها الجسد ــ الى هواء ! (**رعد وبرق**) تحولى ــ أيتها الروح ــ الى قطرات من الماء واسقطى فى اليم ، واختفى الى الأبد ! (**يدخل الشياطين**) الهى ، الهى ، انظر الى بعين الرحمة ! .. لا تتثاءب ، أيها الجحيم البغيض ! .. لاتأت يالوسيفار ! سأحرق كتبى ! .. أواه مفيستو ! (**يأخذه الشياطين ويخرجون . ثم يدخل الطلبة**)

الأول : تعاليا نطمئن على فاوست ، بعد هذه الليلة الرهيبة التى لم تشهد الدنيا لها مثيلا ، والتى تردد فيها من الصراخ المفزع ما لم تسمعه أذن قط !

الثانى : عونك أيتها السماء . انظر ، ها هى ذى أشلاؤه ، قد مزقتها يد الموت اربا !

الثالث : بل مزقتها الشياطين التى كان يتبعها !

الثانى : لئن كانت نهاية فاوست مما يأسف له كل مؤمن ، فانه قد كان رجلا عالما ، وكان موضع التجلة والاحترام ، فى معاهدنا .. واذن ، سنضم أشلاءه الممزقة فى قبر يليق به ، وسيشهد الطلاب ـ فى ملابس الحداد ـ مراسم دفنه الأليم !

(يخرجون ـ وتدخل الجوقة)

الجوقة : ... وها قد انكسر الفرع الذى كان ينبغى أن ينمو فى استقامة ، واحترق غصن الغار الذى كان ينمو فى داخل ذلك الرجل الأريب .. لقد مضى فاوست ، فلتنظروا إلى سقوطه ، ولتتأملوا مصيره الذى ينبغى أن يتدبره الحكماء ، **لا لشىء الا ليستنكروا تلك النزعات المحرمة التى تغرى أصحاب المواهب النادرة بأن يمارسوا من الأعمال أكثر مما تسمح به السماء !**

الجريمة والعقاب

المحاكمات الكبرى

في الماضي والحاضر

عزيزى القارىء ..

قدمت لك فى الاعداد السابقة من كتابى طائفة من القضايا والمحاكمات الهامة ، هى على التوالى : محاكمة ((جورجيت هودو)) ملكة الجمال الباريسية .. فمحاكمة السفاحين ((بيرك)) و ((هير)) .. ثم محاكمة فيلسوف اليونان العظيم ((سقراط)) .. ومحاكمة ((آن بولين)) ملكة انجلترا فى عهد هنرى الثامن ، فمحاكمة ((دريفوس)) .. ومحاكمة ((ستافسكي)) .. ثم محاكمة ((مرجريت فهمى)) .. ومحاكمة ملك انجلترا ((شارل الاول)) واعدامه .. ومحاكمة قاتل راسبوتين .. ثم محاكمة ملك فرنسا لويس السادس عشر .. ومحاكمة قاتل عشيق زوجته (من محاكمات اثينا القديمة) ثم حلقات من كتاب ((نساء ومآس فى ساحة العدالة)) ، و القاتل الذى حاز عطف الجماهير ، والقاتل الصغير .

وفى هذا العدد اقدم لك احدى القضايا المعاصرة ، التى اثارت جدلا قانونيا ..

قضايا أثارت ضجة
فى تاريخ القضاء المعاصر
للكاتب المدقق:
روبرت فورنو

القاتل الذى فقد ذاكرته!

تلخيص : رمسيس شكرى

عزيزى القارىء :

حلقة هـذا الشهر ، من هـذه السلسلة المشوقة ، نتنـاول موضوعا طريفا غاية الطرافة ، أثار ضجة فى دوائر القضاء الانجليزى منذ عام ونصف عام ، **وبلغ من خطورة الجدل ان اهتم مجلس العموم بالموضوع ..**

ذلك لأن المتهم الذى مثل أمام القضاء ، زعم انه فقد ذاكرته تماما . فيما يتعلق بالماضى .. ولكنه استبقى من ذلك الماضى المعلومات العـامة ، واللغـات التى كان يجيدها ، والالعاب التى كان يتقنها .. **فكيف تتسنى محاكمـة متهم كهـذا ، اذا صح ما يدعيه ؟ .. وكيف يصدر القضاء حكما فى جريمة كهذه ، لا يذكر المتهم عنها شيئا ، فهو ــ بالتالى ــ لا يملك ان يدافع عن نفسه .. والقضاء الانجليزى يقدس حق المتهم فى الدفاع ؟**

هذه هى العقدة ــ كما يقولون ــ ولن اذكر لك كيف انتهى حلها .. ولكنى ساتركك تستخلصه لنفسـك ، من الصفحات التالية :

مصرع شرطى أثناء اداء واجبه

• فى حوالى الساعة الثالثة والنصف ، من بعـد ظهر يوم ١٣ يوليو عام ١٩٥٩ ، اطلقت رصاصـة فى المنزل رقم ١٠٥ ميـدان « أونسلو » بلندن ، صرعت مخبر الشرطة « رايموند بيردى » . فلما وصـل زميل القتيـل ــ المخبـر « جون ستاندفورد » ــ الى مسرح الجريمة ، وجد الجيران يحيطون بالجثة ، ويتأملونها فى استنكار واضح .. **فالمجتمع الانجليزى قـد يغفر أية جريمة ، ماعدا جريمة قتل شرطى أثناء قيامه بواجبه .**

القـاتل

وكانت احـدى النساء قد تقدمت ببلاغ تتهم فيه رجلا — لاتعرفه — بمحاولة ابتـزاز اموال منها بالتهديد . فأعد له المخبـران كمينـا فى محطـة (كينسينجتون) ، وتمكنا من القـاء القبض عليـه متلبسا بطلب خمسمائة جنيه ، عامدا الى التهديد لكى ينال بغيته . غير ان المتهم تمكن من الهرب ، فى الطريق الى قسم الشرطة . ثم استطاع المخبران ان يلحقا به — بعد فتـرة — فى المنزل السـالف الذكر ، حيث أطلق رصاص مسدسه على « بيردى » ثم انفلت هاربا .

ولم يتمكن رجال الشرطة — فى بادىء الأمر — من التعرف على شـخصية القـاتل ، غير انهم ما لبثوا ان توصلوا — بالاستعانة بالبصـمات التى تركها القاتل واضـحة — على سـياج نافذة الصالة — الى ان مرتكب الجريمة هو ((جنتر فرينز ايروين بادولا)) الألمانى الأصل .

وفى يوم ١٦ يوليو ، قامت قوة من المخبرين المسـلحين ، وألقت القبض على « بادولا » ، فى احد فنادق المدينة . وبعد

ان احتجز فترة فى مركز الشرطة ، رؤى ان حالته تستدعى نقله الى المستشفى .

لايذكر شيئا عن ماضيه !

• **ولقد** اثارت هذه القضية ضجة هائلة ، ودار بسببها ـ فى الصحف ـ جدل كبير ، لم يلبث ان انتقل الى مجلس العموم ، اذ كان قد اشيع **ان المتهم تعرض للضرب على ايدى رجال الشرطة ، اثناء ((اقامته)) القصيرة فى مركز شرطة ((تشيلسي)) ، قبل ان ينقل الى المستشفى فى الليلة ذاتها .** فقد اثارت هذه الشائعة اهتمام بعض النواب ، حتى ان احدهم قدم استجوابا عنها ..

وعندما نظرت القضية فى محكمة « أولد بيلى » ، وجه الى المتهم السؤال التقليدى : ما اذا كان بريئا او مذنبا . واذا به يرد بأغرب جواب . اذ قال انه **لم يكن يعلم ما اذا كان بريئا او مذنبا ، بل ولم يكن يذكر شيئا من ماضى حياته ، قبل يوم ١٧ يوليو ، عندما وجد نفسه راقدا فى مستشفى (القديس ستيفان) .. فقد فقد ذاكرته تماما !**

وزاد القضية اثارة ، ان تقدم محامياه بطلب لاخلاء سبيله ، بدعوى ان المتهم لم يكن فى حالة تسمح له بأن يحاكم ، اذ لايجوز محاكمة شخص ما عن جريمة لايذكر من تفاصيلها شيئا !

وكانت تلك أول مرة فى تاريخ القضاء الانجليزى ، يتقدم فيها متهم بدفع من هذا القبيل ! .. واذا لم تكن هناك بادرة من الشك فى ان «بادولا» مذنب ، فقد اهاج هذا الدفع ثائرة الرأى العام ، وتعالى التساؤل : **امن المعقول ان يفلت مجرم ـ لايشك أحد فى ادانته ـ من العقاب ؟**

وزاد من حرارة المناقشات التى دارت فى تلك المحاكمة

الفريدة فى نوعها ــ كما أطلق عليها القاضى ــ والتى استمرت احد عشر يوما ، ان الجو كان حارا فى تلك الايام ، وكانت القاعة تكتظ ــ يوميا ــ بمئات من النظارة الذين كانوا يحرصون على ان يتتبعوا بانتباه ما كان يرتسم على وجوه المحلفين من انفعالات .. وكان المحلفون يتألفون من عشرة رجال وسيدتين !

لو كان يذكر .. لاستحق الاعدام !

• **ورأس** هيئة المحكمة القاضى « ادموند دافيز » ، ومثل التاج (سلطة الاتهام) مستر « ماكسويل تيرنر » ، ومستر «جون بوزارد» .. اما الدفاع ، فقدتولاه المحاميان « فردريك لوتون» ، و «جون هارفى » .

وما ان خمدت الضجة التى أثارها ادعاء المتهم ، حتى خاطب المحامى « لوتون » المحلفين قائلا : « ان هذه القضية ليست بالقضية العادية ، بل انها ذات معالم خاصة .. وأنا أقف اليوم مع زميلى ، لا نملك ما ندافع به عن موكلنا .. اننا لا نعلم ما اذا كان يريد ان يقول ــ فى الدفاع عن نفسه ــ ان الشاهد الذى قدمه الاتهام ، قد شهد بغير الحقيقة ، متعمدا أو عن حسن نية .. **لسنا نعلم ان كان يريد ان يقول ان الرصاصة قد انطلقت عفوا ، أو ان المجنى عليه قد استفزه** .. لسنا نعلم شيئا عن ماضيه أو عن البيئة التى عاش فيها .

« ولماذا ؟ .. لأنه لايذكر شيئا عن ماضى حياته ، وعما حدث فى ذلك اليوم .. **لأنه أصيب بفقد ذاكرته ، الامر الذى يحول بينه وبين الدفاع عن نفسه ، بصدد جريمة خطيرة عقوبتها الاعدام شنقا** .. جريمة قتل المخبر « بيردى » عمدا ومع سبق الاصرار ..

« ان عدالتكم لتأبى عليكم ان تحاكموا رجلا يعجز عن الدفاع عن نفسه ! »

واستطرد مستر « لوتون » قائلا ان المتهم لم يصب بأذى بالغ في عقله ، **الا ان ثمة ادلة تثبت انه قد اصيب بارتجاج فى المخ** .. « وهذا الارتجاج ليس كافيا ـ فى حد ذاته ـ لأن يصاب بفقدان الذاكره ، الذى يقاسى منه اليوم .. ولكن ، اذا حدث ان نعرض رجل ما لرعب فظيع ـ وقت اصابته بارتجاج فى المخ ـ فان النتيجة هى انه يفقد ذاكرته ! »

ظروف اعتقاله هى السبب

• **واستشهد** مستر «لوتون» ـ فى هذا الصدد ـ بأقوال الطبيب النفسانى « ادموند بيرك » : الذى قال ان الناس يختلفون فى درجة احتمالهم للرعب والفزع ، وانه لا توجد عاطفة اقوى من الخوف على تجريد العقل من جميع قواه .

واستطرد يقول : « هذه هى المسألة التى يجدر بنا ان نقتلها بحثا : ما هى الصدمة المفزعة التى تعرض لها « بادولا » ؟ .. **انى أحدس ان تلك الصدمة كانت نتيجة لظروف القاء القبض عليه ، واتهامه بمثل هذه الجريمة الخطيرة** .. حقا ان اصابات بادولا لم تكن ـ اذا راعينا كلا منها على حدة ـ خطيرة ، ولكنه نزف قدرا كبيرا من دمه ، لوث وسادتين ، وتسرب الى الفراش . ولسنا ندرى مصدر هذه الدماء ، على وجه التحديد .. وحتى اذا كانت من أنفه ، فان أثر رؤية الدماء يتباين من شخص الى آخر ، ولكنه يبلغ اقصى درجاته ، اذا كان الدم دم الشخص ذاته .

« **ان لظروف القاء القبض على « بادولا » ـ من وجهة النظر الطبية ـ اهمية خاصة** .. انني لا اشكو رجال الشرطة ، فهنالك عدة احتمالات لما حدث .. اذ من الجائز ان هذه

الاصابات حدثت عفواً . ومن الجائز انه قاوم رجال الشرطة مقاومة عنيفة اثناء القبض عليه . كما ان من الجائز انهم هم الذين بالغوا فى استخدام العنف ! .. لذلك فعليكم ان تنظروا بعين الاعتبار الى ما حدث ، وان تقرروا — على ضوئه — ما اذا كان «بادولا» قد تعرض لهزة فزع عنيفة ، او لم يتعرض .. **فهو لقد اقتيد من الفندق الى قسم الشرطة ، محوطا بثلاثة من رجال الشرطة الرهيبى المنظر** . وكان مغلول اليدين الى الخلف ، حافى القدمين ، وقد نزع عنه معطفه . ووضع فوق رأسه كيس فارغ .. ومرة أخرى لست أشكو من رجال الشرطة ، ولكن مثل هذه المعاملة ليست بالطريقة المناسبة لتمهيد لقاء اى متهم بالقانون ! »

فزع وانهيار ذهنى

• **واستطرد** مستر « لوتون » فى دفاعه قائلا ان ضابطا كبيرا من ضباط الشرطة ، وجد نفسه — بعد وصول « بادولا » الى القسم بفترة وجيزة — مضطرا الى عرض المتهم على أحد الأطباء .. **فلما حضر ((الدكتور شاناهان)) ، وجد ((بادولا)) فى حالة ذهول ، وعلى سيماه معالم الفزع والارهاق** ، وفى أسفل عينه اليسرى جرح صغير ، كما كانت ثمة خدوش فى وجهه ..

وقال مستر « لوتون » ان هذه الاصابات ليست كافية — فى حد ذاتها — لتبرير اصابته بفقد ذاكرته ، فقد قرر الطبيب ان المتهم كان فى حالة تسمح للشرطة باحتجازه فى المركز .. الا انه لم يكن فى حالة تجيز توجيه الاتهام اليه .. **ولهذا التقرير من الطبيب مغزى كبير فى هذه القضية ! لماذا ؟ .. لأنه وجده فى حالة ((ذهول بالغ بسبب اعتقاله !))**

واسترسل مستر « لوتون » قائلا : « وبرغم ان « بادولا »

لايزال محتفظا بمقدراته التى اكتسبها أثناء حياته الماضية ـ فهو ما زال يتقن الحديث بثلاث لغات : الانجليزية والألمانية والفرنسية ، ويجيد القراءة ولعب الورق والشطرنج ـ الا ان عددا من الأطباء سيشهدون بان هذه المقدرات لا تتناقض مع اصابته بفقد الذاكرة !

« ومرة أخرى أود ان أشيد بتصرف رجال الشرطة مع المتهم . فعندما استدعى الدكتور « شاناهان » لاعادة فحصه ـ قبل منتصف الليل ـ وجده مستغرقا فى النوم ، فى فراش وثير . وعندما فحصه . لم يجد أية اصابات جديدة ، عدا تلك التى وجدها فى فحصه الأول . لذلك يحدونى الانصاف الى ان أقرر بوضوح ، ان المتهم لم يتعرض لأى نوع من الأذى ، خلال احتجازه بقسم شرطة (تشيلسى) ، بل ان الدلائل تشير الى العكس تماما ، وتشهد بأنه لقى معاملة كريمة . . أما الصدمة التى تعرض لها ، فانما كانت من جراء القاء القبض عليه ، والظروف التى لابست ذلك .

« وقد رتب الدكتور « شاناهان » أمر نقل « بادولا » الى مستشفى « القديس ستيفان » حيث فحصه الدكتور « فيليب هارفى » فحصا دقيقا : **فوجده فى حالة ذهول تام . .** وكان اذا ما طلب منه الطبيب ان يفتح فاه ، أطاعه فورا ، لكنه لم يكن قادرا على الاجابة عن أية أسئلة توجه اليه . **ومن الجائز ان ينسب البعض هذا التصرف الى اصابته بارتجاج فى المخ ، ولكن المرجح انه نتج عن اصابته بصدمة عقلية** . فعندما عرضه الدكتور « هارفى » للأشعة السينية ، لم يجد به أية دلائل على كسور بالجمجمة أو اى نزيف داخلى ، الامر الذى يرجح اصابته بالصدمة العقلية ، التى تؤدى ـ فى معظم الأحيان ـ بالمريض الى الاصابة بفقد الذاكرة !

« ولقد شهد ـ أثناء التحقيق ـ ثلاثة من أمهر الأطباء ، بأن اصابة « بادولا » بفقد الذاكرة ، حقيقية وليست ادعاء ولا تمثيلا .. »

نسيان الماضي كله حالة نادرة

• **وما ان** انتهى مستر « مورتون » من مرافعته ، حتى استدعى للشهادة الدكتور «شاناهان» ، الذى أقر ما جاء فى حديث المحامى • ثم تلاه الدكتور « فيليب هارفى » كبير أطباء مستشفى « القديس ستيفان » ، الذى شهد بأنه وجد المتهم فى حالة ذهول وارهاق ، ومصابا باصابات جسيمة ، ويعانى من حالة انهيار ذهنى ..

واذ ذاك وقف ممثل الاتهام ، فقال ان « بادولا » خدع الأطباء ، وبلغ به اتقان التمثيل ان الدكتور « هارفى » تقبل تساؤل المتهم ـ بمجرد افاقته ـ « أين أنا ؟ » و « ماذا أصاب عينى ؟ » كدليل على اصابته بفقدان الذاكرة .. **فى حين انه أظهر ـ أثناء وجوده فى المستشفى ـ انه بارع فى الشطرنج وأوراق اللعب !**

واستشهد ممثل الاتهام بالدكتور « كولين ادواردز » ، الذى فحص «بادولا» عند وصوله الى سجن (بريكستون) ، فقال الطبيب انه بالرغم من ان الريب ساورته ازاء ادعاء المتهم ، لاسيما حين علم ان فقدان الذاكرة المزعوم ينسدل على الماضى كله ، الا انه ما لبث ان اقتنع بأن اصابته حقيقية . ومما عزز هذا الاقتناع ، ان اثبات فقدان الذاكرة كان يتطلب من المتهم الماماً تاماً بعلم النفس ، وذكاء خارقا للعادة .. ومن ثم قرر الطبيب ان « بادولا » **كان مصابا بفقدان الذاكرة مصحوبا بانفعالات هستيرية ، نتيجة للصدمة**

العاطفية التى تعرض لها ، وزاد من وقعها الاصابات الجثمانية ..
وفيما عدا ذلك كان « بادولا » يتمتع بكامل قواه العقلية !

غير ان الدكتور « ادواردز » ما لبث ان استدرك قائلا انه عندما علم ـ بعد شهرين كاملين ـ بأن المتهم ما زال يدعى فقدان الذاكرة ، راوده الشك من جديد . **اذ من المألوف ان هذا المرض يزول بعد فترة وجيزة من الزمن ..** كما انه دهش لامتداد فقدان الذاكرة الى ماضى حياة بادولا بأكمله ، لأن هذه حالة نادرة الحدوث !

رسالة الى صديق

• **واعقب ذلك** عدد كبير من الشهود ، **معظمهم** من الأطباء البشريين والنفسيين ، وقد شهد بعضهم بأن «بادولا» كان يدعى المرض ، بينما شهد البعض الآخر بأن فقدان الذاكرة كان حقيقيا لا زيف فيه ولا ادعاء ..

واذ ذاك ، اضطر الدفاع الى ان يقدم المتهم نفسه كشاهد .. فقال « بادولا » لهيئة المحكمة انه لا يذكر من ماضى حياته سوى ثلاثة أشياء غير واضحة المعالم : طفلة صغيرة تدعى « ميكى » (من المرجح انها ابنته) ، وفتاة شابة ، قد تكون عشيقته .. وأطياف حادثة وقعت ، وجد نفسه فيها راقدا أسفل قطار ، **وصوت ـ تبين فيما بعد انه صوت المفتش ((هيسلوب)) ـ يهمس فى اذنه قائلا : ((اننى صديقك .. قل انك قتلته بطريق الخطأ)) ! ..**

كذلك لم يكن يذكر شيئا مما حدث قبل يوم ١٧ يوليو عام ١٩٥٩ . ولكنه ـ برغم ذلك ـ ظل يستطيع ان يتحدث بالألمانية ، وان يلعب الورق والشطرنج ، وان يحتفظ بكثير من المعلومات العامة ، مثل أسماء حكام بريطانيا والمانيا ، وان سكان « مونتريال » يتحدثون بالانجليزية والفرنسية معا .. ولما

سؤل كيف يعلم هذه الأشياء ، اجاب : « لا ادرى .. هكذا ! »
واذ ذاك ، استجوبه ممثل الاتهام استجوابا دقيقا ، بشأن خطاب كتبه – اثناء اقامته بسجن (بريكستون) – إلى شخص يدعى « ستاركى » ، ردا على بطاقة بريد تسلمها منه . **ومع ان « بادولا » انكر معرفة ذلك الشخص ، الا ان الخطاب ، الذى وضعت رقابة السجن يدها عليه ، اصبح اكبر دليل ارتكن عليه الاتهام ..** فقد ألقى ظلالا كثيفة من الشبهات على ادعاء فقدان الذاكرة . فلو ثبت ان المتهم كان يعرف « ستاركى » – فى ماضى حياته – لكان هذا اكبر دليل على كذب ما كان يتظاهر به من فقدان الذاكرة .

وكانت بطاقة البريد تحمل سطورا قليلة ، جاء فيها :

« **عزيزى مايك :** هل تحتاج الى شىء من التبغ أو الطعام ؟ .. ان كنت كذلك ، فارسل لى بطاقة بريد ، لأبعث لك بحاجتك فى أقرب فرصة .. أتمنى لك حظا موفقا – رون » ..

وقد أجاب « بادولا » على هذه البطاقة برسالة قال فيها :

« **عزيزى رون :** أشكر لك بطاقتك ، التى تسلمتها بسرور ودهشة .. **كيف حالك هذه الأيام ، ايها الصديق القديم ؟ ..** لاريب انك قد سمعت بالورطة التى سقطت فيها ، فان الصحف أوسعتها شرحا وتفصيلا .. ولقد تأثرت واهتززت طربا ، لمعرفتى انك ترغب فى الحضور الى لندن لزيارتى .. انك لاتحتاج الى بطاقة زيارة خاصة ، وبوسعك ان تزورنى كل يوم – ماعدا يوم الأحد – بين الساعة العاشرة صباحا والحادية عشرة والنصف ، وبين الساعة الواحدة والنصف بعد الظهر والثالثة والنصف .. اننى – بطبيعة الحال – احتاج الى بعض ألوان الطعام والتبغ ، الا انها ليست ضرورية جدا .. غير اننى أرجوك يا « رون » ، ان تحضر لى معك بعض الكتب والمجلات القديمة ، لاننى لا أجد ما يشغل فراغى هنا .. ان

الطعام الذى يقدمونه لى جيد ، وان كان ينقصه التنويع .. على اننى لا أرغب فى ازعاجك . لقد انسقت الى هذه الورطة ، وعلى - بمفردى - أن أجد لى منها مخرجا .
صديقك المحب : مايك »

الخطاب .. بين الدفاع والاتهام

• **ولقد علل «بادولا» كتابة الخطاب بهذا الأسلوب - برغم اصراره على انه لم يكن على معرفة سابقة بالمرسل اليه - بانه شاء ان يوهم سلطات السجن ، اذا ما وقع الخطاب فى يدها ، بأن «ستاركى» شخص يؤتمن ، ومن الممكن السماح له بزيارته .. فضلا عن انه كان بحاجة الى بعض السجائر !**

واذ ذاك انبرى مستر « مورتون » مدعما هذا التعليل بأن المتهم انتهز فرصة استلامه خطابا من شخص عرض عليه خدماته - على غير سابق معرفة - فخيل اليه انه اذا أجاب عليه بلهجة توحى بوجود صداقة بينهما ، **فقد يغرى ادارة السجن على ان تسمح لذلك الشخص بزيارته ، فيتاح له ان يرى شخصا من «العالم الخارجى» ، يبدى استعداده لمعونته !**

وقبل ان ينتهى المحامى من حديثه ، قاطعه ممثل الاتهام صائحا : « كلا ، انه لتبرير مكشوف .. فهذا الخطاب يحمل بين سطوره دليلا قاطعا - لا مجال للشك فيه - على انه موجه الى انسان يعرف الكاتب حقيقة شخصيته ! »

ولاريب فى ان هذا الخطاب ساعد المحلفين فى الوصول الى قرار بشأن اصابة « بادولا » بفقدان ذاكرته !

وبعد ذلك تابع مستر « ماكسويل تيرنر » - ممثل الاتهام - استجواب المتهم ، الذى قال ردا على احد اسئلته : « لقد سمعت الأدلة التى قدمت ، ولابد اننى كنت فى ذلك المكان ،

عندما اطلقت الرصاصة ! » . . واجاب عن سؤال آخر بقوله : « نعم . . ادرك تماما ان عقوبة قتل شرطى هى الاعدام » .

الباب يقع على المتهم

• وبدأ مستر « تيرنر » مرافعته عن سلطة الاتهام ، قائلا ان « بادولا » ـ بادعائه فقد ذاكرته ـ انما يقوم بتمثيل دور .. وشهد بذلك الطبيبان « دكتور بريسبى » و «دكتور بى» .. **«ولكن ، لنستمع ـ أولا ـ الى شهادة رجل الشرطة الذى ألقى القبض على ((بادولا)) فى الفندق ..** فقد ظلت ظروف القاء القبض على المتهم تحت رحمة اشاعات ظالمة ، لا أساس لها من الصحة .. لقد نددت بعض الصحف بالشرطة ، وادعت ان المتهم تعرض للضرب والايذاء من رجال الشرطة ، انتقاما لمصرع احد زملائهم ! »

وفند مخبر الشرطة ـ الجاويش « البرت تشامبرز » ـ فى شهادته ، تلك الاشاعات . فوصف كيف تجمع فريق من رجال الشرطة ـ وهم مسلحون بمسدساتهم ـ فى ردهة الفندق ، امام باب غرفة «بادولا» .. وطرقوا الباب غير انهم لم يسمعوا ـ فى بادىء الأمر ـ جوابا . ثم وصل الى سمعهم صوت طقطقة معدنية ، حسبها « تشامبرز » صوت تعبئة خزان مسدس بالرصاص ، **فاندفع نحو الباب واقتحمه بعنف .. وكان ان سقط فوق ((بادولا)) الذى كان ـ فى تلك اللحظة ـ فى طريقه لفتح الباب ..** وسرعان ما أوثقوا يديه وارقدوه فوق الفراش ، وهو فاقد الوعى .. ولما أفاق ، نقل الى مركز شرطة (تشيلسى) .

واستطرد «تشامبرز» قائلا انه كان من حق رجال الشرطة ان يتوقعوا من المتهم مقاومة عنيفة ، وان اقتحامهم الغرفة يعتبر شجاعة ، اذ كانوا معرضين لوابل من الرصاص قد ينطلق

دليهم فى اية لحظة .. **أما الجرح الذى اصاب عين المتهم ، سيحدث برغم ارادتهم ، اذ ان مزلاج الباب ارتطم بوجهه عند** انتشام العربة .. ومن ما حدث قد تسبب فيما تظاهر به المتهم من فقدان الذاكرة ، والأعراض الهستيرية . لا سيما وانه دن فريسة أنقلق ثلاثة ايام باكملها ، فى انتظار الاعتقال ـ الذى لم يكن له منه مفر ـ ثم المحاكمة ، فالعقاب .. اذ انه كان قد علم دون ما شك ـ من النشرات الاذاعية ـ ان الشرطة قد توصلوا الى معرفة شخصيته .. فمن الجائز انه اصيب ـ حقيقة ـ بفقدان الذاكرة فترة ، حتى اذا أفاق الى نفسه . وعلم المصير المحتوم الذى ينتظره ، **وجد فى تصديق بعض الاطباء لادعائه ، مخرجا لينجو من عواقب الجريمة التى ارتكبها !**

وما ان انتهى «تشامبرز» من الادلاء بشهادته ، حتى اعتلى منصة الشهود ، الشرطى الذى كلف بمراقبة « بادولا » أثناء وجوده بالمستشفى .. فشهد بأن المتهم تطوع ـ من تلقاء نفسه ـ بالكشف عن اتقانه لعب الشطرنج والورق ..

وأخيرا .. جاء دور المحلفين !

◆ ثم أدلى الدكتور « فرانسيس بريسبى » ـ طبيب سجن (بريكستون) ـ بشهادته . فقال انه ظل عاجزا ـ لمدة طويلة ـ عن البت فى ادعاء المتهم فقدان ذاكرته ، **الا أنه ما لبث أن تبين أن هذا الادعاء كان يجانب الحقيقة ، وأن المتهم كان يستغل هذه النقطة للافلات من حبل المشنقة** .. وعلل تأكده بأنه أوتى فرصا أكثر مما أوتيها غيره من الأطباء ، لدراسة حالة « بادولا » ..

وكان المحلفون يستمعون الى شهادة الطبيب فى انتباه بالغ ، ولا ريب فى أنهم كانوا مطمئنين الى كلامه ، وصدق حكمه ،

فقد كانت له خبرة طويلة فى معالجة المجرمين ، جعلتـه من المصادر التى يعتد بمعلوماتها .

وأخيرا .. أصبح على المحلفين – بعد أن استمعوا الى مختلف الشهود ، من مدنيين وأطباء – أن يصدروا قرارهم **بما اذا كان ((بادولا)) يدعى فقدان الذاكرة زورا أو ان اصابته حقيقية لا زيف فيها** .. وبدا من مظهر المحلفين ، والنظرات التى كانوا يوجهونها نحو « بادولا » ، انهم كانوا يرجحون كفة شهود ممثل الاتهام ..

وفى نهاية المحاكمة ، قال القاضى للمحلفين : « عليكم أن تقرروا ما اذا كانت علة « بادولا » حقيقية ، وما اذا كان بوسعه أن يواجه المحاكمة .. ان افتراض تمتعه بكامل قواه العقلية ، يحمل فى طياته احتمال آخر ، وهو صلاحيته لأن يحاكم . وقد افسحت الفرصة للمتهم كى يثبت أن ميزان عقلـه قد اختل ، وانه لم يعد يذكر شيئا عن ظروف الجريمة .. »

ووصف القاضى ادعاء ((بادولا)) بأنه ((مذهل)) ، وفريد فى نوعه ، حتى أن اسم ((جنتر بادولا)) قد يصبح علما فى تاريخ القضاء ، فى انجلترا !

وفى الساعة الرابعة بعد ظهر اليوم التاسع للمحاكمة ، انسحب المحلفون الى غرفة جانبية للتداول فى الأمر ، فظلوا ثلاث ساعات ونصف ، قرروا بعدها ان الدفاع لم يقدم ما يثبت أن المتهم فقد ذاكرته حقيقة !

تحليل حال المتهم

ه **والآن** ، يحسن بنا أن نستعيد وقائع الدعوى ، وأن نضع انفسنا مكان المحلفين ، نتساءل : هل كان فقدان ذاكرة « بادولا » مصطنعا ؟ .. **لقد كان فى حكم المستحيل أن يتمكن من خداع عدد من الأطباء المهرة ، وأن يستمر فى التظاهر**

باصابته بتلك الحالة النادرة ، التى تستدعى ـ من مصطنعها ـ أن يكون متمكنا من الطب النفسانى ، بدرجة غير عادية .. فانى له أن يعلم ان الشخص الذى يفقد ذاكرته بهذا الشكل ، يحتفظ ـ برغم نسيانه لكل أحداث حياته الماضية ـ بما اكتسبه من معلومات عامة خلال تلك الحياة ؟ .. كيف عرف ان فى ثنايا تلك الظلمات ـ التى اكتنفت حوادث ذلك الماضى ـ نوافذ للذكرى ؟ .. وما الذى ألهمه أن يختار « نوافذ » معينة بالذات ، مثل الهمس الذى وصل الى سمعه ، والذى نسبه الى المفتش هيسلوب : « اننى صديقك .. قل انك قتلته بطريق الخطأ ! » . وهو أمر لا ريب فى أنه لم يحدث اطلاقا ، وانما اختلق اختلاقا !

ان الحل الصحيح لكل هذه الألغاز هو أن « بادولا » فقد ذاكرته ـ حقيقة ـ لفترة من الزمن . **فان صدمة اعتقاله ، والقلق الذى راوده خلال الأيام السابقة له ، أوحيا الى عقله الباطن ـ فى محاولة لحمايته من الجنون ـ باقصاء تلك الذكرى المريرة عن ذهنه .** ولكن ، ما ان عادت ذاكرته اليه ، وادرك مركزه الحرج ، حتى خطر له أن يسترسل فى تمثيل هذا الدور . ومع ان اثبات صدق علته ما كان لينقذه من الادانة ، الا انه كان من الجائز أن يؤدى الى تخفيف الحكم أو انقاذه من الاعدام . فما كان مجلس العموم ليرضى أن يشنق انسان عقابا لجريمة لا يذكر عنها شيئا !

ثم .. المحاكمة الرئيسية

● على أن هذه المحاكمة التى استغرقت تسعة أيام ونصف ، لم تكن سوى تمهيد للمحاكمة الحقيقية .. **كانت لتقرير ما اذا كان يصلح للمحاكمة أو لا يصلح .. فما كان من الجائز أن يحاكم رجل فقد ذاكرته ، اذا ثبت أنه فقدها فعلا .** اما المحاكمة

الحقيقية - التي وجهت اليه فيها تهمة اغتيال المخبر « بيردي » عمدا مع سبق الاصرار - فقد أعقبت ذلك ، واستغرقت يومين ونصف يوم .

وقد تعرف الشاهد الرئيسي - المخبر الجاويش جون ستاندفورد ، زميل القتيل - على « بادولا » ، وقال انه هو الذى أطلق الرصاص على بيردي . وقد وصف الحادث ، فقال أنه و « بيردي » لحقا بالمتهم فى بهو مسكن باحدي البنايات السكنية ، فألقي « بيردى » القبض عليه ، بينما طرق « ستاندفورد » باب مسكن آخر - فى البناية ذاتها - ليسأل السكان أن يعاونوا زميله فى حراسة المتهم ، ريثما يستدعى هو احدى سيارات الشرطة . **فلما عاد - بعد قليل - شاهد « بادولا » يخرج من جيب معطفه الداخلى مسدسا أسود اللون ، أطلق منه الرصاص على بيردى ، فارداه صريعا** . ثم أطلق ساقيه للريح ، هابطا درجات المنزل فى سرعة جنونية ، فلم يستطع « ستاندفورد » أن يلحق به . وما لبث أن تاه وسط زحام العربات .

المتهم يتكلم .. والمحلفون يقررون !

. **وقد** اثبت ممثل الاتهام أن بصمات الأصابع التى وجدت مطبوعة على سياج النافذة ، تمت الى « بادولا » .. وأن الرصاص الذى استخرج من جثة المجنى عليه ، هو نفس الرصاص الذى أطلق من مسدس عثر عليه فى احدى حقائب المتهم . وهكذا ضاقت الحلقة حول عنقه ، الا انه لم يحاول أن يدافع عن نفسه - أو أن يأتى بتفسير أو تعليل يخفف من وقع جريمته الشنيعة - الا بخطاب قصير وجهه الى هيئة المحكمة ، قال فيه : « اننى أقف اليوم أمامكم ، متهما بقتل رجل .. ولقد استمعت - أثناء هذه المحاكمة - إلى عدد

كبير من الشهود . وانى لأدرك تماما خطورة التهمة التى وجهت الى .. غير اننى عاجز عن تقديم اى دفاع عن نفسى . والسبب فى ذلك هو اننى لا أذكر شيئا عن هذه الجريمة ، ولا الظروف التى أدت الى اطلاق النار .. لست أدرى ما اذا كنت أنا الفاعل ، وهل كان ما حدث عفوا ، وهل كنت فى حالة دفاع شرعى عن النفس .. كما اننى لا أعلم ان كنت أعرف — فى ذلك الوقت — أن الرجل الذى وقف أمامى كان أحد رجال الأمن ، ولا ما اذا كان قد استفزنى وأثارنى بطريقة ما .. **لكل هذه الأسباب ، لا أجد بوسعى أن أقرر ما اذا كنت مذنبا أو بريئا !))**

وقضى المحلفون — فى هذه المرة — نصف ساعة فى مداولتهم ، ثم قرروا ان بادولا ((**مذنب**)) . فأصدر عليه القاضى حكمه بالاعدام شنقا ، لقتله شرطى فى ريعان شبابه ، أثناء قيامه بواجبه .

الزحف الأطول

قصة الصين الحديثة

للأديبة الوجودية الفرنسية :

سيمون دى بوفوار

عرض وتلخيص : الدكتور انور لوقا

عزيزى القارىء :

فى العدد الماضى ، قدمت لك تاريخ التطور الاشتراكى فى الصين ، ملخصا عن كتاب ((**الـزحف الطويل**)) ، الذى ألفته الكاتبة الفرنسية الوجودية ((**سيمون دى بوفوار**)) .

لقد قامت ((سيمون دى بوفوار)) بجولة فى كافة ارجاء الصين ، شاهدت خلالها كل شىء ، واختلطت بالناس ، وتحدثت اليهم ، واصغت لأحاديثهم وآرائهم

واليوم ، اقدم لك — فى الصفحات التالية — قسما آخر من هذا الكتاب الذى يشغل خمسمائة صفحة ، والذى ترجمه الاستاذ محمد كمال فايد الى العربية ، وراجعه الدكتور انور لوقا ، الذى يلخصه لك هنا ..

وهذا القسم الثانى يتناول تطورات الحياة الاجتماعية فى الصين ، ومكانة المرأة فى المجتمع الصينى القديم والمجتمع الحديث ، والتغير الذى أصاب عقلية القوم ..

انه كتاب مشوق ، يستحق كل اهتمام وعناية .. فتعال نقرأه معا :

• **فى** قصة الصين الحديثة فصل شائق ، هو تطور الأسرة . و ((سيمون دى بوفوار)) ، التى توفرت حينا على دراسة قضية المرأة والرجل — لاسيما فى كتابها الشهير ((**الجنس الثانى**)) — تهتم أثناء جولتها فى ربوع الصين اهتماما خاصا بتسجيل وتحليل نظم الأسرة التقليدية هناك ، وما طرأ عليها من تغير . انها تحدثنا عن استبداد الشيوخ ، واستعباد النساء ، ثم عن تحرير المرأة وحقوق الشباب .

((سيمون دى بوفوار))

منذ أصدر الامبراطور الأول ((سونج)) ـ سنة ٩٦٦ ـ مرسوما بمنع انفصال المساكن بين اعضاء الأسرة الواحدة حتى الجيل الرابع ، أصبح الاهل الذين يعيشون تحت سقف واحد ، خاضعين لسلطة أكبر الرجال سنا . **وكان للأب حق الحياة والموت على اولاده ، وكثيرا ما كان يعمد الى قتل بناته عند ولادتهن ، اذ كن يعتبرن افواها لا جدوى من اطعامها .. وكان له أن يبيعهن اماء**. وكان على الابن ان يطيع اباه ، وعلى الاخ الأصغر ان يطيع الأخ الأكبر ، وعلى المرأة ان تطيع الرجال جميعا.

وكان الزواج ـ الذى يرتبه أحد الوسطاء ـ يفرض على الشبان والشابات ، فيتزوجون دون تعارف سابق ، ويخضع الزوجان لسلطة أهل الشاب .. **وفى ظل هذا النظام الخانق ، لجأت كثير من الزوجات الصينيات الى الانتحار فرارا من حياتهن، وحذا حذوهن كثير من الأزواج الفتيان !..**
وبلغ من استحكام الكراهية بين الزوج وزوجته أن كان نصف المجرمين الذين أعدموا بين مايو وسبتمبر سنة ١٩٢٥ ـ بناء على احصاء وزارة العدل ـ من الذين عوقبوا لقتل أزواجهم !

وردد الادب الصينى ـ منذ قرون ـ أصداء هذا الشقاء ، وبات يرثى لضحايا النظام العائلى . ومعظم ((الأوبرات))

الصينية تصور عشاقا قد دفعهم الى اليأس طغيان السلف عليهم .

عندما كانت المرأة مستعبدة

• **واذا** كانت الأسرة التقليدية تنكر على جميع أفرادها الحرية والحب والسعادة الزوجية ، فان النساء كن أول ضحاياها . فقد كان على المرأة - طول حياتها - واجب « الطاعات الثلاث » التي نصت عليها شريعة الـ « لي كي » : **« تتبع المرأة الرجل دائما . ففي طفولتها تتبع أباها وأخاها الأكبر ، وبعد الزواج تتبع زوجها ، وبعد موت زوجها تتبع ابنهـا »** !

وقد أتاحت ظروف استثنائية لبعض نساء الطبقة العليا ولبعض الخليلات البارعات شيئا من الاستقلال .. ولكنها حالات منعزلة ، لا تعدو أهميتها بطولات النوادر والأقاصيص.

وتعلل « سيمون دى بوفوار » هذا الاجحاف الاجتماعى تعليلا اقتصاديا . فتلك بيئة زراعية مكتظة بالسكان ، تبخس قدر الأيدى العاملة نظرا لوفرتها . وترتفع فيها قيمة أدنى حبة من الذرة البيضاء التى يقتات بها البشر . ولقد ضمن **الرجال لأنفسهم امتيازا حيويا اذ احتكروا حق الانتاج - أى العمل فى الحقول - وفرضوا على النساء الانزواء فى البيوت ..**
فكانت المرأة - بوصفها خادما وانثى - تمثل قيمة تجارية معينة ، ولكنها قيمة أقل بكثير مما تخفيه على أصبى استعدادانه الانتاجية . فكان من الطبيعى أن يحسب رب الأسرة الجائع ، المرهق بالأولاد ، أن كل بنت يرزق بها انما هى عبء عديم النفع . **وهكذا أغرق ملايين الأطفال من الاناث ، أو قدموا طعاما سائغا للخنازير !** ولا أدل على تغلغل هذه العادة فى أخلاق الناس ، من اهتمام « قانون الزواج » الجديد بالنص على أن قتل الطفل جريمة ..

وهنـا تستشهد المؤلفة بفقـرة من كتاب « العوالم التى عرفتها » للأديبة بيرل بك : « ذات يوم ، فى حلقة من الصديقات لم نكن مقصورة على فلاحات فقيرات ، جرى الحديث عن عادة قتل المواليد من الاناث . وكان معى احـدى عشرة سـيدة ، اعترفن جميعا ـ ماعدا اثنتين فقط ـ بأن كلا منهن قد وأدت بنتـا على الأقـل .. وكن ما زلن يبكين وهن يتحـدثن .. ومعظمهن لم يكن مسئولات عن ذلك ؛ وانمـا كان الزوج ـ أو الحماة ـ يصـدر أمرا للقابلة بقتل الوليدة ، عنـدما يرى أن الأسرة تضم من البنات أكثر مما ينبغى » !

مصير أشنع من الوأد

• **أما** من يمتد بهن الأجل ، فكان القـوم يحاولون التخلص منهن بأسرع ما يستطيعون . **ودرجت الأسر الفقيرة على بيع بناتها صبيات . فكن يتخذن خادمات بمجرد أن يصبح ذلك ممكنا من الناحيـة الجسمية .. وتفشى أمر استغلالهن فى المواخير** . ولم يكن بيع الفتيات يلقى أى اعتراض من رجـال العدالة برغم مخالفته لقانون ! .. وكانت معاملة الاماء تختلف من أسرة الى اخرى ، فهى رهن بمزاج السادة واخلاقهم .. كن يخضعن أولا لاشراف الزوجـة ، ويخضعن أخيرا لسـلطة عاهل الأسرة الاقتصادى الذى يملك التصرف فى مصيرهن : يزوجهن اذ يشاء . او يبيعهن بدوره اذا استغنى عن خدماتهن !

ولم يكن الزواج ـ فى معظم الأحيان ـ خيرا للفتاة من حياة الجوارى . ولقد ابتليت بنـات الصين بتقليد جائر : فكثيرا ما كانت تباع الصبية لأسرة الفتى الذى سيتزوجها . وهذا العرف المسمى « تبنى الكنة طفلة » مرده الى سببين :

١ ـ **اقتصاديا** : تقل نفقات الصبية عن نفقات الفتـاة ، ويمكن أن تبسط حفـلات الزواج ، بل تلغى .. كما تحصل العائلة على مزيد من الأيدى العاملة .

٢ ـ **اجتماعيا :** تنشأ الصبية وفق عادات اصهارها. وقد تتبادل الأطفال أحيانا عائلتان لديهما بنون وبنات .

وتلك عادة وبيلة ، لم تسفر قط عن نتائج حسنة . فالعروسان فى ذلك الجو لا يتبادلان الحب ، وانما يتشاجران ويتضاربان ويتعلمان الحقد والقسوة . ومعاملة الحماة لربيبتها تؤدى دائما الى افساد العلاقات بينها وبين سائر أهل قرية الصبية . وفى ذلك النهج أيضا تشجيع على زواج الأحداث قبل نضجهم بدنيا ، وهو زواج هدام .. ولكن المجتمع الصينى وجد فى تلك الوسيلة مخرجا من وأد البنات !

حرية المرأة .. باب مسدود !

• **وما كانت** نجاة الطفلة من هلاك الوأد ، لتعود عليها بخير يذكر . اذ كانت حماتها تضطهدها ، وقد تقتلها من شدة الضرب . **ذلك لأن هذه الحماة تكون قد عانت ـ فى شبابها ـ تعذيب زوجها وحمويها ، فباتت تلتمس تعويضا عن آلامها فى العذاب الذى تسومه اياها ربيبتها.** وتتصل ـ من جيل الى جيل ـ سلسلة الأحقاد النسائية التقليدية ، لتبوء بها كل امرأة مقبلة !

ولم تكن الحماة وحدها هى التى تتقمص الجور العائلى فى صورته اليومية ، بل كانت الزوجة تتعرض أيضا لطغيان حميها. أما الزوج ـ وهو يكره هذه الزوجة التى لم يخترها ـ فكثيرا ما كان يضربها ، سواء بمحض رغبته أو بايعاز من أمه . وكان له الحق ـ اذا توفرت له السبل ـ فى أن يسرى عن نفسه كروب الزواج القهرى بمعاشرة السرايا . على أنه كان يستطيع أن يقتل زوجته اذا زنت . وكان له ـ على كل حال ـ أن يطردها متى شاء . **وفى ظروف معينة ، كان للزوجة ـ نظريا ـ حق طلب الطلاق ، الا أن أسرتها كانت**

ترفض أن تستردها لتعولهـا ! وكان الزوج ــ فى بعض الحالات ــ يبيع زوجته الى رجل غنى يرغب فى التسرى أو فى انجاب ولد ..

ولم يكن فى الترمل خلاص المرأة . فهى تظل ملكا لحمويها ، يتعذر عليها أن تفلت منهما بزواج جديد . وفى سنة ١٣٨٦ ، أصدر « تاى تسو » مرسوما نصه : « تعفى الأسرة من الخدمة العامة ، ويكرم البيت ، اذا لزمت الأرملة دون الثلاثين ترملها حتى سن الخمسين » .. **(والمعروف أن المرأة الصينية اذا جاوزت الخمسين لا تجد فرصة سانحة للزواج)** . ومنذ ذلك الحين ، اشتد الضغط على الأرامل لمنعهن من الزواج مرة اخرى. وكان مفتش خاص يكتب عن آدابهن التقارير !.. ولقد شيدت فى الصين ــ حتى قيام الجمهورية ــ عدة هياكل تكريما لأولئك الأرامل اللاتى امتزن بالطهارة فى حالات تثير الاعجاب . **اما اذا اجترأت أرملة على خرق تلك السنة الحرام ، فان رجال عشيرتها كانوا يجدون فى قتلها ما يشرفهم !**

وهكذا كانت المرأة اذا دخلت الأسرة بوصفها زوجة ، لا تستطيع أن تفارقها الا عندما تفارق الحياة . وذلك هو الحل الذى اضطرت اليه كثير من الصينيات حتى أيامنا هذه ، فقد كن يغرقن أنفسهن فى الغدير المجاور أو يشنقن أنفسهن .

واما السرايا ، فكان وضعهن رهنا بهوى من اتخذهن . واذا قدر لهن أن يلدن البنين ، وجدن عنده الحظوة ويتفوقن فى المنزلة على الزوجة الشرعية. غير أن الزوجة الشرعية كانت ــ بوجه عام ــ ارفع منهن قدرا . وكان الرجل أن يسرحهن دون اى قيد أو ضمان .

وما كانت المرأة تثوب الى شىء من الأمن الا عندما تتقدم بها السن . اذ ذاك يدين لها أولادها بالاحترام الذى يكنه

الصينيون لجميع الشيوخ . وكان هذا هو العزاء الذى توعد به العروس الصغيرة لكى تصبر على بلواها : « لسوف تصبحين ذات يوم حماة بدورك » !

قصة الأقدام المعصوبة

• وعصب اقدام النساء عادة غريبة ، نشأت فى القرن الثامن . فقد كان اهل الصين يعجبون – أيام أسرة « تانج » – بالاقدام الصغيرة والأحذيه المقوسه التى تزدهى بها بعض الراقصات والغوانى . **وتخيل حاكم (نان تانج) – الذى كان فنانا يحب الشعر – ان من الابداع ان يصغر صناعيا حجم أقدام النساء ، فاصبح ذلك من آيات الفتنة الصينية ! ..** وأطنب الشعراء فى الثناء على تلك الأقدام المصغرة . وشبهوها بـ « الزنابق الذهبية » ، كما تغنوا بسحر « أحذية الليل » التى تضمها !

وقد كتب الأديب « فانج هيفان » كتابا بأكمله عن فن عصب الأقدام . وفى رأيه ان عدد الأقدام المتقنة العصب – فى المدينة كبيرة – لا يكاد يبلغ العشرة . وهو يصنف هذه الأقدام ويقسمها الى خمس فئات ، وثمانية عشر نمطا مختلفا . **ويقول ان القدم الحسنة العصب يجب أن تكون سمينة وطرية وانيقة ، تختفى عضلاتها ، وتهيم فى جمالها عيون الروح .. !**

وظهر فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، بضعة كتاب ثاروا ضد هذا التشويه. ولكنه لم يمنع الا منذ سنة ١٩١١ . وليس من المستبعد ان تلتقى اليوم فى (بكين) – بين الطاعنات فى السن – بنساء ضامرات الأقدام .. والعجيب أن هذه العادة ليست من قبيل التفنن فى وسائل الاغراء الجنسى الذى تختص به الطبقات المترفة ، فقد شاعت بين نساء جميع

الطبقات ، لاسيما فى الشمال . **ذلك أنها كانت تخلع طابع الفضاء والقدر على المصير الذى قرره الرجال للنساء ، الا وهو الحبس !** .. فالفلاحة التى تضمر قدماها لن تصلح للقيام بأعمال الحقل ، ولابد لها من الانزواء فى البيت . أما فى الجنوب ، حيث كانت المرأة تشترك فى زراعة الأرض ، فان هذه البدعة لم تعم .

والصينيون اليوم يستنكرون تلك الوصمة ، الى حد أنهم يحرمون اظهار النساء معصوبات الأقدام على خشبة المسرح !

نحو تحرير المرأة

● **ومنذ** قرن تقريبا ، بدأت الطبقة الوسطى محاولات متواضعة ترمى الى تحرير المرأة . ففى سنة ١٨٦٠ ، افتتح المبشرون أول مدارس نسوية لتعليم الابتدائى . وفى سنة ١٩٠٣ ، افتتحت أول مدرسة للمعلمات . واتسعت الحركة مع « نهضة » سنة ١٩١٧ : فان الطبقة التى تطالب بدستور ديمقراطى ، وباقتباس نظم المجتمعات الغربية ، وباحترام انسانية الفرد وحقوقه . لتأبى أن تظل المرأة فى مرتبة حيوان أليف . وراح « يوتشنج لى » يقول : **« حطوا من قدر المرأة ، ينحط قدر الرجل ! »**

تلك كانت نزعات « البورجوازية » . أرادت أن ترتفع اقتصاديا وثقافيا ، فقررت أن تمنح المرأة الصينية مثل حرية الغربيات . وظهرت سنة ١٩١٧ مجلة نسائية ، تبعتها مجلات أخرى . وبعد عامين ، دخلت بنات الصين أول مدرسة ثانوية لهن ، كما دخلت بعض النساء جامعة (بكين) . **غير أن معظم البورجوازيات مضين يستعملن حريتهن فى أمور تافهة** .. فكن يموجن شعورهن ، ويستبدلن بالأربطة التى

كانت تعصب أقدامهن احذية عالية الكعب ، ويخرجن ، ويرقصن ، ويتذوقن متع الاختلاط الجنسي .. ولم تنتهز الا قلة منهن امكانيات الدراسة والعمل التي تفتحت أمامهن .

والغت البورجوازية القانون الاقطاعي القديم . واصدر « الكومنتانج » ـ سنة ١٩٣١ ـ « قانون الأسرة » . ولعل أعظم ما استحدثته مواده هو النص على توريث المرأة ، ومنع الآباء والوسطاء من فرض الزواج على الشباب بالاكراه ، وعقد الخطبة فى سن لاتقل عن الخامسة عشرة ، وحق المرأة فى طلب الطلاق لخيانة الزوج او سوء معاملته .

ومع ذلك ، سادت التقاليد القديمة : ظلت الأسرة تحمل اسم الجد ، وتخضع للشيوخ ، وتطغى فيها سلطة الأب على سلطة الأم . وانحصر تطبيق القانون ـ من الناحية العملية ـ فى مجال ضيق . **فلقد كان الغرض من كل تشريعات « تشانج كاى شك » التستر وراء مظاهر الاصلاح العصرى على واقع من البناء القديم** . وتستشهد « سيمون دى بوفوار » على هذا بكتاب « أولجا لانج » عن « الحياة فى الصين » ، وفيه ذكر لزوجات وأرامل من اهل شنغهاى وبكين ، كان يبيعهن أزواجهن أو أسراتهن ـ سنة ١٩٣٦ ـ نظير بضع مئات من الدولارات !

وكانت الصحف وتقارير المستشفيات تفيض كل يوم بقصص تعذيب النساء او انتحارهن . وفى نفس العام ، لاحظ «جان اسكارا» ـ الذى توفر على دراسة القانون الصينى ـ أن « الغالبية العظمى من الفلاحين تجهل قوانين الاسرة هذه ، وسوف تظل تجهلها » .

قانون الزواج لسنة ١٩٥٠

• **واصدرت** حكومة الصين الشعبية « قانون الزواج » الجديد سنة ١٩٥٠ . وهو يؤكد حرية الفرد فى داخل الأسرة ، والمساواة بين الجنسين ، ويلغى زواج الأحداث ، ويحرم تبنى زوجة الابن فى سن مبكرة ، **ويقتضى موافقة الزوجين على عقد قرانهما وتسجيله ، كما يحرم وأد الأطفال ، ويمنح الأرامل حق الزواج مرة أخرى ، ويعطى المرأة مثل الرجل حق طلب الطلاق** ، ولا يعترف للأب على الأم بأية أولوية ، ولا يقر لاسم الرجل أو اسرته اى امتياز بالنسبة لاسم الزوجة وأسرتها ، ويعهد بالطفل فى حالة الطلاق للام لا للأب .

وللقانون هدف واضح ، هو قلب بناء المجتمع الريفى طبقا لمقتضيات الاقتصاد الجديد . وقد جاء فى ديباجته : « ليس النساء هن اللاتى يفدن من هذا القانون فحسب ، بل المجتمع بأكمله » . ولبلوغ هذا الهدف . أنشىء — سنة ١٩٤٩ — « الاتحاد النسائى » الذى استوعب كل المنظمات النسوية الأخرى ، وتألفت « جمعية نسوية » فى كل مدينة وكل قرية ، وتعاونت فى هذا السعى سلطات الحكومة ، ودور العدالة ، والنقابات ، ومنظمات الشباب. وقام الأدب والمسرح بالدعاية « للزواج الحر » وتحرير المرأة .

الزواج بلا وسطاء مشكلة

• **وما زالت** تعقد فى مختلف بلاد العالم زيجات مدبرة ، بعضها صفقات تجارية خالصة . ولكن الأمر فى الصين أمر تقاليد خطيرة ، درج عليها منذ آلاف السنين خمسمائة مليون من الفلاحين . **وهؤلاء قد تقبلوا الاصلاح الزراعى بالسرور ، غير انهم نفروا من الغاء الأسر الاقطاعية . واصطدم أعضاء الجمعيات النسوية والموظفون بمقاومات عنيفة .**

ولا شك فى ان الذى أفسد هذا الاصلاح هو التعجل . فقد بدىء بالغاء عدد من الزيجات التى تمت تحت ضغط الأهل . وبلغ عدد حالات الطلاق ـ فى النصف الأول من سنة ١٩٥٢ ـ ٣٩٦ الف حالة ، مما جعل أهل الريف يطلقون على « قانون الزواج » هذا اسم « قانون الطلاق » . وكان هناك بعض ما يبرر هذا التسرع ، لا سيما من حيث ضرورة تحرير « الكنائن (أى زوجات الأبناء) الصبيات » فورا . ومع ذلك فقد اشتط الموظفون فى التنفيذ ، وتزمتوا فى تأويل مواد « التسرى » مثلا ، **فألزموا الرجال بطرد سراياهم . واذ وجدت هؤلاء أنفسهن بلا مأوى ولا مورد ، لجأت كثيرات منهن الى الانتحار ، مما أثار سخط الفلاحين وأدى الى اغتيال بعض الموظفين ..**

وهنا اشتدت الحكومة فى لوم الذين أساءوا التدبير ، ونبهت الى مبدأ « عدم الاكراه » ، وشرحت للموظفين أنه لابد من اللباقة والصبر والوقت لاكتساب نفوس الفلاحين . وذكرهم « ليوكنج فان » ـ رئيس لجنة تطبيق القانون سنة ١٩٥٣ ـ « بأن الاقطاع ، وان كان قد استؤصل من الحياة السياسية والاقتصادية ، لا يزال باقيا فى الأخلاق » .

ولا تزال حرية الزواج معنى نظريا ، لم يتجسم بعد بشكل محسوس . اذ أن أوضاع الحياة الريفية لاتيسرها .. ففيما مضى ، كانت الوسيطة تدبر الزواج بين شباب القرى المختلفة بأجر معلوم ، وقد ألغيت هذه العادة رسميا الآن ، ولكن قلما تسنح لفتيات الريف وفتيانه فرص اللقاء .. **لذلك فكثيرا ما تؤدى دور الوسيط الاتحادات النسائية أو أعضاء الحزب أو الشبيبة الشيوعية ، حيث يجتمع القوم ويعملون معا ويتعارفون .** ولكن فى المدينة أيضا ما برح الشبان متهيبين ، تشلهم تقاليد السلبية والحياء التى ألقيت فى أذهانهم دهرا

طويلا . والفتاة أشد تحفظا من الفتى . لا تتزوج عادة من تفضله ، وانما تتزوج الذى يجرؤ اولا على أن يتكلم وأن يطلب يدها ..

الاستقلال الاقتصادى للمرأة

• من الثابت أن الاستقلال الاقتصادى والحرية متلازمان . ولقد كان من الأسباب التى دعت الى جملة التحرير ، الرغبة فى الافادة من القوة العاملة النسائية . فلن تفيد القروية من تسلم نصيبها من الأرض ، ما دامت محصورة فى دائرة الأعمال المنزلية . واذا ساهمت فى أعمال الحقل داخل المجموعة العائلية ، ظلت مساهمتها الاقتصادية غير مؤكدة ، ولم يتح لشخصيتها أن تظهر . **وعلى عكس ذلك ، لن يكون لأحد أن يشعر بسلطان على المرأة منذ اللحظة التى تدفع فيها الجمعية التعاونية مرتباخاصا لها ، وعندئذيتحقق استقلالها الذاتى . ومن ثم فسيتم تحرير الفلاحة الصينية عن طريق التوسع فى الجمعيات التعاونية .**

وفى المدن ، ما زالت معظم النساء ربات بيوت ولكنهن — فى كثير من النواحى — قد نظمن شؤونهن . فألف فريق منهن — منذ سنة ١٩٥٠ — فرقا لتبادل المعونة ، اشتركت فيها زوجات العمال . وهن — فى أثناء النهار — يضعن أطفالهن فى دور الحضانة . وفى حالة المرض أو الارهاق تساعدهن « مندوبات المعونة » فى أعمال المطبخ والبيت والعناية بالأطفال . انهن يتلقين دراسات مسائية ثلاثة أيام أسبوعيا ، فيطالعن الصحف ، ويستمعن الى الراديو ، ويتلقين تعليمات تتناول التدبير المنزلى وثقافة سياسية .

أما العاملات ، فتساوى أجورهن أجور العمال . وتستقبل دور الحضانة أطفالهن . ولهن عطلات فى مناسبات الحمل

واوضع ، ويتقاضين معاشا منذ سن الخامسة والأربعين . **غير أنهن مازلن قليلات العدد** . ففى صناعات النسيج يبلغ النساء ٦٠ فى المائة من مجموع العمال . وفى شنغهاى يبلغ النساء ٧ فى المائة من عدد العاملين فى الصناعات الميكانيكية . وأما فى المهن الحرة – كما ورد فى تقرير سنة ١٩٥٥ – فان نسبة النساء تبلغ ١٧ فى المائة فى الجامعات والمدارس ، و ١٢ فى المائة بين رؤساء المحاكم ، و ١٦ فى المائة بين مستخدمى المصارف .

وفى الحياة النسوية – كما فى عدة ميادين أخرى – يصادف الانسان فى الصين أشد الناس تخلفا ، الى جانب اكثرهم تقدما ! .. **فهناك الفلاحات اللواتى ما زلن يرزحن تحت أعباء التقاليد ، ومع ذلك فهناك من يقمن بقيادة القاطرات ، بل هناك الوزيرات !** .. وأتم الفئات تحررا من العقلية القديمة هى فئة الطالبات ، فهن يشعرن بنفس المسئوليات التى يشعر بها الرجال .

شباب لايعرف الغزل !

• **على أن** شباب اليوم فى الصين – وقد خلصوا من ربقة المعانى الاقطاعية – يجدون أنفسهم وقد اجتازوا مرحلة ، دون أن يتوقفوا ليستوعبوا طفرتهم . فهنا الرجال والنساء لا تفصل بينهم الأساطير ، ولا يتصورون علاقاتهم على نحو مباراة يظهر فيها كل فريق قوته .

ثم انهم لا يولون هذه العلاقات أهمية كبيرة . وتسجل « سيمون دى بوفوار » ما قالته لها السيدة « لوتا كانج » – الأستاذة فى جامعة بكين – **من أن الغزل لا وجود له بين الطلبة والطالبات ، وأنهم جادون ولعلهم مسرفون فى الجد !** **..حتى ان كثيرا من الزيجات يتقرر امرها فى الجامعة ، دون**

أن يسبقها أى **أضطراب عاطفى** . فان العمل هو الغاية المقصوده دائما . وحينما يصح عزم طالب وطالبة على الزواج ، يخطران الادارة التي تدون اقترانهما ، وتحاول ان تقدم اليهما وظيفة مزدوجة عند تخرجهما .

وتضمن الدولة العمل لكل حاصل على اجازة دراسية ، غير ان لها أن ترسله الى حيث تريد . **واذا لم تتيسر تلبية جميع الرغبات ، فقد يفترق الزوجان عاما أو عامين — لا أكثر — لأن الدولة تحترم الاسرة فى شكلها الحديث . ومع ذلك فالزواج يأتى فى المرتبة التالية لخدمة البلاد** . وهو يقوم على مبدأ التقدير قبل ان يقوم على العواطف . وكلما سئل الشباب فى مكتب التسجيل لماذا اختار كل منهم الآخر ، تكرر هذا الجواب التقليدى : « لأنه مجتهد » ، و « لأنها مجتهدة » !

هل الحب عاطفة « تقدمية » ؟

• **ليس** للحب — اذن — شأن كبير فى حياة الشباب الصينى . غير أن هذه الصرامة من رواسب الماضى . فلقد ظل الفراش — زمنا طويلا — لونا من ألوان العبودية بالنسبة للمرأة الصينية فأبغضته بغضا جعل همها الأول هو أن تفلت **من ذله . وليس تحمسها للاشتراكية هو الذى يمنعها من التفكير فى الرجل ، وانما هى تتحمس لها كنظام اجتماعى يخلصها من الرجل** ! .. واذا اقترن الحب فى نظرة نساء الغرب بقيمة ايجابية ، فهو لدى الصينيات — من أعلى طبقات المجتمع الى أسفلها — يقترن بعامل سلبى .

وقد ادهش « سيمون دى بوفوار » أن تسمع من سيدة صينية مثقفة ، وهما تشاهدان معا احدى مسرحيات « الأوبرا » ، هذا التعليق على منظر اغتصاب تحاول فيه

البطلة الشابة أن تذود عن نفسها عبث امبراطور ماجن : ((ذلك هو السبب فى اقبال النساء الصينيات على الثورة .. **لقد أردن أن يظفرن بحق الاضراب عن الحب)) !**

وليس ما يشاع عن ((برود)) المرأة الصينية نقصا بدنيا فيها ، وانما هو رد فعل معقد ، يعبر — بلا ريب — عن فزعها من انتهاك حرمتها التقليدى .. ولابد لها — اذن — من التخلص تماما من وطأة الماضى ، قبل ان تستطيع أن تتخذ موقفا ايجابيا تبتهج فيه لا بالفرار من الحب ، بل بأنها حرة فى أن تحب كما تشاء .

والحكومة لا تحرم الحب بوصفه مظهرا من مظاهر الفردية . فالفردية موضع التشجيع ما دام أولو الأمر يسعون الى تحرير الأشخاص من المجموعات التى كانوا أسرى فى كتلتها الجامدة . **وهذا يؤدى الى اعتبار الحب عاطفة تقدمية . فالعشاق انما يطردون بسلوكهم أوضاع الماضى العقيمة ويثبتون استقلالهم . وكل من يفلح فى ذلك يتميز بالرقى .**

ان العلاقة بين الحب ، والرغبة فى خدمة البلاد ، وميل الانسان الى استكمال شخصيته ، علاقة تتخذ عند كل امرأة صينية شكلا فريدا !

اطفال الصين بين الامس واليوم

• وتحرير المرأة جزء من اصلاح الأسرة اصلاحا شاملا يتناول كل أفرادها ، وخاصة الأطفال .. ولقد عرف دائما عن الصينيين حبهم لبنيهم ، ولكن الفاقة كانت تدفع بهم — فى كثير من الأحيان — الى قتل الأطفال عند ولادتهم ، أو بيعهم ، أو استغلالهم . وبرغم القانون الذى أصدره ((الكومنتانج)) لمنع تأجير الصبيات كخادمات ، أو بيعهن

كرقيق ، فان احصاء سنة ١٩٣٧ اشـار الى وجود مليونين من أصبيات الرقيق ، فيما عدا « انصبيات الكنائن » .

وكان المناظر فى الريف وفى المدن ، يرى بنات فى سن الثامنة ، يرزحن تحت أثقال الاعمال المرهقة . وانتشر فى مناجم الفحم استخدام الغلمان منذ سن العاشرة . ويصفهم شاهد عيان فيقول : « كان عليهم تصعيد الفحم فى ممرات طويلة ملتوية ، لا تبلغ من الاتسـاع الا ما يمكنهم من الزحف فيها . **ولعدم اغتسالهم ابدا ، باتت اجسـادهم مكسوة بطبقة من العـرق والغبار . وكانت اسـنانهم صفـراء متقلقلة ، فى لثة حمراء دامية ، وكانت قلوبهم متضخمة !** .. وكانت تتخلل ظهورهم ـ فى المكان الذى ترتكز عليه قصبـة القاب التى تتـدلى فى طرفيها احمال الفحم ـ آثار عريضة من الجلد التالف . وكانوا يشيخون قبل أن يتجاوزوا سن العشرين » !

وفى الطبقات الاجتماعية ـ التى كانت لا تعانى كل هـذا الحرمان ـ لم تكن حياة الأطفال بالتى ترفرف عليها السعادة . كانت نسبة الوفيات كبيرة ، اذ تتم عمليات الوضع فى ظروف صحية سيئة . وهـذا ما عولج أخيرا بتوفير الصيدليات والمستشفيات والرقابة الطبية .

ولقد تغيرت طرق التعليم أيضا . ففى البيت والمدرسـة كان الصبية يضربون بقسوة ، ويشبون على الطاعة العمياء ، وعلى احتـرام الكبار احتـراما غير مشروط ، مما يفقـدهم طبيعتهم التلقائية .. وكل هذا يناقض ما رأته «سيمون دى بوفوار » يوم زارت احدى دور الحضانة ، فهى تقول :

« كان الأطفال يتلألأون صحة وبهجـة وهم فى حللهم ذات الأزهار . **ولكن الشيء الذى يثير الدهشة حقا ، هو تلك الثقة المتدفقـة التى يبدونـها نحو الكبـار ، وجـرأتهم ، وجهلهم بالنواهى** . ولا يحـدث فى أى بلد أن يتجاسر الأطفال ـ بين

الثالثة والسابعة ـ على أن يرتموا هكـذا فى أحضان الغرباء ويتعلقوا بهم ضاحكين مشرثرين. وفى ذلك اليوم ، كان على اظافرى طـلاء احمر ، فأخذ جميع الأطفال يمسـكون يدى ، ويعرضونها ـ فى عجب ـ على المشرفات عليهم . **وقد حاولت أكثر من صبية أن تـرفع طرف ثوبى ، لتـرى أن كنت ألبس شيئا غريبا آخر ، فكانت المعلمات يوقفنهن ضاحكات ، وكان هؤلاء النسـاء الشـابات ـ بقوامهن النحيـل وجـدائلهن ووجوههن البريئة ـ أطفال كبار عقلاء !** .. وكان من الواضح أن الصبيات اللاتى تضمهن دار الحضانة ، لا يشـعرن حيال أولئك المعلمات بالفـرق بين جيلين . وكثيرا ما شاهدتهن فى الحدائق ، يتريضن أو يراقبن قطيعهن : لقـد كن باسمات ، رقيقات الاصوات لا يتحدثن قط بلهجة آمرة . وقـد قلن لى ان العقاب البدنى ليس محرما فحسب ، بل ان فكرة العقاب قد انعدمت . فالمذنب يؤنب وتشرح له أخطاؤه . وفى الحالات المتعسرة يستشار الطبيب . والنتيجة هى ان يشب الأطفال دون أن يعرفوا الخوف أو الاكراه » .

وهذه المبـادىء تطبـق الآن فى جميع المـدارس ، وتلقن لأولياء امور التلاميذ . ولقد تحررت الام من سطوة الشيوخ فاستعادت صلتها المباشرة بأبنائها .

انصاف الخلف من السلف

• **ولم** يعـد للسـلف أفضلية على الخلف ، فقـد انقضى العهد الذى كان الشباب فيه يرمى بالنقص .. وتمد الصين الأحداث بأدب غزير : روايات بسـيطة تتخيل المستقبل ، وحـكايات فى صور ، وترجمات من أقاصيص « بوشـكين » و « مارك توين » و « أندرسن » . ولكن الأطفال الذين يعرفون

القراءة اليوم قد كثروا (نحو ١٢٠ مليونا) بحيث غدا كل ذلك لا يكفيهم ..

وصفوة الأحداث تجمعهم منظمة الرواد بين التاسعة والرابعة عشرة ، ثم « رابطة الشبيبة الديمقراطية » بين الرابعة عشرة والخامسة والعشرين .

ويتهم خصوم العهد الحاضر الدولة بأنها تستأثر — على هذا النحو — بالأبناء وتهدم الأسرة . **والحق ان المشرفين لا يدفعون الأحداث دفعا الى الاشتراك فى منظمة الرواد ، بل انهم يرفضون أن يسبغوا عليهم هذا الشرف ما لم يكونوا تلاميذ مثاليين يتعهدون بأداء أعمال معينة واتباع سلوك ممتاز !..** ولا تهدف منظمات التعليم والدعاية الى صرف الأبناء عن عائلاتهم ، فان الاسرة ما زالت حجر الزاوية فى المجتمع . وفى معظم دور الحضانة — وان كانت بعد قليلة العدد — لا يستبقى الصينيون الأطفال الا أثناء النهار .

وأما الرواد ، فمن أول الواجبات التى يتعهدون بأدائها ، أن يساعدوا ذويهم فى أعمال البيت وفى قضاء الحاجات ، وتنظيف واعداد المائدة .. وهم يقيمون الحفلات ويقومون بالرحلات ، ولكنهم يقضون معظم أيام الآحاد فى أحضان عائلاتهم . وما برح الشعور بالرابطة العائلية عميقا فى الصين .

توازن المجتمع : اقتصاد وانسانية

الآن وقد تلاشت الأوبئة ، والجمت كوارث الطبيعة ، يولد الأطفال فى الصين فيواصل معظمهم الحياة : يولد كل عام ٣٧ شخصا لكل ألف نسمة ، ولا يموت منهم سوى ١٧ . **وهكذا يزيد السكان كل سنة بمقدار عشرة ملايين ، وتبلغ الزيادة فى مدى اربع سنوات فقط ما يعادل تعداد ايطاليا او فرنسا !..** ولكن اذا تمادى الشعب فى التكاثر ، فماذا

يحدث ؟ .. لقد اجتلت « سيمون دى بوفوار » موقف حكومة الصين من الرقابة على النسل ، وانتهت الى المعلومات التالية :

لابد من تنظيم النسل حرصا على مصلحة الفرد ومصلحة المجموع . وليس المقصود تحديداً « مالتسيا » يتعارض مع الروح الماركسية ، بل المقصود هو « التخطيط » : **أى أن يتمكن الزوجان من الانتظار عامين أو ثلاثة قبل انجاب طفلهما الأول ، وأن تتمكن الأمهات اللواتى أثقل الأطفال كواهلهن من الاستراحة فترة ، وأن يكون فى مقدور كل بيت موازنة ميزانيته .**

وفى سبيل ذلك ، يمنح حق الاجهاض ابتداء من الطفل الخامس . وفى جميع مستشفيات الولادة يعلمون كل زوجة شابة – أثناء علاجها – كيف تستعمل وسائل منع الحمل .

ولا تكتم سيمون دى بوفوار اعجابها بتجربة الصين الجديدة ، حيث تزدوج النفعية الاقتصادية فى الحل بدواعى الانسانية ، وحيث يؤثر التكوين السفلى للمجتمع فى تكوينه العلوى كما يتأثر به . **فالعامل الاجتماعى جانب اقتصادى بلا شك ، غير أن القوة الانتاجية تتوقف على العامل الانسانى . وهكذا يقتضى السير نحو الاشتراكية اطلاق الفرد وتأكيد استقلاله .**

لقد أصبح الزواج فى الصين حرا ، وأصبحت الأمومة حرة ، وأصبح للحب قيمة « تقدمية » . ولا تتعارض النزعات الشخصية والواجبات نحو الوطن ، بل انها لتتفق : فمن أجل تحقيق الخير للجميع ، ينبغى أن يرغب كل فرد فى خيره الخاص . كما أن طريق العيش الجماعى هو أيضا الذى يصل بالمرأة الى الكرامة الانسانية ، ويفضى بالشباب الى

الحرية . وما اروع أن تكون السعادة هى الأساس الذى تقوم عليه الوطنية !

الوحدة .. والأقليات

• **يبلغ** عدد سكان الصين ستمائة مليون نسمة ، معظمهم من جنس « هان » ، الا أن خمسة وثلاثين مليونا من أهل الارض الاصليين ، قد لاذوا – عندما طردهم « الهان » – بالروابى الوعرة السبل . وظلوا يعيشون فى نظام قبلى أو شبه اقطاعى . وفى نظر « الهان » ، كانت الدنيا تنقسم الى ثلاثة أنواع من الكائنات : الهان والبرابرة والحيوانات ، فكانوا يحتقرون المغول والتبتيين ومن اليهم لانهم برابرة !.. وباتت هذه الأقليات – فى جميع العهود – أوكارا للمعارضة ، ردا للظلم . ويوجد منها اليوم أربع وأربعون ، تتكلم ثلاث عشرة لغة ، منها أربع فقط مكتوبة . وتحتل هذه الأقليات فى جملتها أكثر من نصف رقعة الصين ، وان كانت مشتتة خلالها ، عدا ٢١ مليونا تناثرت فى الشمال الشرقى .

وقد واصل « تشانج كاى شك » عزل هذه الشعوب عن المجتمع الصينى ، ولكن زعماء اليوم أدركوا أهمية توحيدها ، بطريق سلمى . ونشطت الدعاية بين « الهان » لتحطيم مزاعمهم العنصرية . وأعلنت الحكومة للأقليات أنها تحترم آدابهم ولغاتهم وأديانهم ووعدتهم بشىء من الاستقلال الذاتى ، وأفلحت فى اجتذابهم برفع مستوى معيشتهم واعانتهم اقتصاديا .

لقد ثارت منطقة (سيكيانج) – سنة ١٩٤٤ – ضد «تشانج كاى شك » ، وأنشأت « جمهورية تركستان الشرقية » ، ثم تحالف رئيسها « ساى فادان » مع الصين الشيوعية عند تقدم الجيش الأحمر .

وقصة ضم (التبت) الى الصين ترجع الى القرن السابع ، حين تزوج احد ملوك التبت أميره من اسرة « تانج » ، ولكن السلطه هناك ظلت فى أيدى الكهنة اللاميين . واللامية خليط من دين « بون بو » القومى ومن البوذية .

وليس هنا مجال استعراض الملابسات والمنازعات التى دارت بشأن التبت ، ولكن الذى يهمنا هو أن الصين تبدى اهتماما كبيرا بتقدمها . فأنشأت المدارس الابتدائية فى (التبت) ـ حيث يعيش مليونان وثمانمائة ألف نسمة ـ وافتتحت مصرفا شعبيا يقرض المزارعين والتجار والصناع. واصبحت الدولة تشترى منهم الصوف .

وكما تحترم الصين الديانة « البوذية » ارضاء لشعب « التبت » تحترم « الاسلام » ارضاء لعشرة ملايين ، منهم « الويغور » فى (سيكيانج) ، و « الهوى » فى مناطق متفرقة. وهم كثيرا ماكانوا موضع الاضطهاد ، لاسيما فى عهدالمنشوريين، وعهد «الكومنتانج» . ومنذ ١٩٥٢ الفوا « **الاتحاد الاسلامى** فى الصين » ، ورممت مساجدهم .. ولهم مدارس دينية ملحقة بالمساجد . وفى بكين الآن وثمانمائه اسره « هووية » من المسلمين ، حول شارع (نيكوكاى) ، حيث يوجد مسجد من ايام أسرة « سونج » . وفى أحياء أخرى مساجد أحدث. وتمنح المصانع عطلات للمسلمين فى اعيادهم ، كما أن لهم مطاعم خاصة . وكل عام تقصد مكة جماعة من الحجاج الصينيين .

وتنتخب الأقليات ممثلين لها بنسبة عددها ، ولكن للأقلية الحق فى نائب واحد ـ على الأقل ـ يمثلها عندما يزيد عدد أفرادها على سبعين ألفا . وهكذا يشغل نواب الأقليات ١٧٧ مقعدا من ١٢٢٦ أى بنسبة ١٤ ٪ بينما تبلغ نسبتها الى مجموع السكان ٧٪ .. وتؤهل الأقليات لحكم ذاتى ، بشرط

توفر الاداريين من أبنائها . ولتخريج هؤلاء ، أنشىء معهد فى بكين ، يؤمه أعضاء مختلف الأقليات لاتمام دراساتهم الثانوية أو العليا . وهم يلقنون اللغة الصينية الى جانب لغاتهم الأصلية . والمعهد مزود بما ينفى عن الطلاب الشعور بالغربة ، ولا سيما من ناحيتى الغذاء والشعائر . ففى المطعم الرئيسى سبورة كبيرة صنفت عليها أسماء الطلاب الى فئات ، تضم الأولى من يأكلون جميع الألوان ، تتلوها قوائم : « لا دجاج ولا سمك » ، « لا خنزير » ، « نباتيون » . وهناك هيكل لامى به صور بوذا التقليدية ، وكذلك قاعة فسيحة تستخدم مسجدا .

اختفى الفساد وسادت الأخلاق

وثمة مشكلة داخلية أخرى واجهها الزعماء ، هى مشكلة الفساد . واليوم تسود الأمانة الصين التى كانت الى عهد قريب بلد لصوص وقطاع طرق .

ويعترف خصوم الصين أنفسهم ، باختفاء المتسولين والبغايا ومدمنى الأفيون ولاعبى الميسر . فلقد اصطبغ المجتمع بصبغة أخلاقية لا تجد مثلها فى أندونيسيا التى تحررت أخيراً من الهولنديين . ففى « جاكرتا » عصابات منظمة تنهب الأجانب خاصة تحت أنظار الشرطة المتغاضية . **ذلك أن الرأسمالية الأجنبية لا تزال قائمة هناك ، وتعتبر الحكومة السرقة نوعا من التعويض : لا تفى منها ولا تعاقب عليها . أما الصينيون فقد انفصت علاقتهم بالأجانب ، فخلصت علاقتهم بأنفسهم .**

والحكومة — فى الصين — لا تتسامح ازاء السرقة . وقد اشتدت الرقابة على الجميع ، من التاجر الفنى الى سائق دراجة النقل ، حتى لقد تغلغلت تعليمات الأمانة فى النفوس .

هل العنف ظاهرة فى ثورات الدول الأسيوية ؟

• **ويخشى** الزعماء تواطؤ الخصوم فى الخارج مع المعارضين فى الداخل ، فالحرب الدائرة حرب أهلية توقع بين المواطنين . وهذا ييسر تسرب الجواسيس والمخربين والكائدين . ذلك لأن الطبقات التى كانت تنعم بالامتيازات لاتخلص تمام الاخلاص للنظام الجديد .. **وهذا الصراع ظاهرة تقترن بهـا ثورات آسيا ، حيث البلاد مدقعة الفقر ، مكتنظة بأهلها ، فلا بد أن تتخذ فيها التغيرات الاجتماعية صورة عاصفة** . ففى بورمـا واندونيسيا والباكستان أدى الكفاح من أجل الاستـقلال وانشاء مجتمع حديث ، الى تمزقات داميـة . ولم تستطع الصين ـ برغم تفوق المركزية والنظام فيها ـ أن تشذ عن هذه القـاعدة . ومع ذلك فقد حققت أعظم تحول دون أن تتورط ـ بفضل سياستها الريفية الحكيمة ـ فى مثل المجـازر التى أدت اليها ثورات الفلاحين الكبرى فى الاتحاد السوفييتى . ومنـذ ١٩٤٩ ، قمع التعصب الدينى والنهب العسـكرى ، ولم يتزعزع النظام القائم قط .

ولقد حرصت الدولة ـ منذ سبتمبر ١٩٥٤ ـ على تعقب أعداء الثورة ، بمقتضى قانونين متكاملين ، يختص أحدهمـا بالنيابة والآخر بالمحاكم الشعبية . **وتجنبا للظلم ، أمر وزير الأمن بمنع « الاستجوابات المصحوبة بالتعذيب ، والاعترافات المغتصبة »** وأمر بأن « تتم أعمال الفحص والتحريات بطريقة سليمة ، والاهتمـام بالأدلة لا بأقوال الشهود دون تثبت . والتمييز بين ما هو صحيح وما هو ملفق ، والحد من الاعتقال الى أدنى حد ، وعدم القاء القبض الا عند الضرورة القصوى ، وفى نطاق القانون » .

وهكذا يوازن « حمله التيقظ والقضاء على العملاء » أمر « البعد عن التحيز وانصاف انطيبين » .

النظام القضائى يكفل حرية الفرد

• **ولقد** ألغت الثورة الصينية القانون القديم ، وعزلت القضاة والمحامين ، ولم تصدر بعد تشريعا جديدا يشمل جميع نواحي المجتمع ، فان اعداد مثل هذه النصوص يستغرق سنوات طويلة . ومع ذلك ، فقد أذيعت ـ الى جانب الدستور ـ بعض القوانين الفرعية منذ ١٩٥٠ ، منها قانون « التنظيم القضائى » وقانون « الاعتقال والحبس » الذى يحمى كل مواطن ضد أى اجراء تعسفى .

وينقل هذا القانون الأخير المادة ٨٩ من الدستور ثم يعلن : ان « **الحرية الفردية لمواطنى جمهورية الصين الشعبية حرية ممنوع الاعتداء عليها ، ولا يجوز القبض على أحد دون أمر من المحكمة الشعبية أو طلب رسمى من النيابة** » .

ولا تستطيع الشرطة القاء القبض على امرىء الا فى حالة التلبس بالجريمة ، وعليها أن تدلل على ذلك فى بحر أربع وعشرين ساعة . ولا يوجد فى الصين أى نظام يبيح « الحجز الادارى » الذى كان يفسح المجال للأحكام التعسفية فى الاتحاد السوفييتى ، فان المحاكم وحدها هى التى تملك حق تقرير الحبس .

والمحاكم طبقا للدستور مستقلة ، والقضاة غير قابلين للعزل ، وعليهم ـ كسائر الموظفين ـ تقديم الحساب عن أعمالهم الى الحكومة ، والمحكمة العليا مسئولة أمام الجمعية الوطنية . **هناك اذن استقلال أساسى القضاء ، مع تنسيق بينه وبين الحكومة** . وهذا لا يعنى أن المحاكم أدوات طيعة فى أيدى النظام القائم ، فأحكامها لا يمكن أن تنقضها أية

منظمة سياسية ، ولا تستطيع الجمعية الوطنية أن تعدل الأحكام الصادرة عن المحكمة العليا .

ازمة محامين !

• ((**حق الدفاع**)) ثابت تؤكده اللوائح . ولكن عدد المحامين ـ وقد أقصى بعض قدمائهم ـ لا يفى بحاجات الصين الحديثة . وتقدم المحكمة للمتهم من يدافع عنه ، اذا لم يجد محاميا . ولا يجوز له أن يترافع شخصيا الا فى القضاء المدنى ، كقضايا الطلاق مثلا . **وجدير بالذكر ان الاعتراف فى الصين ليست له قيمة قانونية ، فهو لايعتبر دليلا . والجلسات علنية** . والحكم الصادر شفهيا ، لابد من تسجيله كتابة قبل انقضاء ثلاثة أيام ، مدعما بالحيثيات . وللمحكوم عليه أن يستأنف الحكم ، وفى حالة الاعدام يوجد استئنافان عاليان . ولكن الحكم بالاعدام نادر جدا .

ويعاقب بالسجن ـ فى أغلب الأحيان ـ مرتكبو جرائم القانون العام أو الجرائم السياسية . والمقصود من هذا العقاب اعادة تربية المذنبين عن طريق العمل . وقد ورد فى لوائح هذا النظام (سنة ١٩٥٤) : ((**يجب تعليم المجرمين الاعتراف بأخطائهم ، واحترام القانون ، وجعلهم على دراية بالأنباء السياسية ، وتعليمهم العمل المنتج ، ومنحهم من الثقافة ما يكشف لهم جذور الجريمة ، وابادة العقلية الاجرامية ، وغرس مفهوم جديد للفضيلة فى نفوسهم**)) .

ولقد تصرفت الصين الحديثة فى مبدأ «الأشغال الشاقة» ، فأصبحت عملا يفيد اقتصاد الدولة ، ويزود السجين بمهنة عند اطلاق سراحه .

المساواة بين العمال المأجورين والسجناء

• **والأيدى** العاملة فى الصين موفورة ورخيصة ، فحينما تقدم الحكومة على تنفيذ مشروع ضخم ـ كبناء قناطر أو سكك حديدية ـ تطلب متطوعين من الريف المجاور . فيقبل الفلاحون أفواجا ، وهم يأملون الى جانب كسب بعض المال الاضافى ، أن يظلوا عمالا بعد ذلك ، وكثير من تلك المشروعات يهدف ـ قبل كلّ شىء الى الاقلال من البطالة . ومن ناحية أخرى ، يدرك المسئولون أن غلة العمل الاجبارى الخسائر .

ولم تزر « سيمون دى بوفوار » معسكرا للعمل ، ولكن احد اصدقائها شهد مد خط حديدى كان يعمل فيه ٧٠ ألف عامل و ٤٠ ألف مذنب ، **ورأى المساواة بينهم فى المأوى والغذاء ونظام العمل . ولم يكن المذنبين أجر ، الا ان أخطر الأعمال وأشقها كانت من نصيب العمال الأحرار .**

وتقارن المؤلفة سجن بكين ـ الذى زارته ـ بسجن أمريكى نموذجى سبقت لها زيارته ، فتقول : « فى شيكاغو ، عندما وصلت الى مكتب السجن ، جردونى من حقيبة يدى كيلا أتمكن من تقديم السجائر أو أحمر الشفاه للسجناء ، وفى الممرات حف بى الحراس وقد ارتدوا زيهم الرسمى وحملوا المسدسات ، وتحيط بالممرات والغرف قضبان مغلقة بأقفال متينة ، من خلالها لمحت المصنع الذى يعمل فيه السجناء » . **أما فى بكين فالسجن فى طرف حديقة ، والمشرفون لا يرتدون زيا رسميا ولا يحملون سلاحا ، ولهم فى الواقع وظائف رؤساء عمال فى الورش أو مدرسين** . وليس للسجناء لباس خاص ، فلا يميزهم شىء عن أولئك الموظفين . ولولا برج المراقبة لظن المرء انه فى مصنع عادى للنسيج . وتتناوب العمل فيه فرق ، بحيث يعمل « المذنب » تسع ساعات يوميا ، وينام ثمانى

ساعات ، ويتلقى الدروس فى ثلاث ساعات . تخصص اثنتان منها للمذهب السياسى . واذا أضفنا فترات تناول الطعام وقضاء حاجات النظافة ، لاحظنا أن المسجناء فسحة من الوقت طويلة ، فضلا عن يوم الراحة الأسبوعى . ولديهم ملعب رياضى ، ومكتبة ومسرح يشهدون فيه العروض التمثيلية أو السينمائية ، وقد يقوم بالتمثيل نفر منهم .

ذلك هو السجن الوحيد فى بكين . نزلاؤه ١٨٠٠ – منهم ١٢٠ امرأة – ثلثاهم من المجرمين السياسيين والثلث من مجرمى القانون العام ، والنسبة عكسية بين النساء. وتتراوح مدد عقوباتهم بين ٣ و ١٠ سنوات . وقل من حكم عليهم بالسجن المؤبد . ويتولى الاشراف ١٥٠ موظفا .

والضرب والتهديد ، وأى لون من ألوان الاهانة محرم فى السجن . وعقاب المخالفين يتدرج من الزجر الى الحبس . وعلى العكس ، ينال الذين يحسن سلوكهم وعملهم ثناء وجوائز قد تصل الى ١٥٠ ينا (وهى وحدة العملة هناك) . وأحيانا تقصر مدة سجنهم . وفى أوقات فراغهم يستطيع السجناء شراء لوازمهم من محل صغير ، يلقى أيضا اقبال الموظفين ، ولكنه لا يبيعهم الثقاب والسجائر . ويؤمن مدير السجن بنفع « اعادة التربية » : **ويعتبر نزلاءه العاديين ضحايا جنى عليهم المجتمع القديم بالفقر والبطالة والفساد ، ويمكن اصلاحهم بتعليمهم حرفة .**

وللسجين عند اطلاق سراحه أن يبحث عن العمل الذى يروقه ، أو أن يلجأ لمكتب العمل ، أو أن يبقى فى ورش السجن بوصفه عاملا حرا ! .. وله فى هذه الحال أن يسكن فى المدينة ، أو فى الأبنية الادارية .

من روائع الأدب
اليوغوسلافي المعاصر

قصة جسر!

لأديب يوغوسلافيا
المعاصر:
ايڤو اندريتش
الفائز بجائزة نوبل
في الأدب
لعام ١٩٦١

تقديم وترجمة : علي شلش

عزيزى القارىء :

قفز اسم الكاتب والشـاعر اليوغوسلافى المعـاصر ((**ايفو اندريتش**)) ، أخيرا ، الى مجال الأدب العالمى ، بعد أن فاز بجائزة نوبل للأدب فى العام المنصرم ١٩٦١ ..

و ((اندريتش)) ـ بهذا التكريم ـ يصبح ثانى أديب من الكتلة الشرقية ، يحظى بالجائزة العالميـة .. بعد المرحوم ((بوريس باسترناك)) ، الذى حدثتك عنه فى **العـدد (٨٠) من ((كتـابى))** ، والذى قدمت لك ((**مطبـوعات كتابى**)) الترجمة الكاملة الأمينـة لأروع تحفه : ((**دكتور جيفاجو**)) .

ولقد كان فوز ((اندريتش)) خليقا بأن يلفت أنظارنا الى أدب يوغوسلافيـا والدول الاشتراكية .. **فان الاستعمار الذى كان جاثما على بلادنا ، لم يدخر وسعا فى حجب كثير من الثقافات عنا ، ليصبغ عقولنا بثقافته وحده ، متخذا من أسمى نواحى النشـاط الفكرى ـ واعنى الثقافة ـ رباطـا لاستبقائنا مشـدودين الى عجلتـه ..**

على أننا منذ تحررنا ، ومنذ ثورتنا المنطلقة ، اتجهنا الى ارتياد مجالى الآداب التى كانت محجوبة عنـا .. وها هو ذا فوز ((اندريتش)) بالجائزة العالميـة ـ عن روايته : ((جسر على نهر درينا)) ـ يمهـد لنا مناسبة صالحة لأن نقدم لك شيئا عن ((اندريتش)) ، وقصـة تعتبر من روائعه ..

ايفو أندريتش

ولد ضعيفا معتل الصحة

• على ضفاف نهر من أخصب أنهار يوغوسلافيا ـ نهر درينا ـ ولد طفل لأسرة رقيقة الحال ، تمتهن الحرف وتشتغل بالتجارة ، قبل أن ينصرم العقد الأخير من القرن الماضي .. فان شئت مزيداً من الدقة ، فان الطفل ولد فى عام ١٨٩٣ ، بمدينة (ترافنيك) الصغيرة ، التى تشرف ـ من بعيد ـ على النهر الخصيب ، وتحتل مكانة لا بأس بها بين مدن اقليم (البوسنة) ، فى ذلك الحين .

ولم يكن ذلك الطفل سوى ((ايفو اندريتش)) .. وقد هبط الى الدنيا ضعيفا ، معتل الصحة ، يكاد عنقه النحيل أن يتمايل ـ كبرعم غض ـ كلما لامسه النسيم ! .. ويبدو أن ذلك قد غرس فى نفسه سوداوية المزاج ، وانطوائية النفس ، اللتين لازمتاه طوال عهد الصبا والشباب ، وأرقتاه فى عهد الكهولة والنضوج !

لكن الطفل الغض العود لم يكد يناهز ربيعه الثانى حتى دهمه القدر ، فاختطف منه أباه ، الذى كان قد شرع ـ كأى طفل ـ فى التعلق به .. وكان على أمه الشابة ـ التى ترملت وهى فى الحادية والعشرين من عمرها ـ أن تعالج المصيبة بعقل امرأة فى الأربعين . ولم يكن الأمر عسيرا أو مجهدا للأم الذكية ، التى ساندت زوجها ـ طوال فترة زواجهما ـ بحصافة وحكمة تفوقان سنها . اذ ما لبثت أن لجأت الى أقارب لها يقطنون مدينة (فيشيجراد) ـ وهى مدينة صغيرة تطل على نهر درينا ـ استجابة لالحاحهم !

انطوائية وتصوف .. منذ الصفر !

• واستقرت الأم هناك مع طفلها « ايفو » ، الذي لم يكن ــ بعد ــ قد ادرك وطأة الصدمة . لكنه قضى سنوات طفولته سجينا لاعتلال الصحة ، ورهافة الحس .. وهو يصور ذلك ــ فى مرحلة نضجه ــ بقوله : « لم أكن قد جاوزت عمى الرابع ، حين تراءى لى فى المنام قديس شاحب الوجه ، تجلله ازهور كأنه جثمان ميت .. **خف الى ، فهبط من اطار صورته المعلقة على الجدار ، وناولنى صليبه الذى لم يعد يتحمل ثقله .. » !**

وهذا الحلم الذى علق بمخيلة الطفل ، واستمر معه الى دور النضوج ، يكشف لنا عن تعلق « ايفو » الطفل بالوحدة والانطوائية ، اللتين وجهتا تفكيره وحسه فى مرحلة دقيقة من مراحل حياته . . **بل انهما ــ الوحدة والانطوائية ــ شكلتا مجرى حياته ، ودفعتا به الى طريق التصوف والتعلق بالفقه الدينى .**

وما ان بلغ الطفل سن الأهلية للتعليم ، حتى الحقته أمه بالمدرسة الابتدائية .. فأظهر فيها نبوغا ، أهله للالتحاق بالمدرسة الثانوية ، وكانت ــ آنذاك ــ بمدينة (سارايفو) .. ثالث مدن البوسنة واشهرها ..

وكانت فترة الدراسة الثانوية بمثابة بدء مرحلة هامة فى حياة الصبى الرقيق ، العزوف عن الضوضاء . **اذ شرعت موهبته الفنية فى التفتح ، مؤدية به ــ على صغره ــ الى طريق الشعر .** فكان يلتهم كل ما تقع عليه يداه من كتب ودواوين شعرية ، ثم يخلو الى نفسه ويفكر ، الى ان انصقلت الموهبة ، وتمكنت منه .. وهكذا بدأ « ايفو » حياته الأدبية شاعرا ،

رقيق الحس ، حزين النبرة ، تطل من شعره طاقة انسانية دفاقة .

وكان عليه ـ اذ أتم دراسته الثانوية بنجاح ـ أن يلتحق بالجامعة . لكن مرحلة دراسته الجامعية لم نقتصر على جامعة واحدة ، فقد درس بجامعات زغرب ، وفيينا ، وكراكومينا ، وتخصص فى دراسة التاريخ واللغات السلافية ..

كيركجارد غذاء روحى فى السجن !

• وفى جامعة (فينا) ، أظهر « ايفو » ولعا غريبا بالتاريخ ، ودراسة أصونه ومراحله الثورية . وكانت أوربا وقتذاك ـ قبل الحرب الأولى ـ تغلى بالثورة على التيار الاستبدادى العنيف الذى أطلقه قيصر ألمانيا الطاغية . مما جعل « ايفو » يسخر من الاستبداد والطغيان ، ويتعلق بالأفكار الثورية . **لكن السلطات النمساوية تنبهت له ، فاعتقلته فى يوليو ١٩١٤ بمدينة (سبليت) ، بتهمة الانتماء الى منظمة الشباب القومية الثورية .**

وكان السجن ـ أيضا ـ بمثابة بدء مرحلة أخرى فى حياة الشاب المتقد ، الذى يغلى بالثورة .. فقد قضى به عاما كاملا ، وانقطع عن دراسته ، ولم يكن امامه سوى الاختيار بين الصمت أو العكوف على القراءة .. وتلك الطريق الأخيرة كانت ملجأه وملاذه . اذ انصرف بكل كيانه الى الكتب . ووجد نفسه ـ داخل السجن الكبير ـ سجينا ، من جديد ، لأفكار رائد الفلسفة الوجودية الحديثة .. « سورين كيركجارد » . اذ استهوته فلسفته ، فتعلق بها أيما تعلق ، حتى أن صديقا له كتب يقول بهذا الصدد : « كان كيركجارد

هو الوحيد الذى نجح ايفو فى التهامه ابان فترة سجنه . وكان ــ طيلة الشهرين الأولين ــ غذاءنا الروحى الوحيد » !

وانقضى عام السجن ، وتلته رقابة اجبارية فرضت على السجين انحائر بين وجودية كيركجارد وصوفية التفكير ... ثم صدر عفو عام عنه فى عام ۱۹۱۷ ، فعاد الى الجامعة فى العام التالى ، وانكب على الدراسة بحماس حتى حصل على درجة « الدكتوراه » من جامعة (جراتز) النمساوية فى موضوع عنوانه : ((**الحياة الفكرية فى البوسنة والهرسك ابان السيطرة العثمانية**)) .

وبعد الحرب الأولى انخرط « ايفو اندريتش » فى السلك الديبلوماسى فقضى فيه مددا مختلفة ــ فيما بين الحربين ــ متنقلا بين عواصم مختلفة بأوربا ، الى أن عين وزيرا مفوضا ليوغوسلافيا فى برلين فى عام ١٩٤١ .

التاريخ محور أعماله

• **بدأ** « ايفو » حياته الأدبية مبكرا فى عام ١٩١٨ . وقد تأثر مجرى هذه الحياة بدراسته للتاريخ وتعلقه به . ذلك لأن أكثر موضوعاته تدور حول البوسنه وتاريخها منذ الفتح العثمانى الى اليوم . **وفيها نجد تصويرا واقعيا لحياة القرى والسكان ، وتقاليدهم وأساطيرهم وعواطفهم** .

وهو لم ينس مدن البوسنة التى نشأ فيها . فقد أولاها كل اهتمامه ، وجعلها محور كتاباته شعرا ونثرا . بل ان روايته التى نال بها جائزة نوبل ــ **جسر على نهر درينا** ــ تعد وثيقة اجتماعية وتاريخية هامة لتاريخ هذه المنطقة ، بالاضافة الى روايتيه الأخريين : ((**أخبار مدينة ترافنيك**)) و((**الآنسة**)) .. وقد ظهرت جميعا فى أعقاب الحرب العالمية الثانية .

جسر يحكي قصة السخرة !

• **وتصور** « جسر على نهر درينا » ـ التى نالت أيضا اكبر جائزة أدبية فى يوغوسلافيا وجاوزت طبعاتها العشر ـ قصة جسر حجرى أقيم على نهر (درينا) بمدينة (فيشيجراد)، ليربط البوسنة بالصرب ، وهما اقليمان كانا تابعين للامبراطورية العثمانية فى ذلك الحين .

والجسر هو الشخصية الأولى فى القصة التى تعالج تاريخ تلك المناطق ، ابتداء من القرن السادس عشر الى وقت اشتعال الحرب الأولى فى عام ١٩١٤ . والجسر ـ الذى لا نظير لجماله ـ كما يقول المؤلف ـ بناء أثرى شيد فى عام ١٥١٧ ، وارتبط بناؤه بوحشية تصرفات الصدر الأعظم « محمد باشا سوكولوفتش » ، الذى فرض السخرة على سكان البلاد ، كى يقيم الجسر ..

ولقد ظهرت روايات « اندريتش » الثلاث فيما بين عامى ١٩٤٢ و ١٩٤٤ ، فلفتت أنظار نقاد الأدب ومتذوقيه فى أوربا ، الذين أشادوا بموهبة المؤلف ، ودعوا الى نقل أعماله الى اللغات الأخرى ، كى يتذوق الناس أعمال اندريتش ، الدبلوماسى الهادىء . **ومن ثمة ظهرت مؤلفاته هذه فى ست وثلاثين طبعة ، فى ١٣ لغة أجنبية** . أما رائعته التى تحكى قصة الجسر ، فقد طبعت ـ منذ عام ١٩٥٣ ـ أربع طبعات فى ألمانيا ، وثلاثا فى روسيا ، واثنتين فى كل من لندن ونيويورك .

البحث عن المعانى فى التوافه عبث !

• و « **اندريتش** » كاتب متعمق ، دقيق التعبير ، ذو أسلوب حى تتدفق منه شاعرية وطلاوة ، وهو يهتم بالتاريخ فى أعماله القصصية ، فيوليه كل اعتبار ، ويفسر ذلك بقوله :

« بعد حيرة طويلة ، سببها لى ما كان يحدث من حولى ، اصبحت على يقين — فى آخر مرحلة من حياتى — من أنه من العبث وسوء الفهم أن أسعى وراء معنى لتوافه ما يدور حولنا من أحداث وامور .. **ان علينا — بدلا من ذلك — أن نبحث عن المعانى فى الطبقات التى كونتها القرون وغطت بها حفنة الأساطير والأحاجى العظيمة التى انتجتها البشرية » !**

وهكذا ، فان « اندريتش » — الكاتب الجاد — لا يستمد ما يكتب من العبث الذى نادى به خلفاء « كيركجارد » فيما بعد ، وانما هو معنى أشد العناية بقضايا الحياة والناس ، يصوغها بأسلوب عذب ، خال من التكلف .. وهذا ما ستلمسه فى القصة التالية :

قصة جسر !

● **لم يكد** ينقضى العام الرابع على تولى « يوسف » منصب الصدر الأعظم ، حتى ارتكب حماقة ، تعرض بسببها — من حيث لا يتوقع — للنبذ وطرح الثقة به . ودام الصراع فى نفسه طيلة فصلى الشتاء والربيع .. وكان ربيعا قاسيا ، قارس البرودة ، عاق قدوم الصيف .

غير ان يوسف ما لبث — فى شهر مايو — أن تخلص من عقوبة الابعاد ، فخرج من المعركة منتصرا .. وهكذا مضى تيار حياته ، حافلا بالمجد برغم اطراده وهدوئه .. وان بقى فى نفس الصدر الأعظم — المزهو بالنصر — أثر من الضيق وانشغال البال ، منذ شهور الشتاء هذه ، التى لم يكن يفصل الحياة فيها عن الموت ، والقمة عن الحضيض ، سوى أقل من مفرق الشعر ! .. وكان ذلك الأثر شيئا خفيا لا يحس .. شيئا يعتبره المحنكون من الرجال — ممن عانوا الأهوال — كنزا

دفينا ، لا يبوحون بسره الا قسرا ، وعلى مضض .. وعندئذ يظهر البوح به فى نظرة ، أو حركة ، أو كلام !

فحينما كان الصدر الأعظم يعيش ــ كما يقال ــ فى المنفى ، وحيدا بلا رفيق ، تمتلىء نفسه خزيا وعارا ، **كانت ذكرياته عن أصله وبلدته العتيقة تتجسد أمام ناظريه ، ذلك لأن الفشل والألم يعودان بالذهن ــ دائما ــ الى الماضى ..** فتذكر والدته ووالده (وهما قد توفيا عندما كان مساعدا ــ رفيق الحال ــ لقائد خيالة السلطان. وقد امر يومذاك ، بأن يوضع على قبريهما حجر تميزه شواهد بيض .) .. كما تذكر (البوسنة) ، ومسقط رأسه بقرية (زيبا) ، التى خرج منها فى التاسعة من عمره .

وكان يجد لذة فى أن يفكر ــ وهو على تلك الحال من الحزن والهم ــ فى ذلك الريف القصى ، والقرية المتناثرة الدور ، التى كانت تروى ــ بكل دار منها ــ أقاصيص ما أحرزه فى القسطنطينية من مجد وفلاح ، حيث لم يكن أحد يعرف ــ بل لم يكن أحد يحدس ــ الوجه الآخر لميدالية المجد ، او الثمن الذى بذل لقاء تحقيق النجاح .

***

وفى صيف ذلك العام ، أتيحت له فرصة التحدث الى نفر من أهالى (البوسنة) . فكان يسألهم ، وهم يجيبون على كل ما يوجهه اليهم من اسئلة واستفسارات . وقيل له ان فى أعقاب ما شهدته المنطقة من ثورات وحروب ، حلت بها الضائقات ، والفاقة ، والجوع ، وكافة الوان الأوبئة. **فما كان منه الا أن أصدر أوامره بانفاق مبالغ لابأس بها ، لمساعدة قومه الذين ظلوا يقطنون فى ((زيبا)) ، ولم يغادروها .** وفى ذات الوقت ، أصدر تعليمات تقضى بدراسة ماهم بحاجة

ماسة اليه فى مجال البناء والعمل .. كذلك علم أن أسرة «شيتكيتش» ظلت تمتلك اربعا من الدور ، وانها تعد أغنى أسرة بالقرية ، برغم ما ساد القرية والريف المحيط بها من جدب واملاق .. وان المسجد قد تصدع . ثم راح فريسة للنيران .. وان الربيع قد حط اليبس على كل شيء ، وجعله هشيما تذروه الرياح .. بل ان الأسوأ من ذلك كله ، أن نهر (زيبا) لم يعد عليه جسر ما !

وقرية (زيبا) تقع على مرتفع بالقرب من مكان التقاء نهر (زيبا) بنهر (درينا) .. ولم تكن هناك طريقة للوصول الى مدينة (فيشيبجراد) سوى عبور نهر زيبا ، فهى تقع على مبعدة خمسين ياردة من مصبه .. **وقد اعتادت المياه أن تكتسح الجسر الذى يقام عليه ، مهما يكن نوع الواحه ودعائمه .** فاما أن تفيض مياه نهر زيبا ، بسرعة وبلا توقع ـ كأى نهر جبلى آخر ـ فيغرق الجسر .. واما أن يتولى ذلك نهر (درينا) ، الذى تفيض مياهه فجأة ، فتطغى على نهر زيبا ، مما يسبب فيضانه ، ويجتاح الجسر ، فيختفى ، ولا يبين له أثر .. كأنه لم يكن !

وعندما يحل الشتاء مرة اخرى ، تغدو الواح الجسر الغارقة مجمدة زلقة ، بدرجة تلحق الأذى ـ فى الغالب ـ بكل انسان او حيوان ينزل الى النهر .. وهكذا كان أى شخص يقيم للقوم جسرا متينا صلبا ، يؤدى لهم أجل الخدمات .

وقام الصدر الأعظم باهداء ستة أبسطة للمسجد ، وقدم ما يكفى من المال لاقامة نافورة ذات ثلاث انابيب .. وفى ذات الوقت ، قرر أن يشيد جسرا .

***

وفى ذلك الحين ، كان بالقسطنطينية استاذ ايطالى فى فن العمارة ، قام بتشييد عدد من الجسور ـ بالقرب من المدينة

ـ فذاع اسمه وشهرته بين الناس . ومن ثم اتفق معه امين خزانه الصدر الأعظم على تشييد الجسر ، فانتقل الرجل الى البوسنة برفقة اثنين من رجال البلاط .

ووصلت البعثة الى (فيشيجراد) قبل ذوبان الجليد . واخذ اهالى المدينة يتتبعون بأنظارهم أستاذ العمارة ، الأشيب، المنحنى الظهر ، ذا الوجه الأحمر القانى الذى يفيض شبابا وحيوية ، بينما هو يفحص الجسر الحجرى الكبير ، ويطرقه باصابعه ، ويفتت الملاط (المونة) ويتذوقها بلسانه .. حتى اذا فرغ من ذلك ، انتقل الى مدينة (بونيا) ، فقضى بها أياماً ، الى ان وصلت أحجار جسر (فيشيجراد) اليها .. اذ استأجر فى تلك الاثناء عمالا لتنظيف المحجر ، الذى كانت الاتربة قد كسته تماما ، ونمت فوق سطحها نباتات واعشاب . فراحوا يواصلون الحفر ، الى أن توصلوا الى شريان حجرى عريض عميق متين .. ثم مضى الرجل داخل نهر درينا ، وبلغ عمقا يماثل عدق نهر زيبا ، كى يحدد المكان الذى تنقل عبره الأحجار .

وما أن تم هذا ، حتى عاد أحد الرجلين اللذين بعث بهما الصدر الأعظم الى القسطنطينية ، ومعه حسابات المشروع وخرائطه .

اما أستاذ العمارة فقد تخلف ، وآثر أن ينتظر حتى يعود الرجل من مهمته . لكنه لم يشأ أن يقطن فى (فيشيجراد) ، أو فى مساكن الطائفة المسيحية المطلة على نهر (زيبا) ، وانما اقام لنفسه كوخا على مرتفع من الأرض ، فى المثلث القائم بين نهرى (درينا) و (زيبا) .. (وكان مبعوث الصدر الأعظم ، وكاتب فيشيجراد ، يقومان بمهمة الترجمة له)

واعتاد ان يطهو طعامه بنفسه ، وان يبتاع من الفلاحين البيض والقشدة والبصل والفاكهة المجففة . ويقال انه لم

يكن يبتاع اللحم مطلقا . وكان يقضى طيلة يومه مشغولا بالتشييد والرسم ، وفحص كافة انواع الحجارة ، ودراسة مجرى نهر زيبا واتجاهه .

وفى تلك الاثناء ، عاد الموظف الآخر من القسطنطينية ، حاملا موافقة الصدر الأعظم على المشروع ، وثلث المال اللازم له .. فدارت عجلة العمل . ولم يكن بوسع الأهالى ان يخفوا عجبهم لهذا المشهد الغريب عليهم . ذلك لأن ما كان يشيد أمام انظارهم ، لم يكن يمثل لهم جسرا بأية حال . فمن ناحية ، كانت العوارض الصنوبرية الضخمة توضع عبر النهر بشكل متواز ، ويدخل بينهما صفان من خشب الصنوبر . ثم تشد هذه الى تلك بوساطة اغصان الأشجار المجدولة ، ويضاف اليها الطفل (الطين) لتقويتها ..

لكن ما أن تم انجاز هذا العمل فى ذات يوم ، حتى برزت فوق الجبال سحابة على حين غرة . **وما هى الاسبوعات حتى هاج نهر زيبا ، وماج ، وفاضت مياهه . وفى ذات الليلة ارتفعت المياه ، فاخترقت السد الحديث البناء عند منتصفه** .. حتى اذا انبلج فجر اليوم التانى ، كانت المياه قد شرعت فى الانحسار ، لكن الضفيرة التى صنعت من الأغصان ، كانت قد تهرأت تماما . أما خشب الصنوبر فقد تهشم ، بينما تغير وضع العوارض الضخمة .

وشاع الهمس بين العمال والأهالى بأن نهر (زيبا) يأبى أن يقام عليه جسر ، وأنه لن يدع أحدا يقوم بذلك ! .. غير أن أستاذ العمارة ما لبث ــ فى اليوم التالى ــ أن أصدر أمرا باحضار أخشاب جديدة ، على ان تثبت ــ فى هذه المرة ــ بشكل أعمق وأمتن مما كانت عليه فى المرة الأولى . كما امر باصلاح شأن العوارض الباقية ، بحيث تعود إلى استقامتها الأولى . وهكذا ضج حوض النهر الحجرى ــ مرة اخرى ــ

بأصوات فرقعة العوارض الخشبية ، وصيحات العمال ، وضربات أيديهم ، التى اتخذت شكلا ايقاعيا مموسقا (رتيبا) .

وما ان تم اصلاح ما أفسده النهر ، ووصلت الأحجار من (بنيا) ، حتى وصل المهندسون والبناءون الذين وفدوا من (هرزيجوفينا) و (دالماتيا) . وأقيمت لسكناهم أكواخ من الخشب ، أخذوا يعملون فى تكسير الأحجار أمامها وغدوا بيض كعمال الطواحين الذين يغطيهم الدقيق الأبيض .

وكان أستاذ العمارة يتجول بينهم ، وهو لاينفك يتفحص عملهم ، مستخدما فى ذلك مسطرة حديدية صفراء ، وميزانا أخضر اللون .

***

ولم تكد تنتهى مهمة تكسير الأحجار ، ومسحها ، وتثبيتها فى ضفتى النهر الصخريتين الوعرتين ، حتى نفد المال المعين للانفاق على المشروع . **فتفشى الشعور بالاستياء بين العمال ، وشرع الأهالى يتهامسون ، ويرددون ان بناء هذا الجسر عبث ، وأنه لاطائل يرجى منه . وردد البعض ـ ممن قدموا من القسطنطينية ـ أنهم سمعوا شائعات تتردد هناك قائلة ان الصدر الأعظم قد أقيل ، وان رجلا آخر حل محله !**

ولم يكن بوسع أحد ان ينقل للناس حقيقة ما حدث للرجل ، ولاسبب اختفاء أخباره ، وهل هو المرض ام هو الانشغال .. غير انه ما لبث ان عاد أكثر حصانة ، فقد تربع على دست منصبه منيعا شامخا ، غير ملتفت الى مايقال عن اغفاله ـ بل الغائه ـ للمشروعات العامة ، التى كان قد شرع فى تنفيذها بالقسطنطينية ذاتها !

وما هي الا أيام أخر ، حتى عاد مبعوث الصدر الأعظم ، ومعه بقية المال اللازم للمشروع ، فدارت عجلة العمل مرة أخرى .

وقبل أسبوعين من حلول عيد القديس ديمتريوس ، لاحظ الأهالي ، ممن كانوا يعبرون نهر (زيبا) بوساطة الجسر المقام من الألواح فوق المشروع الجديد ، أن هناك ــ للمرة الأولى ــ جدارا أبيض ناعم الملمس شيد من الحجر المنحوت ، واحيط بـ « السقالات » كأنها نسيج العنكبوت .. وهي « سقالات » نتأت من كلتا الضفتين ، وبرزت خارج الأحجار الاردوازية القائمة ..

غير أن الصقيع ما لبث ــ حينئذاك ــ أن حل بالمنطقة ، فتوقف دولاب العمل . وعاد البناءون من حيث جاءوا ، كي يقضوا فصل الشتاء بين ذويهم . أما أستاذ العمارة فقد أمضى شهور ذلك الفصل داخل كوخه الخشبي ، ولم يكن يغادره الا لماما . وكان يقضي طيلة يومه مكبا على خرائطه وحساباته ولم يكن يغادر كوخه الا كي يطمئن على قاعدة الجسر .. وكان ذلك يحدث من حين لآخر !

وحين شرع الجليد في الذوبان ــ قبل حلول الربيع ــ كان الأهالي يرون أستاذ العمارة ــ للحظات قصار ــ وهو يقوم بالتفتيش على «السقالات» والسدود ، بينما عيناه لاتستقران في محجريهما . وأحيانا ، كان يقوم بالتفتيش ليلا ، فيمسك بيده شعلة تضيء له الطريق .

وعاد العمال قبل أن يحل عيد القديس جورج ، فاستأنفوا عملهم . وما لبث الجسر أن أقيم في منتصف الصيف تماما . وقام العمال ــ والغبطة تغمرهم ــ بانزال « السقالات » ..

فبدا ـ من خلف العوارض والألواح الخشبية ـ جسر أبيض رشيق ، ذو قوس واحد ، يصل المسافة بين الضفتين ، المتين دعمتا بأحجار الجرانيت .

ولم يكن هناك ثمة ما يعلو على مدارك الأهالى سوى ذلك البناء العجيب ، المقام فى هذه المنطقة البائسة المنعزلة . فقد بدا للعيان كما لوكانت الضفتان قد تقاذفتا بدفقات مائية متحجرة ، وتقابلتا فكونتا قوسا استقر معلقا فوق هوة من تحته ، وكان بوسع المرء أن يرى ـ على أبعد مدى يقع عليه البصر ـ شريطا صغيرا ممتدا من مياه نهر درينا الزرقاء ، يحتويه انقوس بداخله . بينما يبدو تحته نهر (زيبا) ذو الماضى الحافل ، الذى روضته يد الانسان ، وقيدت من حريته .

على أن أنظار الأهالى لم تكن تستطيع ـ لمدة طويلة ـ ان تألف خط ذلك القوس الرشيق ، ذى النسب الموزعة باتقان ، **والذى بدا كما لو كان شبحا أشيب ذا خبية ، كل همه أن يهجع لحظة وسط هذه الصحراء الصخرية الوعرة ، التى تلفها الكآبة ،** ليعاود سفره السريع ، فى أول فرصة تسنح له ، ثم يختفى !

***

واقبل الاهالى من القرى المجاورة زرافات ووحدانا ، كى يتمتعوا بمشاهدة الجسر . كما وفد أهالى مدينتى فيشنيجراد وروجاتيتسا لمشاهدته والاعجاب به . لكنهم كانوا يغارون عليه من وجوده فى تيه حجرى كهذا ، ويودون لو تمتعت به هذه او تلك من المدن التى يقطنون بها !.. وكان أهالى (زيبا) ـ كلما مروا بالجسر ـ يتحسسون حاجزه ، ويطرقون عليه بأيديهم ، وهم يختبرون صلابته ، ثم يقولون : «حقا ، ان هذا

العمل جدير بأن يخلق صدرا أعظم ! » .. وكان الحاجز مستقيما ، ذا أطراف حادة مسنونة ، كما لو كان قد نحت من الجبن ، وليس من الحجر !

وفى الوقت الذى شرع فيه أول فوج من المسافرين فى عبور الجسر ـ وقد عقدت الدهشة ألسنتهم ـ قام أستاذ العمارة بتسديد أجور رجاله ، واعداد وحزم حقائب أدواته وأوراقه ، ميمما وجهه شطر القسطنطينية ، مع مبعوثى الصدر الأعظم ..

وما لبثت سيرة الرجل أن طافت على ألسنة الناس فى القرية والمدينة على السواء .. واعتاد « سليم » ، وهو فتى غجرى ، عاون الرجل فى نقل حاجياته من فيشيجراد مستعينا بفرسه الصغيرة ، أن يجلس فى المقهى بعد رحيل الرجل ، وان يحكى للناس ـ وكثيرا ما كان يحكى ـ كل ما يعرفه عن الرجل الغريب ، باعتباره الوحيد فى المنطقة الذى كان يتردد على الكوخ الخشبى .

قال سليم : « الحق انه ليس رجلا عاديا ، كغيره من الرجال . لقد انقطعت عن التردد عليه بالكوخ قرابة اسبوعين عندما توقف العمل ابان فصل الشتاء . لكن ما ان عدت الى ذلك ، حتى الفيت كل شىء بالكوخ فى حالة من الاختلاط والفوضى ، لا تختلف ـ فى قليل أو كثير ـ عما كان عليه فى آخر زيارة لى . فقد كان الرجل جالسا ـ داخل الكوخ الغارق فى الصقيع ـ وعلى رأسه قبعة من جلد الدب ، وقد لف نفسه تماما بالملابس والأغطية ، التى لم يكن يظهر منها سوى يديه المزرقتين بفعل البرد . **بينما هو يفتت قطعة من الحجر ، ثم يدون شيئا على الورق ، وعندئذ يعاود الكرة فيفتت قطعة أخرى ، ويدون مزيدا من الملاحظات .**

« وفتحت الباب ، فنظر الى بعينيه الخضراوين ، بينما حاجباه منتصبان كشوكتين ، حتى ليخيل اليك انه يبغى

التهامك . بل لم تبد منه كلمة او همسة .. لقد كان مشهدا فريدا ، لم تقع عيناى ـ قط ـ على مثيل له .

« ولعلكم لن تصدقوا ، أيها الفتية ، ماعاناه الرجل ، وكيف ركب الصعب ، وأرهق نفسه فى سبيل هذا المشروع طوال هاتيك الشهور الثمانية عشر ، حتى انتهى منه وانجز ما وكل اليه ، وعندئذ رافقناه فى أزورق ، ثم مضى يركض على ظهر هذه الفرس الماثلة أمامكم » .

وعندئذ سأله أهل المدينة ـ باهتمام متزايد ـ عن أستاذ العمارة ، وعن حياته التى عاشها بينهم ، وكلما سمعوا ما كان يقصه عليهم «سليم» أزداد عجبهم ، واخذوا ينحون على انفسهم باللائمة ، لأنهم لم يعيروه كثير اهتمام ، عندما كانوا يشاهدونه فى شوارع فيشيجراد ودروبها !

***

وفى تلك الأثناء كان استاذ العمارة ممتطيا صهوة جواد ، عائدا فى الطريق الى القسطنطينية .. لكنه ما أن غدا على مسيرة ايلتين منها ، حتى وقع فريسة لمرض الطاعون . ووصل الى المدينة فى حال يرثى لها ، وهو يعانى حمى شديدة ، ولا يكاد أن يحفظ توازنه . **ومن ثمة مضى من فوره الى مستشفى لطائفة الايطاليين الفرنتشيسكان ، لكنه ما لبث فى ذات الساعة من اليوم التالى ، أن لفظ آخر أنفاسه !**

ونقل النبأ فى صباح اليوم التالى الى الصدر الأعظم ، كما حمل اليه ما تبقى من حسابات الجسر ورسومه . وكان استاذ العمارة المتوفى قد تسلم ربع أجره فقط ، لكنه لم يخلف وراءه ديونا ، أو مالا بسائلا ، لا ولم يخلف ـ أيضا ـ وصية أو وريثا ..

وقام الصدر الأعظم بدراسة الموضوع من كافة زواياه ،

فقرر ان يسدد للمستشفى ثلث المبلغ المستحق للرجل ،اما ثلثاه الآخران فقد خصصهما للانفاق على الأيتام ..

ولم يكد الصدر الأعظم يصدر تعليماته فى هذا الشأن ، حتى فوجىء ، ذات صباح ــ فى أواخر الصيف ــ بملتمس رفعه اليه شاب متعلم يقوم بتحفيظ القرآن ، وينحدر من اسرة تعيش بالبوسنة ، بالاضافة الى موهبته فى قرض الشعر .. وكان الصدر الأعظم يتولاه ــ من حين لآخر ــ بالرعاية والعون . وكان المدرس قد بلغه ــ كما جاء برسالته ــ نبأ الجسر الذى قام الصدرالأعظم بتشييده فى البوسنة ، **ومن ثمة فقد رجا ان تثبت فى الجسر ــ كغيره من المرافق العامة ــ لوحة منقوشة ، عليها بيان بالزمن الذى شيد فيه ، واسم المهندس الذى أشرف على اقامته .** كما أظهر ــ كعادته دائما ــ استعداده لتقديم الخدمات للصدر الأعظم ، ورجا أن يحظى بشرف رفع نص اللوحة اليه ، عسى أن يجد قبولا لديه .. وهو نص بذل فى تأليفه عناية وجهدا كبيرين ، وكان مرفقا بالرسالة ، ومدونا بخط جميل ، على صفحة من الورق أكثر سمكا من زميلتها ، ومذيلا بتوقيع بالأحرف الأولى نقش باللون الأحمر والذهب :

« لما تكاتفت الموهبة النفذة
« وسارت يدا بيد مع الادارة الحازمة المذهلة ،
« ولد هذا الجسر ، كى يدخل البهجة والمسرة ،
« على قلوب رجال يوسف ــ الصدر الأعظم .
« وكى يثير اعجاب البشرية قاطبة » .

وذيلت هذه الأبيات بخاتم الصدر الأعظم ، الذى اتخذ شكلا بيضاويا ، وقسم الى قسمين غير متساويين ، نقشت على أكبرهما العبارة التالية : « **يوسف ابراهيم : خادم الله**

المخلص)) . اما القسم الاصفر ، فقد نقش عليه شعاره الخاص ((فى السكون السلامة)) .

وقضى الصدر الأعظم فترة طويلة فى دراسة هذا الملتمس، وهو باسط يديه ، بحيث انعقدت احدى راحتيه على الشعر المنقوش، بينما استقرت الأخرى على رسوم الجسر وتقديرات تكاليفه . وكان قد فرغ من دراسة ما رفع اليه من ملتمسات واوراق رسمية .

***

وفى هذا الصيف ، كان قد مر عامان على سقوطه واقصائه عن رتبته . وعند عودته الى منصبه ، لاحظ ـ أول ما لاحظ ـ انه لم يتغير فى كثير أو قليل عما كان عليه من قبل . فقد كان فى تلك السن ـ سن النضوج ـ التى يدرك فيها المرء معنى الحياة ، ويحس فيها بقيمتها الكاملة : فهو قد قهر خصومه، وارتقى فى سلم المجد والعظمة درجة لم يبلغها من قبل ، فقد سهل عليه ان يقيس ما وصل اليه ، بما انحدر اليه فى سقوطه الطارىء . لكنه كان لا يلبث ـ مع ذلك ـ أن ينجح احيانا فى نبذ شواغله ، تاركا نفسه مطية للأحلام دون ادنى مقاومة . فقد اصبح ، منذ عهد قريب ، يحلم ـ ليلا ـ بالسجن . واثقلت مخيلته تلك الأحلام اشبيهة بالرعب الخفى، واصبحت تلصق بها ، وتطفو أثناء النهار فتنفث فيه السم .

وغدا الرجل اشد حساسية لما يحيط به من أشياء وأمور . وما لبثت أمور معينة ـ لم يكن قد عنى بها من قبل ـ أن شرعت فى ازعاجه وتكديره . فقد اصدر أمرا برفع كل ما كان بالقصر من مخمل ، وابداله بقماش براق ، ناعم ، لين، يصدر حفيفا عند لمسه . كما كره رؤية الأصداف ، احساسا منه بأنها توحى بتيه بارد موحش ، وتذكره بالعزلة التى يعيش

نيها . وكانت اسنانه تصطك ، وبدنه يقشعر ، وبشرته تتجمد لمجرد لمس الأصداف أو رؤيتها .. ومن ثمه استبعدت من محل اقامته كافة قطع الأثاث والأسلحة المطعمة بالصدف!

وتمكن منه هذا الوسواس الخبيث ، وسيطر عليه .. ولم يكن هناك من يستطيع أن يطمئن اليه ؛ بله أن يفضى اليه بوسواسه ، وان يأتمنه عليه .. فلما أتم الوسواس مهمته فى النهاية ، وتكشف أمره ، بقى سره خافيا على الناس ، ففسروه ببساطة ، وقالوا انه : « الموت » ! .. ذلك لأنه لم يكن لديهم أدنى شك فى أن كثيرا من عظماء هذا العالم واصحاب النفوذ فيه يقضون نحبهم فى صمت . دون أن يشعر بهم احد ، ودون أن يدرك أحد .. بل ان ذلك يتم بشكل خاطف.

وبدأ الصدر الأعظم ينظر الى الأمور بريبه مستترة ، لكنها متأصلة عميقة الجذور .. وبشكل ما ، رسخ فى ذهنه ان **كل فعل يأتى به الانسان ، وكل كلمة ينفوه بها من الممكن ان تؤدى به الى الشر** . وبدا له هذا الاحتمال داخلا فى تكوين كل ما يسمع ، أو يقول ، أو يفكر .. فشرع — برغم ما حققه من ظفر — يخشى الحياة ويخاف منها . وهكذا وجد — دون ريبة — الحاله التى تمثل أولى مراحل الموت ، حيث يبدأ المرء فى التعلق — بشكل أشد — بالظل الذى تلقيه الأشياء ، غير مهتم بمادتها وجوهرها .

***

وفى ذلك الصباح ، عاودت الصدر الأعظم حالة التعب والارهاق التى سببها له الأرق ، لكنه كان هادئا ، مستجمعا لقواه . جفناه ثقيلان مسبلان ، ووجهه كأنما جمدته طراوة الصباح . واخذ يفكر فى أستاذ العمارة الأجنبى المتوفى ، والأيتام الذين تعولهم ايراداته وأمواله المستحقة له . كما

فكر فى منطقة البوسنة القصية ، الموحشة ، الكثيرة الجبال والمرتفعات (وما كان بوسعه قط ان يرى فيها شيئا غير الوحشة) التى لم يكن الدين الاسلامى قد نجح فى تنويرها تماما، والتى كانت الحياة فيها مفتقرة الى التحضر والتهذيب .. حياة بهيمية ، شاقة . وراح يسأل نفسه : **كم فى عالم الله هذا من المناطق المماثلة ؟ .. وكم من جداول الأنهار الفوارة المائجة بلا جسر أو مخاضة تيسر عبورها ؟.. وكم من المواقع التى تعيش بلا ماء للشرب ، وكم من المساجد بلا زخرفة أو جمال ؟**

لقد انحصرت أفكاره فيما حفل به العالم من بؤس ، وفقر ، وخوف متعدد الألوان .

واذ كانت الشمس تسطع فوق ذرى البيت الصيفى الصغير ، الذى اقام به الصدر الأعظم ، نظر الرجل الى ابيات الشعر التى نظمها المدرس ، والتى نقشت على الحجر : واخذ يتأملها ، ثم رفع يده ببطء ، واعمل فيها الشطب مرتين . ولم يعد باقيا من النقش الا اقله ، لكن هذا القليل مالبث أن قل ، حين قام الصدر الأعظم بكشط نصف الخاتم الذى يحمل اسمه . ومن ثمة لم يبق سوى الشعار : « فى السكون السلامة » ..

ولبث ــ بعض الوقت ــ يتأمل الشعار ، ثم رفع يده مرة اخرى ، وعندئذ كشط ما بقى من الشعار .. وهكذا قام أن يحمل اسما او نقشا !

وها هوذا الجسر مقام فى (البوسنة) ، حيث يلمع تحت اشعة الشمس ، ويتلألأ فى ضوء القمر ، بينما هو يحمل ــ على ظهره ــ الناس والحيوانات على السواء . وما لبثت حلقة المواد الطينية المختلطة والأشياء المنثورة المهملة ــ التى تحيط بكل بناء جديد عادة ــ أن أخذت فى الاختفاء رويدا

رويدا. فقد ساهم الأهالى مع المياه فى رفع الكتل الصنوبرية المهشمة ، والأجزاء المتبقية من « السقالات » ، وبقية مهمات البناء ، كما قامت الامطار بازالة آخر آثار العمل الذى دام فصولا من العام .

لكن الريف لم يكن ـ الى ذلك الحين ـ يستطيع ان يألف الجسر او يهواه . وكذلك كانت الحال مع الجسر ذاته ! ..

وكان قوسه الابيض الواضح ، يظهر دائما ـ عند النظر اليه من جانبه ـ منعزلا ، وحيدا ، مما أدخل الروع فى نفوس المسافرين ، كأنه خيال أو فكرة غريبة ضلت طريقها ، ثم اسرتها الصخور فى هذا التيه !

***

كان راوى هذه القصة أول من فكر فى التنقيب عن أصول الجسر وشجرة نسبه. فذات مساء ، كان عائدا من رحلة فى الجبال ، واضطره التعب والارهاق الى الجلوس على حاجز الجسر .. حدث ذلك خلال فصل صيف حار نهارا ، وبارد ليلا .

فلما استند بجسمه الى البناء الحجرى ، لاحظ أنه كان محتفظا بالدفء الذى خلفته له حرارة النهار وكان الراوى ينضح عرقا ، بينما ريح باردة تهب من نهر (درينا) .

وسرى الاحساس بالحجر المنحوت المشبع بالدفء فى نفس الرجل مسرى لذيذا غريبا ، فكان أن انعقدت صلة تعاطف بينه وبين الجسر ..

وهكذا صمم الرجل ـ فى النهاية ـ على أن يكتب قصته !

كتب جديدة
من الغرب والشرق
عرض لأحدث الكتب
أخبار الحركة الأدبية في العالم

هل للانسان مستقبل ؟

• ((**برتراند رسل**)) ، اللورد الذى دخل السجن من اجل ايمانه بأن اللعب بالاسلحة الدرية والنووية يجب ان يقف ، اذا اريد للانسان البقاء ..

« برتراند رسل » المفكر والفيلسوف العالمى ، دفع الى السوق اخيرا بكتاب جديد ، وانتهج فى نشره طريقة مبتكرة .. فقد عهد به الى شركة للنشر تصدر طبعات رخيصة ، فى متناول الجميع .. ونظريته فى هذا ، تتمثل فى ان « من أشق الامور فى الدنيا ، ان تحمل الشعوب على ان تهتم وتعنى بأمر ذى اهمية حيوية » .. **فالناس قد يدركون هذا الامر ، ويلمسونه فى حياتهم اليومية ، ولكنهم يؤثرون ان يتناسوه ولا يذكروه .. ومن ثم أصر ((رسل)) على ان يذكرهم به !**

والامر الذى يعنيه « رسل » هو .. « مستقبل الجنس البشرى » .. والكتاب الذى عمد الى اصداره فى طبعة رخيصة ، ليكون فى متناول الجميع ، هو : ((**هل للانسان مستقبل ؟**))

البشر فى مرحلة الطفولة

• **وفى** كل صفحة من صفحات هذا الكتاب ، وبين سطوره جميعا ، يلمس القارىء اهتماما صادقا ، مطردا بالجنس البشرى ، ورغبة مخلصة ، دائبة ، من اجل بقائه . فان « رسل » يرى ان الجنس البشرى ، اذا تركه جيلنا ــ اللاعب بالذرة والنواة ــ يعيش ، فان احتمالات البقاء امامه ، توحى بأن **فى وسع البشر ان يعمروا الارض زمنا اطول من كل الازمان ــ التى انقضت منذ بدء الخليقة ــ بمئات المرات .. ان**

امامهم انتصارات روحية وعقلية ، تجعل كل ما انقضى من عمر البشرية ، مجرد .. مرحلة طفولة !

ويابى « رســل » على العلماء أن يكونوا مخلب القط الذى يستغله رجال السياسية لافناء البشرية والارض بأسرها . ومن ثم فهو يدافــع عن العلمــاء ، مؤكــدا انهم اعــربوا عــن استنكارهم ــ منذ تفجير اول قنبلة ذرية ــ وبينوا للحكومات ما لأية حــرب ذرية من عواقب وخيمة ، وأهابوا برجال الحكم والســياسة ، ان يعملوا على تحريم الاسلحة الذرية ، وتحريم الحرب ذاتها .

مسئولية الشعوب عن بقاء البشرية

• **واذا** كانت ثمة مسئوليــات ــ فى هــذا الصدد ــ فان « رسل » يلقيهــا على مواطنى الحكومات التى تمتلك أسلحة ذرية . و .. **((اذا كان الشعب الألمــانى يحمل قسطا من مســئولية ما ارتكب ((هتــلر)) ، فان كل مواطن فى الولايات المتحدة ، وبريطانيا ، والاتحاد السوفييتى، يحمل قسطا من مسئولية الخطر الذى يهدد بقاء الجنس البشرى)) !**

وكتاب « هل للانســان مستقبل » من أثمن الجهــود التى تقدم الناس لاطلاعهم على ضخامة الأخطار الناشئة عن التمادى فى العبث بالذرة من أجل المطامع السياسية . ويرى « رسل » ــ على ضوء الدراسة العميقة لنفسية الجنس البشرى ــ ان ثمة ما يدعو الى التفــاؤل .. فاتجــاه الجنس البشرى الى الحروب ، ليس سوى بقية مترسبة فى نفسه من العصور التى كان على الانسان فيها أن يحارب الوحوش من أجل البقاء .

والأثر النفسى الذى خلفته هذه العادة ، ادى الى ان يقتل الانسان أخاه فى الحروب . ولكن الدراسة النفسية تدل على ان **الانســان قادر على ان يتخلص من اية عادة ــ مهمــا تكن**

متغلغلة فى نفسه ـ اذا أوتى الارادة • وخليق بالجيل الذى نعيش فيه ، ان يستمد الارادة من ادراك الآثار المدمرة للحرب النووية .. والى ان يتسنى اقامة حكومة عالمية تجعل الحرب مستحيلة ، يجب على الانسان ـ فى جيلنا ـ أن يضطلع بمسئولية تفادى أى تغيير فى ميزان القوى الحالى .

فى ذكرى تولستوى

• **لست** أعرف كاتبا حظى بنصيب وافر من الكتب التى تتناول سيرته ، قدر ما حظى « **تولستوى** » ، الكاتب والفيلسوف الروسى العملاق . فقد كتب هو عن نفسه فى حياته ، وتناول أفراد من أسرته ، ومن أصدقائه ، بل ومن بعض خدمه ، سيرته بعد مماته .

ومع ذلك ، فقد ظل هناك مجال للكتابة عنه !

والكتاب الجديد : « **فى ذكرى تولستوى** » ، من تاليف اكبر أبنائه : « **سيرجى تولستوى** » . ولقد مات « سيرجى » فى روسيا ، فى سنة ١٩٤٧ . ومن ثم فالكتاب يعتبر ـ الى حد ما ـ قديما . . ولكنه ـ مع ذلك ـ حديث ! . . ذلك لانه منذ وجد بين الأوراق التى خلفها « سيرجى » ، لم ينشر الا باللغة الروسية ، حتى وقعت عليه أخيرا « مويرا بدبيرج » ، فترجمته الى الانجليزية .

تولستوى الأب .. والزوج

• **والكتاب** ذو ثلاثة أقسام : أولها يشمل السنوات بين ميلد « تولستوى » ـ فى سنة ١٨٦٣ ـ ورحيله عن مسقط رأسه ، فى باكورة شبابه .. **والثانى يرسم صورة مفصلة لأيام « تولستوى » الأخيرة ، بما فيها من مآسى محزنة ،**

واجدات مضحكة .. اما الثالث ، فيضم صورا طريفة لبعض اصدقاء « تولستوى » .

ومن خلال هـذا كله ، نخرج بأن « تولستوى » كان ا...
... مما يتصـوره المرء من كل ما كتب عنـه من قبل ..
... كان يحاول ان يملى ارادته على أولاده : مستقلا
... حتى انه سعى كثيرا الى أن يرد « سيرجى »
... مية .. **الا انه كان – على الأقل – على**
... **كان يجادلهم ، ويستمع اليهم ..وكان يقر – احيانا – بخطاه !**

اما عن حياته الزوجية ، فلا نكاد نخرج من كتاب «سيرجى» بجديد فوق ما كتب من قبل ، اللهم الا صورة تميل الى انصاف زوجة الأديب الخالد . فلقد طالما ظلمت الكتب هذه السيدة ، ولكن الذى يحلل شخصية « تولستوى » ، لا يملك الا ان يرى انه كان من كبار المعجبين بأنفسهم ، من مشاهير التاريخ .. **وكان مفرطا فى الاعتـداد بآرائه ومشاعره ، الى درجة تقربه من الانانية والاستبداد .**

ومهما تكن نقائص الكونتـة تولستوى ، فان المرء لا يكاد يتصـور كيف استطاعت أن تحتفـظ بكرامتها واحترامهـا الذاتى ، فى حياة كتلك التى عاشـتها مع « تولستوى » !.. بيد أن هذا لا ينال من مكانة الفيلسوف الروسى الأشـهر ، اذ يبقى انه لم يكن يبغى اى اضرار على الاطـلاق ، وأنه كان فى كل تصرفاته – حتى تلك التى أحالت حياته وحياة زوجته الى جحيم – يصدر عن رغبة فى الخير !

مطبوعات

تحفة العدد القادم من كتابى

كتابان فى كتاب واحد .. من اروع التحف
انتجها الكاتب الدرامى والروائى الأشهر :

آرثر ميللر ، من الكتب التى

مع فصل عن حياة هذا الكاتب ، الذى استطاع كل كتاب له – سواء كان رواية أو مسرحية – ان يظفر باكبر الجوائز الادبية فى الولايات المتحدة .. والذى ترجم معظم انتاجه الى عدد كبير من اللغات ..

ومع دراسة وافية لأدبه ومؤلفاته .. **كتاب لا يجب ان تخلو منه مكتبتك .. فترقب ظهوره .**

واحجز نسختك مع الباعة من الآن

اعتاد الناس ان يطفئوا الشموع فى اعياد ميلادهم ، اما

كتابى

فانه يشعل شمعة اثر شمعة ، ليضىء طريق العقول الى الثقافة الراقية .. **وفى العدد القادم .. يضىء ((كتابى)) .. شمعته التاسعة !**

ويبدأ برنامجا حافلا بالنشاط والشوامخ ..

أحاديث للمعلمين والمتعلمين
تأليف: وليام جيمس
الثمن: ٥٥ قرشا
الناشر: مكتبة عالم الكتب
فرانكلين
للطباعة والنشر
تقدم
لقراء العالم العربي أحدث مطبوعاتها
حتى يحضر الطبيب
موجز في الإسعافات الأولية
الثمن: ٢٥ قرشا
مكتبة نهضة مصر